

رَفَع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

صور ومواقف من

حياة الصحابة

بقلم
سعود بن فوزان الفوزان

المكتبة الوقفية

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

صور ومواقف من

حياة الصحابة

بقلم

سعد يوسف أبو عزيز



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين.. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.. سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

وبعد:

فعلى الصفحات القادمة نلتقى مع «ترجمة صادقة» لبعض أصحاب الرسول - ﷺ - «خير القرون الأولى المفضلة».. وكنا قد التقينا مع بعض آخر منهم في كتابنا «رجال ونساء حول الرسول» وكان فضيلة «العلامة» الشيخ حسن أيوب - حفظه الله - قد دعا لي في «تقديمه للكتاب» أن يوفقني الله تعالى لأكتب عن عدد أكثر من صحابة رسول الله - ﷺ -، فاستجاب الله دعاءه.. فقمْتُ بتسطير هذا الكتاب «صور ومواقف من حياة الصحابة».. وسارعت «المكتبة التوفيقية» حفظ الله القائمين عليها.. بطبعه.. وحرصت، كعادتها.. على تقديمه للقارئ في أبهى حلة وثمرن زهيد!! رجاء الثواب.

هذا، وأصحاب النبي - ﷺ - كما وصفهم سعيد بن محمد الجرمي - رحمه الله تعالى -: «شباب مكتهلون في حداثة أسنانهم، غنية عن الشرّ أعينهم، منزهة عن اللهو أسماعهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، خمص البطون من كسب الحرام، أنضاء عبادة، قد نظر الله إليهم في جوف الليل، محنية على أجزاء القرآن أصلابهم، سائلة على الخدود دموعهم. كلما مروا بآية من ذكر الجنة بكوا إليها شوقاً، وكلّما مروا بآية من ذكر النار صرخوا منها فرقاً^(١)، كأن زفير النار في آذانهم، وكأن الآخرة نصب أعينهم، قد أكلت الأرض جباههم ورؤسهم، وغير السهر والظمأ ألوانهم، موصول كلالهم

(١) الفرق: شدة الخوف.

بكلالهم^(١)، تأهبوا للموت فأحسنوا الأهبة، وأعدوا فأحسنوا العدة، فكانوا في ليلهم أهل سهر وأهل بقاء، وكانوا في نهارهم أهل فكر وظماً^(٢). إذا ذكروا الدنيا اشتدت زهادتهم فيها لمعرفة ببقائها، وإذا ذكروا الآخرة عظمت فيها رغبتهم لمعرفة ببقائها، فصغرت الدنيا في أعينهم، وأبغضتها نفوسهم، فذلت من بعد صعوبة، وأطاعتهم بعد عصيان، الحياة عندهم في الدنيا مصيبة لخوف الفتنة، والقتل عندهم نعمة فيما يرجون بعده من الروح والراحة، لا تفتن بالضحك شفاههم، ولا تفارق الأحزان قلوبهم، ادخروا ما قدموا من الأعمال لما يخافون من عظيم الأهوال، فركبوا الأسته من خوفه، وبذلوا مهج النفس^(٣) له، فلما التقى الجمعان، وصف الفريقان فنظروا إلى السهام قد فوقت^(٤)، وإلى الرماح قد أشرعت، وإلى السيوف قد انتضيت^(٥)، أرعدت الكتيبة بصواعق الموت، استخفوا وعيد الكتيبة بوعد الله، ولم يستخفوا وعيد الله بالكتيبة، ثم مضوا قُدماً حتى اختلفت أعناق خيولهم، وخضبت الدماء محاسن وجوههم حتى زالت رؤوسهم عن أبدانهم، وغارت خيولهم في عساكرهم، فوطئتهم بحوافرها، وداستهم بسنابكها^(٥)، فلما انصرف الفريقان، ورجع الزحفان، أسرع إليهم سباع الأرض، وانحطت عليهم طير السماء، فكم من يد قد زالت عن موضعها، قد أطال الاعتماد عليها في جوف الليل صاحبها.

وكم رجلٍ فارقت مستقرها، قد طال في جوف الليل قيامها. وكم من كبد قد شق عنها حجابها، قد كان يشد في الهواجر^(٦) ظمؤها. وكم من عينٍ فاضت من خشية الله في منقار طائر، قد كان يشد في الليل سهرها، وبكاؤها.

(١) أكل كلالاً وكلاله: أعييت.

(٢) أهل الظمأ: أي أهل الصيام.

(٣) مهج النفس: روح النفس.

(٤) الفوق من السهم: موضع الوتر.

(٥) نضبا السيف: سلته من غمده.

(٦) السنبك: طرف الحافر، وجانباه من قُدَم.

(٧) الهواجر: شدة الحر.

هنيئاً لهم ما أصلبوا هنيئاً، غُفرت ذنوبهم مع أول قطرة من دمائهم وأمنوا من الضغطة في قبورهم، خرجوا من القبور مسرورين بالسيوف على العواتق شاهرين، قد نجوا من العقاب، وأمنوا من الحساب.

فأى دار كرامة نزلوا؟!!

وأى نعيم فيها استقبلوا؟!!

لا تنزل بهم الآفات، ولا تحدث بهم البليات، دخلوا الجنة آمنين، عانقوا فيها الحور العين، ويسعى عليهم الخدم بلداتهم قبل الدعاء بها.

فكم من مستقبلٍ يوماً لا يستكمله.

وكم من مرتجٍ لغدٍ ليس من أجله؟!!

لو تنظرون إلى الأجل ومسيره. لأبغضتم الأمل وغروره.

فكن أخى المسلم على طريق القوم، فإن أمير القوم يرعى القافلة.

وأمتنا الإسلامية فى حاجة ماسة - فى هذا العصر - إلى تجديد شبابها.

واسترداد عزها. ولن يتحقق لها ما تصبوا إليه. إلا بالعودة الرشيدة.

والرجعة الصادقة إلى أحضان دينها. ولن يصلح حال الأمة إلا بما صلح به

أولها. فإن هى فعلت ذلك تحقق لها وعد ربها: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ

وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾ (١).

وَفَقَّ اللهُ تعالى الجميع لما يُحبَّ ويرضى. . . وتقبَّلَ منى هذا الجهد

المواضع. . . وجعله نوراً للسالكين. . . وهدى للمسلمين وعلى الله قصد

السييل.

كتبه

سعد يوسف محمود أبو عزيز

[١] عروة بن مسعود الثقفي

«قَتَلَهُ كَقَتْلِ صَاحِبِ يَاسِينَ!!» حديث شريف

هل أناكم حديث: «صاحب يس؟».

إنه المذكور في سورة «يس».

من قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (١).

إلى قوله تعالى: ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢).

نصح قومه فقتلوه.. فخلد الله ذكره.. وعظم شأنه.. وأخبرنا ربنا أنه قد غفر له وأدخله الجنة!

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ (٢٦) ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٣). نصح قومه حياً ونصحهم ميتاً.

قال قتادة: «لا يلقي المؤمن إلا ناصحاً، لا يلقي غاشياً، لَمَّا عَايَنَ مَا عَايَنَ مِنْ كِرَامَةِ اللَّهِ قَالَ: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ الآية».

وأصحاب الدعوات -دائماً- يموتون لتحيا دعوتهم.. يحصدهم الموت.. ويزرعون الحياة!!.

وضيفنا المبارك على هذه «السطور».. دعا قومه إلى الإسلام.. فقتلوه.. فأخبرنا رسول الله -ﷺ- أن «قتله كقتل صاحب ياسين، دعا قومه إلى الله فقتلوه».

(١) سورة يس: ٢٠.

(٢) سورة يس: ٢٧.

(٣) سورة يس: ٢٦، ٢٧.

فما هي قصته؟

لم يحضر «عروة بن مسعود» و«غيلان بن سلمة» حصار الطائف^(١)، كانا «بجرش» يتعلمان صنعة العرادات والمنجنيق والدبّابات^(٢)، فقدما وقد انصرف رسول الله - ﷺ - عن «الطائف»، فنصبا المنجنيق والعرادات والدبّابات، واعتدا للقتال، ثم ألقى الله في قلب «عروة بن مسعود» الإسلام وغيره عما كان عليه، فخرج إلى رسول الله - ﷺ - ثم استأذن في الخروج إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام.

فقال: «إنهم إذا قاتلوك!».

قال: لا، أنا أحب إليهم من أبكار أولادهم.

ثم استأذنه الثانية ثم الثالثة.

فقال - ﷺ - : «إن شئت فاخرج».

فخرج - رضى الله تعالى عنه - إلى «الطائف» حيث قبيلته «ثقيف»، فقدم عشاءً فدخل منزله فجاء قومه فحيوه بتحية الشرك!!

فقال: «عليكم بتحية أهل الجنة السلام».

ثم دعاهم إلى الإسلام، فخرجوا من عنده يأتمرون به، فلما طلع الفجر أوفى^(٣) على غرفة له فأذن بالصلاة، فخرجت ثقيف من كل ناحية، فرماه رجل من بني مالك، يقال له «أوس بن عوف» فأصاب «أكحلة»^(٤) فلم يروا دمه!!.

وقام «غيلان بن سلمة» و«كنانة بن عبد ياليل» و«الحكم بن عمرو» ووجوه الأحلاف فلبسوا السلاح وساروا^(٥).

(١) راجع: ترجمة «أبي سفيان بن حرب» وشهوده لحصار الطائف.

(٢) كانت تصنع من خشب وجلود.

(٣) أوفى: ارتقى وصعد.

(٤) الأكحل: عرق في العضد. . وهي نفس إصابة «سعد بن معاذ» - ﷺ - .

(٥) أرادوا الانتقام من «أوس بن عوف».

فلما رأى ذلك «عروة»، قال:

«قد تصدقتُ بدمى على صاحبه لأصلح بذلك بينكم، وهي كرامة أكرمنى الله بها، وشهادة ساقها الله إليَّ، ادفنوني مع الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله - ﷺ -» (١).

ومات فدفنوه معهم.

وبلغ رسول الله - ﷺ - خبرهم، فقال:

«قتله كقتل صاحب ياسين، دعا قومه إلى الله فقتلوه» (٢).

هكذا كانت دعوتهم تتعالى فوق الأهواء... وترتقى فوق شهوات النفس... ويهضمون أنفسهم في سبيل الله تعالى.
رضى الله عن «عروة بن مسعود الثقفى» وأرضاه.

(١) يقصد شهداء الصحابة الذين استشهدوا في حصار الطائف.

(٢) المنتظم (٣/ ٣٤٢، ٣٤٣)، وتاريخ «الطبرى» (أحداث سنة تسع).

[٢] عمرو بن ثابت «الأصيرم»

«دخل الجنة ولم يُصلِّ قطُّ!!»

من هو؟:

هو: عمرو بن ثابت بن وقش، عُرِفَ بـ«أصيرم بن عبد الأشهل»، شهيد «أحد» - رضي الله عنه - .

لَمَّا سَمِعَ بِالإِسْلَامِ رَفَضَهُ أَوَّلًا . وَأَنْكَرَ حَدِيثَهُ . . ثُمَّ أَشْرَقَ نُورُ الإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ فَبَدَدَ ظُلُمَاتِ الجَاهِلِيَّةِ . . وَأَزَاحَ الغِشَاوَةَ الَّتِي غَشِيَتْ قَلْبَهُ سِنِينَ عَدَدًا . . وَفِي وَاقْتِ يَسِيرٍ . . انْتَقَلَ مِنَ الجَاهِلِيَّةِ إِلَى الإِسْلَامِ وَمِنَ الإِسْلَامِ إِلَى الجَنَّةِ !! وَاللَّهُ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ . . وَيَهْدِي مَنْ يَرِيدُ . .

ما هي قصته؟:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أنه كان يقول :
حدثوني عن رجل دخل الجنة لم يُصلِّ قطُّ، فإذا لم يعرفه الناس،
سألوه:

من هو؟

فيقول «أصيرم بن عبد الأشهل، عمرو بن ثابت بن وقش» .

قال الحصين:

فقلت لمحمود بن لبيد^(١): كيف كان شأن الأصيرم؟

قال: كان يأبى الإسلام على قومه، فلَمَّا كَانَ يَوْمَ «أحد»، وخرج

(١) محمود بن لبيد: صحابي جليل.

رسول الله - ﷺ - إلى «أحد» بدا له الإسلام فأسلم، فأخذ سيفه فغدا حتى أتى القوم، فدخل في عرض الناس، فقاتل حتى أثبتته (١) الجراحة.

فبينما رجال بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في «المعركة» إذا هم به!! . قالوا: «والله إن هذا للأصيرم» ما جاء به؟ لقد تركناه، وإنه لمنكر هذا الحديث! فسألوه:

«ما جاء به؟» .

فقالوا: «ما جاء بك يا عمرو، أهدتاً على قومك أو رغبة في الإسلام؟» .

فقال: «بل رغبة في الإسلام، آمنتُ بالله وبرسوله، وأسلمتُ، ثم أخذت سيفي فغدوتُ مع رسول الله - ﷺ -، فقاتلتُ حتى أصابني ما أصابني» .

فلم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله - ﷺ - فقال: «إنه لمن أهل الجنة؟» (٢) .

فألهم إنا نسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار وارض اللهم عن أصحاب النبي أجمعين .

(١) أثخنه وتركته وبه رمق .

(٢) قال الهيثمي في «المجمع»: رواه أحمد ورجاله ثقات . حديث رقم (١٥٩٥٩) .

[٣] الْمُنْذِرُ بْنُ عَائِدٍ

«خَيْرُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ!!»

من هو؟:

هو: الأشج بن عصر - ويقال: أشج عبد القيس، - رضى الله تعالى عنه - .

ما هي قصته؟!

● عن مزبذة جدّ «هود العبدى» قال:

بينما رسول الله - ﷺ - يُحَدِّثُ أَصْحَابَهُ إِذْ قَالَ:

«يَطَّلِعُ عَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْفَجِّ رَكْبٌ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ» .

فقام عمر بن الخطاب فتوجّه في ذلك الوجه، فلقي ثلاثة عشر راكباً، فرحّب وقرب، وقال:

من القوم؟

قالوا: قوم من «عبد القيس» .

قال: فما أقدمكم لهذه البلاد؟ التجارة؟

قالوا: لا .

قال: فتبيعون سيوفكم هذه؟

قالوا: لا .

قال: فلعلكم إنما قدمتم في طلب هذا الرجل؟ (١) .

قالوا: أجل .

(١) يقصد النبى - ﷺ - .

فمشى معهم يُحدِّثهم حتى نظر إلى النبي ﷺ - فقال:

«هذا صاحبكم الذى تطلبون».

فرمى القوم بأنفسهم عن رواحهم، فمنهم من سعى سعياً، ومنهم من هروا هرولة، ومنهم من مشى حتى أتوا رسول الله ﷺ -، فأخذوا بيده يقبلونها، وقعدوا إليه، وبقي «الأشج» - وهو أصغر القوم - فأناخ الإبل وعقلها وجمع متاع القوم، ثم أقبل يمشى على تودة، حتى أتى رسول الله ﷺ - فأخذ بيده فقبلها، فقال رسول الله ﷺ -:

«إن فيك خصلتين يُحبهما الله ورسوله».

قال: وما هما يا رسول الله؟

قال: «الأناة والتودة».

قال: أجبلاً جبلتُ عليه أو تخلقاً منى؟

قال: «بل جبَلٌ».

قال: الحمد لله الذى جبلنى على ما يحبُّ الله ورسوله.

وأقبل القوم قبلَ تمراتٍ لهم يأكلونها. فجعل النبي ﷺ - يُسمي لهم

هذا كذا، وهذا كذا.

قالوا: أجل يا رسول الله، ما نحن بأعلم بأسمائها منك.

قال: «أجل».

فقالوا لرجل منهم: أطعنا من بقية الذى بقى من نوطك^(١)، فقام فأتاه

بالبرنى، فقال النبي ﷺ -:

«هذا البرنى أما إنَّه من خير تمراتكم، إنما هو دواءٌ لا داءَ فيه»^(٢).

● وعن الزارع:

(١) النوط: مثل «القفة» يوضع فيها التمر.

(٢) قال الهيثمى: رواه الطبرانى وأبو يعلى ورجالهما ثقات وفى بعضهم خلاف. «المجمع»

«أنه وقد إلى رسول الله - ﷺ - وخرج معه بأخيه لأمه - يقال له :

«مطر بن هلال بن عنزة» وخرج بابن أخ له مجنون، ومعهم
«الأشج» - وكان اسمه «المنذر بن عائد» - فقال المنذر :

يا زارع، خرجت معنا برجل مجنون، وفتى شاب ليس منا، وافدين
إلى رسول الله - ﷺ - ؟ .

قال الزارع: أمّا المصاب، فاتى به، رسول الله - ﷺ - يدعو له، عسى
أن يعافيه الله .

وأما الفتى العزرى، فإنه أخى لأمى، وأرجو أن يدعو له النبى - ﷺ -
بدعوة، تضييه دعوة النبى - ﷺ - .

فما عدا أن قدمنا المدينة .

قلنا: هناك (١) رسول الله - ﷺ -، فما تمالكنا أن وثبنا عن رواحلنا،
فانطلقنا إليه سراعاً، فأخذنا يديه ورجليه نُقبَلهما، وأناخ المنذر راحلته،
فعلقها كلها، ثم عمد إلى عييته ففتحها، فوضع عنها (٢)، ثياب السفر، ثم
أتى يمشى . .

فقال النبى - ﷺ - : «يا أشج، إن فيك لخلقين يحبهما الله ورسوله» .

قال: وما هما بأبى وأمى؟

قال: «الحلم والأناة» .

قال: فأنا تخلقتُ بهما، أم الله جبلنى عليهما؟

قال: «بل الله جبلك عليهما» .

قال: الحمد لله الذى جبلنى على خلقين يحبهما الله ورسوله الحلم

والأناة .

(١) فى رواية البزار: قيل هذا رسول .

(٢) فى البزار: عنه .

قال الزارع: يا نبي الله، بأبي وأمي، جئتُ بابن أخ لى مصاب، لتدعو الله له، وهو فى الركب.

قال: «فأت به».

قال: فأتيته، وقد رأيتُ الذى صنع الأشج، فأخذتُ عييتى، فأخرجتُ منها ثوبين حسنين، وألقيتُ عنه ثياب السفر، وألبستُهُما إياه، ثم أخذتُ بيده، فجئتُ به النبى - ﷺ - وهو ينظرُ نظرَ المجنون.

فقال النبى - ﷺ -: «اجعل ظهره من قبلى».

فأقمته، فجعلتُ ظهره من قبلى النبى - ﷺ - ووجهه قبلى، فأخذه، ثم جرّه بمجامع رداءه، فرفع يده حتى رأيتُ بياض إبطيه، ثم ضرب بثوبه ظهره، وقال:

«اخرج يا عدو الله» فالتفتَ وهو ينظرُ نظرَ الصحيح، ثم أقعده بين يديه، فدعا له، ومسح وجهه، قال:

فلم تزل تلك المسحة فى وجهه، وهو شيخ كبير، كأنَّ وجهه وجه عذراء شابًا، وما كان فى القوم رجل يفضل عليه بعد دعوة النبى - ﷺ -.

ثم دعا لنا عبد القيس (١) فقال:

«خير أهل المشرق رَحِمَ الله عبدَ القيس إذ أسلموا غير خزايا إذ أبى بعضُ الناس أن يسلموا».

قال: فلم يزل يدعو لنا حتى زالت الشمس.

قال الزارع: يا رسول الله، إن معنا ابن أخت لنا ليس منا.

قال: «ابن أخت القوم منهم» فانصرفنا راجعين.

فقال الأشج: إنك كنت -يا زارع- أمثل منى رأياً فيهما، وكان فى القوم «جهم بن قثم» كان قد شرب قبل ذلك بالبحرين مع ابن عمِّ له، فقام

(١) أى: قوم عبد القيس.

إليه ابن عمّه، فضرب ساقه بالسيف، فكانت تلك الضربة في ساقه، فقال بعض القوم:

يا رسول الله بأبى وأمى، إن أرضنا ثقيلة وخِمة، وإنا نشرب من هذا الشراب على ضامنا.

فقال: «لعل أحدكم أن يشرب الإناء ثم يزداد إليها أخرى، حتى يأخذ منه الشراب، فيقوم إلى ابن عمّه فيضرب ساقه بالسيف!».

فجعل يُغَطِّي «جهم بن قُثم» ساقه!!.

قال: فنهاهم عن الدباء، والنقير والحنتم^(١).

قلت: كانوا يتخذون منها خمرًا فنهاهم - صلى الله عليه - عنها.

رضى الله عن المنذر بن عائد وأرضاه.

(١) قال الهيثمي: قلت: عند أبي داود طرف منه. رواه البزار، وفيه: أم أبان بنت الوازع روى لها أبو داود، وسكت على حديثها، فهو حسن، وبقية رجاله ثقات. المجمع برقم (١٦٠٦١).

[٤] عاصم بن ثابت

«شَهِيد يَوْمِ الرَّجِيعِ»

من هو؟:

هو: عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري.. الداعية الفقيه، الشهيد.

أحد الأنصار الذين استشهدوا في سبيل الله تعالى ورفضوا الركوع للباطل، وهو أحد الشباب الذين صدقوا الله فصدقهم.. وَوَقَى اللَّهُ تَعَالَى فِي حَيَاتِهِ، فَحَمَاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَعْدَ وَفَاتِهِ!!.

ما هي قصته؟:

في غزوة «أحد» قاتل عاصم بن ثابت - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - بجوار الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وكان رامياً لا تكاد تخطئ رميته!! فقتل «مُسَافِعُ بْنُ طَلْحَةَ» وأخاه «الْجُلَّاسُ بْنُ طَلْحَةَ» كلاهما يُشْعِرُهُ (١) سَهْمًا، فَيَأْتِي أُمَّهُ «سَلَافَةَ» (٢)، فَيَضَعُ رَأْسَهُ فِي حَجْرٍ فَتَقُولُ:

يا بني، من أصابك؟

فيقول: سمعتُ رجلاً حينَ رماني وهو يقول:

«خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَقْلَحِ».

فندرت «سلافة» إن أمكنها الله من رأس «عاصم» أن تشرب فيه

الخمير!!.

(١) يشعره سهمًا: أى يصيبه به فى جسده فيصير له مثل الشعار، والشعار ما ولى الجسد من الثياب.

(٢) هى: سلافة بنت سعد بن شهيد.

وكان «عاصم» -رضى الله تعالى عنه- قد عاهد الله أن لا يمسَّ مشركاً أبداً، ولا يمسَّ مشرك.

وفى سنة «٣هـ» قدم وفدٌ من قبائل «عضل والقارة» على رسول الله ﷺ - يذكر أن أنباء الإسلام وصلت إليهم، وأنهم يحتاجون إلى رجال يعلمونهم الدين ويقرئونهم القرآن!! .

فأرسل النبي ﷺ - معهم رهطاً من «الدعاة» يرأسهم «عاصم بن ثابت» فانطلق الجميع حتى إذا كانوا بين «عسفان» و«مكة» قريباً من مياه «هذيل» شعر الدعاة بأن أصحابهم غدروا بهم واستصرخوا هذياً عليهم وفزع الدعاة إلى أسلحتهم يقاتلون الغادرين ومن أعانهم من قبيلة «هذيل»، ولكن ماذا يجدي قتالُ نفرٍ يعدون على الأصابع لنحو مائة من الرماة، وراءهم قومهم يشدون أزرهم؟

ولكن الشوق إلى الشهادة جعلهم يغامرون بالقتال.

فلما انتضوا أسيافهم . . قال لهم القوم:

«إنا والله ما نريد قتلكم، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهدُ الله وميثاقه أن لا نقتلكم».

وقال عاصم:

«لا أقبل اليوم عهداً من مشرك» ودعا عند ذلك فقال:

«اللهم إنى أحمى لك اليوم دينك فاحم لحمى!!» .

فجعل يقاتل القوم ويقول:

والقوسُ فيها وترٌ عنابيل
الموتُ حقٌّ والحياةُ باطلٌ

ما علَّتْى وأنا جلدٌ نابيل^(١)
تزلُّ عن صفحتها المعابيل^(٢)

(١) النابيل: صاحب النبل ويروى بازل وهو القوى، وعنابيل: غليظ شديد.

(٢) المعابيل: جمع معبلة وهو نصل عريض طويل.

وكلُّ ما حَمَّ الإله (١) نازل بالمرء، والمرءُ إليه آتِل

إن لم أقاتلكم فأُمِّي هابِل (٢)

ولم يلبث عاصم وصحبه أن قتلوا.

واستسلم للأسر منهم ثلاثة نفر:

حَبِيبُ بنِ عَدَى.

وزيد بن الدثنة.

وعبد الله بن طارق - رضي الله عنه -.

فاسترقَّهم الهذليون وخرجوا بهم إلى مكة لبيعوهم بها.

ومعنى بيعهم بمكة تسليمهم للقتلة المتربصين. فإن أولئك النفر، من

الرجال الذين قاتلوا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في «بدر» و«أُحد» ولأهل مكة لديهم ثارات يودون الاشتفاء منها.

ويحكى لنا «أبو هريرة» - رضي الله عنه - قصتهم - كما في صحيح البخارى -

فيقول: «بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عشرة عِيناً (٣) فأمر عليهم «عاصم بن ثابت» حتى إذا كانوا «بالهدأة» بين «عسفان» و«مكة» ذُكروا لحيٍّ من «هذيل» يقال لهم: «بنو لحيان» فنفروا إليهم بقريب من مائة رجل رامٍ، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مآكلهم التمر في منزلٍ نزلوه. فقالوا:

تمر يثرب. فاتبعوا آثارهم.

فلماً أحسَّ بهم «عاصم» وأصحابه لجأوا إلى موضع، فأحاط بهم القوم

فقالوا لهم:

انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق ألا نقتل منكم أحداً.

فقال عاصم بن ثابت:

(١) حَمَّ الإله: قَدَره. وآتِل: صائر.

(٢) هابِل: تاكل.

(٣) العيون التي تبث بالأخبار، وتكون كذلك بين صفوف الأعداء.

«أيها القوم! أمّا أنا، فلا أنزل في ذمّة كافر» ثم قال:
«اللهم أخبر عنا نبيك - ﷺ -».

فرموهم بالنبل فقتلوا عاصمًا. ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق منهم «خبيّب» و«زيد بن الدثنة» ورجل آخر (١).

فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها.
قال الرجل الثالث:

هذا أوّل الغدر والله لا أصحابكم، إن لى بهؤلاء أسوة -يريد القتلى-
فجرّروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه.

وانطلقوا بخبيّب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة «بدر».

فابتاع (٢) بنو الحارث بن عامر بن نوفل «خبيّبًا»، وكان خبيّب هو الذى
قتل: «الحارث بن عامر» يوم «بدر» فلبث خبيّب عندهم أسيرًا حتى أجمعوا
قتله (٣)، فاستعار من بعض بنات الحارث «موسى» يستحدّ بها (٤) فأعارته،
فدرج «بنى» لها وهى غافلة حتى أتاه فوجدته مُجلّسه على فخذه والموسى
بيده!!، قالت: «ففرغت فزعة عرفها خبيّب».

فقال: «أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك».

قالت: والله ما رأيت أسيرًا قطّ خيرًا من خبيّب، والله لقد وجدته يومًا
يأكل قطعًا من عنب فى يده وإنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة!! وكانت
تقول:

«إنه لرزقٌ رزقه الله خبيّبًا».

(١) هو: عبد الله بن طارق -كما تقدم-.

(٢) ابتاع: بمعنى اشترى.

(٣) قال موهب (مولى الحارث بن عامر): قال لى خبيّب، وكانوا جعلوه عندى: «أطلبُ إليك
ثلاثًا: أن تسقينى العذب، وأن تحببني ما ذُبِح على النصب، وأن تؤذني إذا أرادوا
قتلى».

(٤) يستحدّ بها: يزيل الشعر المأمور شرعًا بإزالته.

فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في «الحل»^(١) قال لهم خبيب: دعوني أصلي ركعتين؟ فتركوه فركع ركعتين وقال:

«والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لذت. اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً ولا تبق منهم أحداً» وقال:

ولست أبالى حين أقتل مسلماً

على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ

يبارك على أوصال شلوي ممزوع

ثم قام إليه أبو سرورة عقبة بن الحارث^(٢) فقتله.

وكان خبيب هو الذي سنَّ، لكل مسلم قتل صبراً، الصلاة.

وأخبر -يعنى النبي ﷺ- أصحابه يوم أصيبوا خبرهم، وبعث ناساً من قريش إلى «عاصم بن ثابت» حين حدثوا أنه قُتل أن يؤتوا بشيء منه يُعرف، فبعث الله مثل الظلَّة من الدبر^(٣) فحمته من رسلهم فلم يقدرُوا أن يقطعوا منه شيئاً!! .

وفي رواية:

«لما قُتل «عاصم» أرادت هذيل أخذ رأسه، لبيعوه من سُلَافة بنت سعد ابن شهيد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيتها^(٤) يوم «أحد»: لئن قَدَرْتُ على رأس عاصم لتشربن في قحفه الخمر، فمَنَعته الدبر، فلمَّا حالت بينه وبينهم الدبر قالوا:

دعوه حتى يُمسي فتذهب عنه، فنأخذه، فبعث الله الوادي^(٥)، فاحتمل عاصماً، فذهب به.

(١) قُتل «خبيب» في «التنعيم» وهو موضع بمكة في الحل، وهو بين مكة وسرف على فرسخين من مكة.

(٢) أسلم أبو سرورة بعد ذلك وكان يقول: «ما أنا والله قتلتُ خبيبا، لأني كنتُ أصغر من ذلك، ولكن أبا ميسرة، أبا بني عبد الدار، أخذ الحربة فجعلها في يدي، ثم أخذ بيدي وبالحربة، ثم طعنه بها حتى قتله. أخرجه ابن إسحاق بسند صحيح.

(٣) الدبر: الذنابير والنحل.

(٤) في «الحلية» (١/١١١) وكان عاصم قتل لها يوم «أحد» ثلاثة نفر من بني عبد الدار كلهم صاحب لواء قريش.

(٥) الوادي: السيل الجارف.

وقد كان عاصمٌ قد أعطى الله عهداً أن لا يمسّه مشرك، ولا يمسّ مشركاً أبداً، تَنَجُّسًا؛ فكان عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يقول، حين بلغه أن الدبر منعتة:

«يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر أن لا يمسّه مشرك، ولا يمسّ مشركاً أبداً في حياته، فمنعه الله بعد وفاته، كما امتنع منه في حياته»^(١).

أما جسد «خبيب» - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فيقول عمرو بن أمية:

إن رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعثه وحده عيناً إلى قريش. قال:

فجئتُ إلى خشبة خبيب وأنا أتخوف العيون فرقيتُ فيها. فحللتُ خبيباً فوقع إلى الأرض فانتبذتُ عنه غير بعيد ثم التفتُ فلم أرَ خبيباً ولكأنا ابتلعتُه الأرض فلم يرَ لخبيب أثر حتى الساعة!!».

رثاء ووفاء:

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يبكي خبيباً وأصحابه:

صَلَّى الإله على الذين تَتَابَعُوا	يومَ الرَّجِيعِ فَأُكْرِمُوا وَأُثْبِتُوا
رَأْسَ السَّرِيَّةِ مَرْتُدًّا وَأَمِيرَهُمْ ^(٢)	وَابْنَ الْبُكْبِكِيِّ إِمَامَهُمْ وَخَبِيبَ
وَابْنَ لَطَارِقِ وَابْنَ دَثَنَةَ مِنْهُمْ	وَأَفَاهُ ثُمَّ حَمَامَهُ ^(٣) الْمَكْتُوبِ
وَالْعَاصِمَ الْمَقْتُولَ عِنْدَ رَجِيعِهِمْ	كَسَبَ الْمَعَالِي؛ إِنَّهُ لَكَسُوبِ
مَنْعَ الْمَقَادَةَ أَنْ يَنْالُوا ظَهْرَهُ	حَتَّى يَجَالِدَ ^(٤) ؛ إِنَّهُ لَنْجِيبِ

رضى الله عن «عاصم بن ثابت» وأرضاه.

(١) القصة: أخرجها الطبراني في «الكبير» وقال الهيثمي في «المجمع» (١٩٩/٦): رجاله ثقات.

(٢) الصحيح: أن «عاصم بن ثابت» هو الأمير كما في «صحيح البخاري».

(٣) الحمام: الموت.

(٤) يجالِد: يضارب بالسيف.

[٥] عبد الله بن الزبير

«أَبْشِرْ لَا تَمْسُكُ النَّارُ أَبَدًا!!» حديث شريف

من هو؟:

هو: أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير بن العوام، القرشيُّ الأَسَدِيُّ المَكِّيُّ، أحد الأبطال الشجعان، أبوه: الزبير بن العوام، ابن عمه رسول الله - ﷺ - وحواريه.

وأمه: السيدة أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين.

مولده:

كان عبد الله بن الزبير - رضى الله عنه - أول مولود للمهاجرين بالمدينة. ولد سنة اثنتين، وقيل: سنة إحدى.

عن يتيمة عروة أبي الأسود، قال:

«لما قدم المهاجرون، أقاموا لا يؤلِّدُ لهم. فقالوا: سحرَّتْنا يَهُودٌ، حتى كثرت المقالةُ في ذلك، فكان أول مولود ابن الزبير، فكَبَّرَ المسلمون تكبيرةً واحدةً حتى ارتجَّتْ المدينة، وأمر النبي - ﷺ - أبا بكر، فأذَّنَ في أذنه بالصلاة». . «وطاف أبو بكر به في المدينة ليشتهر أمر ميلاده على خلاف ما زعمت يهود»^(١).

وفي «صحيح مسلم»: «خرجت أسماء بنت أبي بكر، حين هاجرت، وهى حبلى بعبد الله بن الزبير. فقدمت قباء. فنفست^(٢) بعبد الله بقباء. ثم

(١) البداية والنهاية (٦/٩٨).

(٢) نفست: نزل عليها دم النفاس.

خرجت حين نُفست إلى رسول الله - ﷺ - ليُحنِّكه . فأخذه رسول الله - ﷺ - منها فوضعه في حجره، ثم دعا بتمرة . . قالت عائشة {حالته}: فمكثنا ساعة نلتمسها قبل أن نجدها، فمضغها. ثم بصقها في فيه. فإن أول شيء دخل بطنه لريق رسول الله - ﷺ - . ثم قالت أسماء: ثم مسحه وصلى عليه^(١)، وسماه عبد الله . . .» .

فضائله:

● قال الذهبي:

«له صُحبة، ورواية أحاديث . . عداؤه في صغار الصحابة، وإن كان كبيراً في العلم، والشرف، والجهاد، والعبادة» .

● وعن ابن أبي مليكة، قال:

ذكر ابن الزبير عند ابن عباس، فقال:

«قارئ لكتاب الله، عفيفٌ في الإسلام، أبوه الزُّبير، وأمه أسماء، وجدّه أبو بكر، وعمته خديجة، وخالته عائشة، وجدته صفيّة» .

● وعن عثمان بن طلحة، قال:

«كان ابن الزبير لا يُنازع في ثلاثة: شجاعةٍ، ولا عبادةٍ، ولا بلاغةٍ» .

● وعن عروة بن الزبير، قال:

«لم يكن أحد أحبّ إلى عائشة بعد رسول الله من أبي بكر، وبعده ابنُ الزبير»^(٢) .

وقال عروة -أيضاً-: «وما رأيت أبي وعائشة يدعوان لأحد من الخلق مثل دعائهما لابن الزبير» .

● وسئل ابن عباس -رضي الله عنهما- مرة أخرى عن ابن الزبير، فقال:

(١) صلى عليه: أي دعا له .

(٢) تهذيب ابن عساکر (٧/٤٠٢) .

«كان قارئاً لكتاب الله، متبعاً لسنة رسول الله، قانتاً لله صائماً في الهواجر من مخافة الله، ابن حوارى رسول الله - ﷺ -، وأمه بنت الصديق، وخالته عائشة حبيبة حبيب الله، زوجة رسول الله، فلا يجهل حقه إلا من أعماه الله».

يبايع النبي - ﷺ - وهو غلام!!:

عن الزبير بن العوام - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - كلم في غلطة ترعرعوا منهم: عبد الله بن جعفر، وعبد الله بن الزبير، وعمر بن سلمة، فقيل: يا رسول الله لو بايعتهم فتصيبهم بركتك ويكون لهم ذكر، فأتى بهم إليه فكأنهم تكعكعوا واقتحم عبد الله بن الزبير، فتبسم رسول الله - ﷺ - وقال: «إنه ابن أبيه»^(١) وبايعه.

وفي «صحيح مسلم» عن أسماء بنت أبي بكر - أمه - قالت: «... ثم جاء - أي عبد الله - وهو ابن سبع سنين أو ثمان، ليبايع رسول الله - ﷺ -، وأمره بذلك الزبير. فتبسم رسول الله - ﷺ - حين رآه مقبلاً إليه، ثم بايعه!!».

قصة شربه لدم الرسول - ﷺ -!!:

عن عامر بن عبد الله بن الزبير، قال:
سمعتُ أبي يقول:

«إنه أتى رسول الله - ﷺ - وهو يحتجم، فلماً فرغ، قال: «يا عبد الله! اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد»، فلماً برز عن رسول الله - ﷺ -، عمد إلى الدم، فشربه!! فلما رجع، قال:
«ما صنعت بالدم؟».

قال: عمدتُ إلى أخفى موضع علمتُ، فجعلته فيه.

(١) أى: فى شجاعته.

قال: «لعلك شربته؟».

قال: نعم.

قال: «ولم شربت الدم؟ وويل للناس منك، وويل لك من الناس»^(١).

وفى رواية:

قال ابن كثير:

«وقد روى من غير وجه أن عبد الله بن الزبير شرب من دم النبي - ﷺ - : «كان النبي - ﷺ - قد احتجم في طست فأعطاه عبد الله بن الزبير ليريقه فشربه!! فقال له - ﷺ - : «لا تَمَسُّك النارُ إلا تحلَّة القسَم، وويل لك من الناس، وويل للناس منك».

وفى رواية أخرى: أنه قال له: «يا عبد الله اذهب بهذا الدم فأهريقه حيث لا يراك أحد» فلما بعدُ عمد إلى ذلك الدم فشربه، فلما رجع قال: «ما صنعتَ بالدم؟».

قال: إني شربته لأزداد به علماً وإيماناً، وليكون شيء من جسد رسول الله - ﷺ - في جسدي، وجسدي أولى به من الأرض!! فقال: «أبشُر لا تَمَسُّك النارُ أبداً. وويل لك من الناس وويل للناس منك».

قال موسى التَّبُوذَكِيُّ: فحدَّثتُ به أبا عاصم، فقال: كانوا يَرَوْنَ أَنَّ القُوَّة التي به من ذلك الدَّم.

تعبده:

● قال عمر بن عبد العزيز يوماً لابن أبي مليكة.. صف لنا عبد الله بن الزبير، فقال: «والله ما رأيتُ جلدًا قطَّ ركب على لحم ولا لحمًا على عصب ولا عصبًا على عظم مثله، ولا رأيتُ نفسًا ركبَّت بين جنين مثل نفسه، ولقد مرَّت آجرة من المنجنيق بين لحيته وصدره فوالله ما خشع ولا قطع لها قراءته،

(١) قال الهيثمي في «المجمع»: رواه الطبراني والبخاري باختصار، ورجال البزار، رجال الصحيح، غير هنيذ بن القاسم وهو ثقة.

ومن مواعظه:

تقدم أنه كان إذا خطب تجاوبه الجبلان أبو قيس وزروراء!! وهذا دليل على مدى تأثيره - رضي الله عنه - . . ولقد حمل التاريخ إلينا شيئاً من مواعظه فمن ذلك:

● قال محمد بن عبيد الله الثقفي: شهدت خطبة ابن الزبير بالموسم، خرج علينا قبل يوم التروية يوم وهو مُحْرَم، فلبى بأحسن تلبية سمعتها قطاً، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أما بعد: فإنكم جئتم من آفاق شتى وفوداً إلى الله عز وجل فحقّ على الله أن يُكْرَم وفده، فمن كان جاء يطلب ما عند الله فإن طالب الله لا يخيب، فصدّقوا قولكم بفعل فإن ملاك القول الفعل، والنية النية، القلوب القلوب، الله الله في أيامكم هذه فإنها أيام تُغفر فيها الذنوب».

● وعن وهب بن كيسان، قال:

كتب إلى عبد الله بن الزبير بموعظة:

أما بعد: فإن لأهل التقوى علامات يعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم، من صبر على البلاء، ورضى بالقضاء، وشكر النعماء، ذلّ لحكم القرآن وإنما الإمام كالسوق: ما نفق فيها حمل إليها، إن نفق الحق عنده حمل إليه وجاءه أهل الحق، وإن نفق عنده الباطل جاءه أهل الباطل.

شجاعته:

«وكان الزبير - رضي الله عنه - يصحبه إلى المسجد ليؤدي الصلاة . . كما كان يدربه على المبارزة وفنون القتال في سن مبكرة . . وهكذا بث الزبير في وجدان عبد الله الشجاعة والبسالة والبطولة حتى درج نحو الصبا لا يعرف الخوف إلى قلبه سبيلاً . . وهناك حادثة صغيرة تدل على مدى ما كان يتمتع به عبد الله منذ صباه من شمم وعزة نفس . . ذلك أنه كان يلعب في أحد شوارع المدينة مع صبية من أترابه . . وإذا بأمر المؤمنين عمر بن الخطاب يمرّ من

الشارع نفسه . . فتفرق الصبية من هيبة عمر . . إلا عبد الله بن الزبير فإنه ظل واقفاً لم يبرح مكانه . . وهنا تعجب عمر وسأله:

لماذا لم تدع الطريق مثل باقى الصبية؟

فقال له عبد الله: يا أمير المؤمنين . . لست ظالماً فأخافك . .

وليس الطريق ضيقاً فأوسعه لك . . فربت عمر كتف الصبي وقبله . .

وقال للزبير: إن ابنك هذا سيكون له شأن عظيم . .

جهاده:

وتمضى الأيام . . ويزحف المسلمون شرقاً وغرباً لفتح الأمصار . .

ويذهب الزبير بن العوام إلى الشام ليشارك في معركة اليرموك التى دارت رحاها بين المسلمين والروم . . وأراد الزبير أن يلقن ابنه درساً فى فنون القتال، فاصطحبه معه .

ففى «صحيح البخارى»: «أن الزبير أركب ولده عبد الله يوم اليرموك

فرساً وهو ابن عشر سنين، ووكل به رجلاً» .

وشهد عبد الله المسلمين وهم يخوضون معركة ضارية . . بعزيمة لا

تفل . . وبسالة لا تخبو . . ثم يدحرون الروم رغم كثرة عددهم وعتادهم . . ويحققون نصراً عزيزاً .

وكان عبد الله - رضي الله عنه - ممن دافع عن عثمان بن عفان يوم الدار، وأبلى

بلاءً حسناً، وجرح يومئذٍ تسع عشرة جراحة .

وكان على الراحلة يوم الجمل وجرح يومئذٍ تسع عشرة جراحة أيضاً،

وقيل: إنه جرح يومئذٍ بضع وأربعون جراحة، ولم يوجد إلا بين القتلى وبه رمق!! وقد أعطت عائشة - رضي الله عنها - لمن بشرها أنه لم يقتل عشرة آلاف درهم وسجدت لله شكراً، وكانت تحبه حباً شديداً، لأنه ابن أختها وكان عزيزاً عليها كما تقدم (١) .

قَتَلَهُ مَلِكُ الْبَرْبَرِ:

شاء الله تعالى أن يكشف عن موهبة عبد الله العسكرية . . وعن فكره الصائب في العمليات العسكرية . . فقد أرسله أمير المؤمنين عثمان بن عفان أميراً على سرية إلى أفريقيا (ليبيا والمغرب والجزائر الآن) لمعاونة الجيش الذي يقوم بمحاربة البربر فيها . . وعندما وصل عبد الله بفرقة إلى ميدان القتال علم أن الحرب تبدأ كل يوم من طلوع الشمس . . إلى منتصف النهار . . ثم يعود كل جيش إلى مقره اتقاء حرّ الظهيرة . . وهنا تفتق ذهن عبد الله عن حيلة بارعة . . فقد طلب إلى قائد الجيش «عبد الله بن سعد»^(١) أن يحارب بنصف الجنود فقط في أول النهار . . ثم يحارب بالنصف الثاني حين يحاول العدو العودة عند الظهر وقد أجهدهم القتال!

وكانت خطة محكمة . . تدل على ذكاء خارق في إدارة المعارك . . والتحم الجيشان كعادتهما كل يوم عند طلوع الشمس . . ولما حان وقت الظهيرة استدار جيش العدو عائداً . . فانقض عليه المسلمون . . وأعملوا فيه السيوف . . ومزقوه شراً ممزقاً .

وكان البربر في عشرين ومائة ألف، والمسلمون عشرون ألفاً، فأحاطوا بهم من كل جانب . . وركب عبد الله بن الزبير في ثلاثين فارساً، وسار نحو ملك البربر وهو منفرد وراء الجيش، وجواريه يظللونه بريش النعام، فساق حتى انتهى إليه والناس يظنون أنه ذاهب برسالة إلى الملك، فلما فهمه الملك ولّى مدبراً فلحقه عبد الله فقتله واحتز رأسه وجعله في رأس رمح!! وكبر وكبر المسلمون! وحملوا على البربر فهزموهم . . وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وغنموا أموالاً كثيرة جداً!

قلت: هذه هي العزة ورب الكعبة، فأين عزتنا الآن يا رجال؟! .

وبعث عبد الله بن سعد «الأمير» بالبشارة مع ابن الزبير، ليبشر أمير المؤمنين «عثمان بن عفان» - رضي الله عنه - بالنصر المبين فوصل عبد الله إلى أمير

(١) هو: عبد الله بن سعد بن أبي السرح ستأتى ترجمته - إن شاء الله تعالى - .

المؤمنين عثمان وقصّ عليه الخبر وكيف جرى، فقال له عثمان: إن استطعت أن تؤدّي هذا للناس فوق المنبر؟
قال: نعم! .

فأمره فصعد ابن الزبير فوق المنبر فخطب الناس وذكر لهم كيفية ما جرى، قال عبد الله: فالتفت فإذا أباي «الزبير» في جملة من حضر، فلما تبين وجهه كاد يرتج على في الكلام^(١) من هيئته في قلبي، فرموني بعينه وأشار إلي ليحضني، فمضيت في الخطبة كما كنت، فلما نزلت قال: والله لكأنى أسمع خطبة أبا بكر الصديق حين سمعت خطبتك يا بني.

درس عظيم في الثبات على المبدأ:

مرّت الأيام ودارت عجلة الزمن . . ولما مات أمير المؤمنين يزيد بن معاوية بن أبي سفيان . . واستشهد الحسين بن علي - عليه السلام - . . خلا الميدان لعبد الله بن الزبير . . فقام يدعو لنفسه . . وكان مقصده - هو - تجديد شباب الخلافة . . وردّ الناس إلى المنهاج الأول . . وإنقاذ المسلمين من بطش الحجاج^(٢) وأعوانه .

وبُوع بالخلافة عند موت يزيد سنة أربع وستين، وحكم على الحجاز، واليمن، ومصر، والعراق، وخراسان، وبعض الشام. ولم يستوسق له الأمر . . وعارضه مروان بن الحكم وأخذ الشام ومصر من نواب ابن الزبير، ثم جهز السرايا إلى العراق، ومات وتولّى بعده عبد الملك بن مروان «أمير المؤمنين» فبعث إلى عبد الله بن الزبير بجيش على رأسه الحجاج الثقفي فحاصر مكة قريباً من سبعة أشهر . . ولاذ ابن الزبير بالكعبة . . فحاصره الحجاج . . ورمى الكعبة بالمنجنيق!! فقتلوا خلقاً كثيراً . . وحبس عن عبد الله ابن الزبير ومن معه الميرة والماء، فكانوا يشربون من زمزم، وجعلت الحجارة

(١) أي: يتلعثم.

(٢) الحجاج هو: الحجاج بن يوسف الثقفي قال عنه الذهبي: كان ظلوماً، جباراً، سفاكاً للدماء . . نسبه ولا نجهه . . وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه. وأمره إلى الله «سير (٣٤٣/٤).

تقع في الكعبة والحجاج يصيح بأصحابه: يا أهل الشام الله الله في الطاعة.. .
وجعل أهل مكة يخرجون إلى الحجاج بالأمان ويتركون ابن الزبير حتى خرج
إليه قريب من عشرة آلاف فأمّنهم وقل أصحاب ابن الزبير جداً، حتى خرج
إلى الحجاج حمزة وخبيب ابنا عبد الله بن الزبير، فأخذا لأنفسهما أماناً من
الحجاج فأمّنهما!! .

ودخل عبد الله بن الزبير على أمه «أسماء» فشكا إليها خذلان الناس
له، وخروجهم إلى الحجاج حتى أولاده وأهله، وأنه لم يبق معه إلا اليسير،
ولم يبق لهم صبر ساعة، والقوم يعطونني ما شئتُ من الدنيا، فما رأيك؟

فقالت: يا بني أنت أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حقٍّ وتدعو
إلى حقٍّ فاصبر عليه فقد قُتل عليه أصحابك، ولا تمكّن من رقبتك يلعب بها
غلمان بني أمية، وإن كنت تعلم أنك إنما أردت الدنيا فلبئس العبد أنت؟
أهلكت نفسك وأهلكت من قُتل معك، وإن كنت على حقٍّ فما وهن الدين
وإلى كم خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن. فدنا منها فقبل رأسها وقال: هذا
والله رأيي، ثم قال: والله ما ركنت إلى الدنيا ولا أحببت الحياة فيها، وما
دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرّمته، ولكني أحببت أن أعلم
رأيك فزدتيني بصيرة مع بصيرتي، فانظري يا أمّاه فإني مقتول في يومى هذا
فلا يشتد حزنك، وسلمى لأمر الله، فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكراً، ولا
عمل بفاحشة قط، ولم يجز في حكم الله، ولم يغدر في أمان، ولم يتعمد
ظلم مسلم ولا معاهد، ولم يبلغني ظلم عن عامل فرضيته بل أنكرته، ولم
يكن عندي أثر من رضا ربي عزّ وجلّ، اللهم إني لا أقول هذا تزكية لنفسى،
اللهم أنت أعلم بى منى ومن غيرى ولكنى أقول ذلك تعزية لأمى لتسلو
عنى .

فقالت أمه: إني لأرجو أن يكون عزائي فيك حسناً، إن تقدمتني أو
تقدمتك .

فقال عبد الله: جزاك الله يا أمه خيراً فلا تدعى الدعاء قبل وبعد .

فقالت: لا أدعه أبداً. ثم قالت: اللهم ارحم طول ذلك القيام^(١) وذلك النحيب^(٢)، والظماً في هواجر المدينة ومكة^(٣)، وبره بأبيه وبى، اللهم إني قد سلمته لأمرك فيه ورضيتُ بما قضيتُ فقابلني في عبد الله بن الزبير بثواب الشاكرين الصابرين.

ثم قالت له: ادن مني أودعك فدنا منها فقبلته ثم أخذته إليها فاحتضنته لتودعه واعتنقها ليودعها - وكانت قد أضرت في آخر عمرها^(٤) - فوجدته لابساً درعاً من حديد فقالت: يا بني ما هذا لباس من يريد ما يريد من الشهادة!!.

فقال: يا أمّاه إنما لبسته لأطيب خاطرک وأسكن قلبك به.

فقالت: لا يا بني ولكن انزعه فتزعه وجعل يلبس بقية ثيابه ويتشدد وهي تقول: شمّر ثيابك، وجعل يتحفظ من أسفل ثيابه لئلا تبدو عورته إذا قُتل، وجعلت تذكره بأبيه الزبير، وجدّه أبى بكر الصديق، وجدته صفيّة بنت عبد المطلب، وخالته عائشة زوج رسول الله - ﷺ - وترجيه القدوم عليهما إذا هو قُتل شهيداً، ثم خرج من عندها فكان ذلك آخر عهده بها - ﷺ - وعن أبيه وأبيها.

الأسد الضارى:

ودّع ابن الزبير أمّه وخرج إلى الحرم. . وكانت أبواب الحرم قد قل من يحرسها من أصحاب الزبير. . فكان ابن الزبير لا يخرج على أهل باب إلاّ فرّقهم وبدد شملهم، وهو غير ملبس حتى يخرجهم إلى الأبطح ثم يصيح لو كان قرني واحداً لكفيته، فيقول أهل الشام: إى والله وألف رجل، ولقد كان حجر المنجنيق يقع على طرف ثوبه فلا ينزعج بذلك! ثم يخرج إليهم فيقاتلهم

(١) أى: قيامه.

(٢) النحيب: بكاءه من خشية الله.

(٣) ظماً الهواجر: أى صيام النهار.

(٤) أضرت: أى عميت - ﷺ -.

كأنه أسد ضارى، حتى جعل الناس من أهل الشام وغيرهم يتعجبون من إقدامه وشجاعته.

الشهادة:

فلما كانت ليلة الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى من هذه السنة بات ابن الزبير يصلّى طول ليلته ثم جلس فاحتبى^(١) بحميلة سيفه فأغفى ثم انتبه مع الفجر على عادته، ثم قال: أذّن يا سعد، فأذن عند المقام، وتوضأ ابن الزبير ثم صلّى ركعتى الفجر، ثم أقيمت الصلاة فصلى الفجر، ثم قرأ سورة «ن» حرفاً حرفاً، ثم سلّم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لأصحابه:

ما أرانى اليوم إلا مقتولاً فإنى رأيتُ فى منامى كأن السماء فرجت لى فدخلتها، وإنى والله قد مللتُ الحياةُ وجاوزتُ سنّ أبى . . اللهمّ إنى أحبّ لقاءك فأحبّ لقاءى .

ثم قال لأصحابه: اكشفوا وجوهكم حتى أنظر إليكم، فكشفوا وجوههم وعليهم المغافر، فحرّضهم وحثّهم على القتال والصبر، ثم نهض ثم حمل وحملوا حتى كشفوا أهل الشام إلى الحجون فجاءته آجرة فأصابته فى وجهه فارتعش لها، فلما وجد سخونة الدم يسيل على وجهه تمثل بقول بعضهم:

ولسنا على الأعقابِ تدمى كلُّومنا ولكن على أقدامنا تقطرُ الدِّما

ثم رجع فجاءه حجر منجنيق من ورائه فأصابه فى قفاه فوقع إلى الأرض على وجهه، ثم انتفض فلم يقدر على القيام، وابتدره الناس فشدّ عليه رجل من أهل الشام فضرب الرجل فقطع رجله وهو متكئ على مرفقه الأيسر!! وجعل يضرب وما يقدر أن ينهض حتى كثروا عليه فابتدروه بالسيوف فقتلوه! وجاؤوا إلى الحجاج فأخبروه فخرّ ساجداً!! قبّحه الله .

ولمّا علم جيش الحجاج بمصرع عبد الله بن الزبير ضح بالتكبير!!!

(١) احتبى: اشتمل.

فقال عبد الله بن عمر: إن المكبرين يوم ولد.. خير من المكبرين يوم قُتل.. لقد شاء الله تعالى أن يستقبل حياته بالتكبير.. ويودّع حياته بالتكبير.. ولكن شتان بين تكبير الفرح.. وتكبير الشماتة!!

قال ابن عساكر: إنه لما قتل ابن الزبير ارتجت مكة بكاء على عبد الله بن الزبير - رحمه الله-، فخطب الحجاج الناس فقال:

أيها الناس! إن عبد الله بن الزبير كان من خيار هذه الأمة حتى رغب في الدنيا ونازع الخلافة أهلها، فخلع طاعة الله وألحد في حرم الله!!!^(١).

... ثم قال: وإن ابن الزبير غير كتاب الله!!!.. فقال له عبد الله بن عمر: لو شئت أن أقول لك كذبت لقلت، والله إن ابن الزبير لم يغيّر كتاب الله، بل كان قوَّامًا به صوَّامًا، عاملاً بالحق^(٢).

الشموخ عند المصائب:

أمر الحجاج بجثة ابن الزبير فصُلبت على ثنية عند «الحجون».

وخرجت إليه أمه - رضي الله عنها - حتى وقفت عليه وهي على دابة، فأقبل الحجاج في أصحابه فسأل عنها فأخبر بها، فأقبل حتى وقف عليها فكان مما قاله لها: «... إن ابنك ألحد في هذا البيت، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾^(٣).. فقالت: كذبت، كان أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة، وسرَّ به رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - وحنَّكه بيده وكبَّر المسلمون يومئذ حتى ارتجت المدينة فرحًا به، وقد فرحت أنت وأصحابك بمقتله، فمن كان فرح يومئذ بمولده خير منك ومن أصحابك، وكان مع ذلك برًّا بالوالدين صوَّامًا قوَّامًا بكتاب الله، معظَّمًا لحرم الله.. فقال لها: انصرفي يا عجوز، فإنك قد خرفت!! فقالت: والله ما خرفتُ منذ سمعت رسول الله

(١) انظر أخى القارئ إلى صفاقة هذا الخبيث وكذبه.

(٢) البداية والنهاية (٩٧/٦).

(٣) سورة الحج: ٢٥.

- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: «يخرج من ثقيف كذابٌ ومُبِيرٌ»، فأما الكذاب فقد رأيناه (١)، وأما المبيرُ فأنت فانكسر الحجاج وانصرف.

وروى مسلم في «صحيحه» عن أبي نوفل، قال:

رأيتُ عبد الله بن الزبير على ثنية الحجون مصلوباً فجعلت قريش تمر عليه والناس حتى مرَّ عليه عبد الله بن عمر فوقف عليه فقال: «السلام عليك أبا خبيِّب، السلام عليك أبا خبيِّب، السلام عليك أبا خبيِّب، أما والله لقد كنتُ أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنتُ أنهاك عن هذا، أما والله إن كنت ما علمت صَوَّامًا قَوَّامًا وصولاً للرحم، أما والله لأُمَّة أنت أشرُّها لأُمَّة خير.. وبلغ الحجاج ما قال ابن عمر، فأرسل إليه فأنزله..

قال مصعب بن عبد الله: حملته أمه فدفنته بالمدينة في دار «صفية أم المؤمنين»، ثم زيدت دارُ صفية في المسجد، فهو مدفونٌ مع النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يعنى بقُربِه (٢).

وقيل: إنه دفن بالحجون، وذكروا أنه كان يُشْتَمُّ من عند قبره ريح المسك. فالله أعلم.

وكان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قد جاوز السبعين.

وأما أمه فإنها لم تعش بعده إلا مائة يوم.. -رضى الله عنهم أجمعين-.

(١) تقصد: مسيلمة الكذاب.

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/٣٧٩)، وتهذيب ابن عساكر (٧/٤٢١).

[٦] أبو هريرة

«سَيِّدُ الْحُفَّازِ الْأَثْبَاتِ»

من هو؟:

هو: أبو هريرة الدوسى اليمانى، اختلفوا فى اسمه على ثمانية عشر قولاً؛ أرجحها: عبد الرحمن بن صخر كناه الرسول - ﷺ -: أبا هريرة. والمشهور عنه أنه كنى بأولاد هرة بريّة. قال: وجدتها، فأخذتها فى كُمِّي؛ فكُنتُ بذلك.

وعن عبد الله بن رافع: قلتُ لأبى هريرة: لم كنوك أبا هريرة؟ قال: أما تفرقُ منى؟

قلت: بلى، إني لأهابك.

قال: كنتُ أرعى غنماً لأهلى، فكانت لى هريرة ألعبُ بها فكُنونى بها^(١).

قال ابن سيرين: كان أبو هريرة أبيض ليناً، لحيته حمراء.

إسلامه:

أسلم -رضى الله تعالى عنه- سنة سبع ورسول الله - ﷺ - بخيبر.

ويحدثنا -رضي الله عنه- عن قصة قدومه بعد إسلامه إلى المدينة فيقول:

«خرج النبیُّ - ﷺ - إلى خيبر، وقدمتُ المدينة مهاجراً، فصليتُ الصبح خلف سباع بن عرفطة - كان استخلفه (أى على المدينة) - فقرأ فى السجدة الأولى بسورة «مریم» وفى الآخرة «ويل للمطففين» فقلتُ: ويل لأبى! قلَّ

(١) إسناده حسن: أخرجه الترمذى (٣٨٤٠) فى المناقب.

رجلٌ كان بأرض الأزد، إلاّ كان له مكيالان: مكيال لنفسه؛ وآخر ييخسُ به الناس^(١).

وفى رواية للبخاري: فقلتُ: هلك فلان، له صاعان: صاع يُعطى به، وصاع يأخذ به.

صحب أبو هريرة - رضي الله عنه - النبي - صلى الله عليه وآله - «أربع سنين»^(٢) وحمل عنه علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه. فأكثر الرواية عنه وحمل إلينا من هديه وسنته وأحكامه الشيء الكثير. وأصبح من أهم المراجع المعتمدة عند أصحاب الرسول - صلى الله عليه وآله - وعند التابعين، ومن بعدهم إلى يومنا هذا. وعندما تعجب البعض من كثرة روايته للحديث قال أبو هريرة:

«إنكم تقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله! وتقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثله! وإن إخواني المهاجرين كان يشغلهم الصَّفْقُ بالأسواق، وكان إخواني من الأنصار يشغلهم عملُ أموالهم، وكنت امرأً مسكيناً من مساكين الصَّفقة، ألزم رسول الله - صلى الله عليه وآله - على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعى حين ينسون، وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - في حديث يحدثه يوماً:

«إنه لن يبسط أحدٌ ثوبه حتى أقضى جميعَ مقالتي، ثم يجمعُ إليه ثوبه، إلاّ وعى ما أقول».

فبسطتُ نَمرةً علىّ، حتى إذا قضى مقالته، جمعتها إلى صدري فما نسيتُ من مقالة رسول الله - صلى الله عليه وآله - تلك من شيء متفق عليه. وفى رواية أنه قال:

«تزعمون أنى أكثر الرواية عن رسول الله - صلى الله عليه وآله -! والله الموعد - إنى كنت امرأً مسكيناً، أصحبُ رسول الله - صلى الله عليه وآله - على ملء بطني، وإنه حدثنا يوماً، وقال:

(١) إسناده قوى: أخرجه يعقوب بن سفيان فى «تاريخه» (٣/١٦٠)، وابن سعد.
(٢) قال الإمام الذهبى: وهذا أصح. فمن فتوح خيبر إلى الوفاة - أى وفاة النبي - صلى الله عليه وآله - أربعة أعوام وليالٍ. «سير أعلام النبلاء» (٢/٥٩٠).

«مَنْ يَبْسُطُ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضَى مَقَالَتِي، ثُمَّ قَبْضَهُ إِلَيْهِ، لَمْ يَنْسَ شَيْئًا سَمِعَ مِنِّي أَبَدًا» ففعلتُ. فوالذي بعثه بالحق، ما نسيتُ شيئًا سمعته منه» متفق عليه.

قال الحافظ في «الفتح» (١/١٠٤) بعد أن ذكر الإسنادين: والإسنادان جميعاً محفوظان صححهما الشيخان.

علمه:

تعرض أبو هريرة -رضي الله عنه- لهجوم عنيف شنّه الأعداء عليه قديماً وحديثاً. واتهموه بالكذب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-!! فماذا قال أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- والعلماء عن علم أبي هريرة؟

● جاء رجلٌ إلى طلحة بن عبيد الله -رضي الله عنه-، فقال: يا أبا محمد، رأيت هذا اليماني -يعنى: أبا هريرة- أهو أعلمٌ بحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منكم؟ نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم، أم هو يقول على رسول الله ما لم يقل؟

قال: «أمّا أن يكون سمع ما لم نسمع، فلا أشكُّ، سأحدثك عن ذلك: إنا كنا أهل بيوتات وغنم وعمل، كنا نأتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- طرفي النهار، وكان مسكيناً، ضيقاً على باب رسول الله، يده مع يده، فلا نشك أنه سمع ما لم نسمع، ولا تجد أحداً فيه خيرٌ يقول على رسول الله ما لم يقل»^(١).

● وعن عروة بن الزبير أن عائشة -رضي الله عنها- قالت:

«ألا يعجبك أبو هريرة جاء فجلس إلى جنب حجرتي يحدث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- يُسمعني ذلك، وكنت أسبح (أصلي نافلة) فقام قبل أن أقضى سبحتي، ولو أدركته لرددت عليه، إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يكن يسرد الحديث كسرديكم» رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

وقول السيدة عائشة: لو أدركته لرددت عليه، أى: لأنكرت عليه، وبينت له أن الترتيل في الحديث أولى من السرد.

(١) إسناده حسن: رواه الترمذى (٣٨٣٧) وحسنه. والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

قال الحافظ: «واعتر عن أبي هريرة بأنه كان واسع الرواية، كثير المحفوظ، فكان لا يتمكّن من المهل عند إرادة التحديث، كما قال بعض البلغاء: أريد أن أقتصر، فتزدحم القوافي على في» اهـ.

● وقيل لابن عمر: هل تنكر مما يحدثُ به أبو هريرة شيئاً؟ فقال: لا، ولكنه اجتراً، وجبناً^(١).

فقال أبو هريرة: فما ذنبي، إن كنتُ حفظتُ ونسوا!

● قال الإمام الذهبي -رحمه الله تعالى-: «احتجَّ المسلمون قديماً وحديثاً بحديثه؛ لحفظه وجلالته وإتقانه وفقهه، وناهيك أن مثل ابن عباس يتأدّب معه، ويقول: أفْتِ يا أبا هريرة» اهـ.

ويحدثُ أبو هريرة -رضي الله عنه- عن نفسه فيقول:

«ما أحدٌ من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أكثر حديثاً مني عنه، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب، وكنتُ لا أكتب»^(٢).

وهذا الحديث يدل على أن أبا هريرة كان يجزم بأنه ليس في الصحابة أكثر حديثاً منه إلا عبد الله بن عمرو بن العاص، مع أن الموجود المروى عن عبد الله بن عمرو أقل من الموجود المروى عن أبي هريرة بأضعاف مضاعفة.

وقد قال العلماء: إن السبب فيه من جهات:

أحدها: أن عبد الله كان مشتغلاً بالعبادة أكثر من اشتغاله بالتعليم، فقلت الرواية عنه.

ثانيها: أنه كان أكثر مقامه بعد فتوح الأمصار بمصر أو بالطائف، ولم تكن الرحلة إليهما ممن يطلب العلم كالرحلة إلى المدينة، وكان أبو هريرة متصدياً فيها للفتوى والتحديث إلى أن مات، ويظهر هذا من كثرة من حمل عن أبي هريرة، فقد ذكر البخاري أنه روى عنه ثمان مائة نفس من التابعين!!.

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣/٥١٠)، والحافظ في «الإصابة» (١٢/٧٦).

ثالثها: ما اختص به أبو هريرة من دعوة النبي - ﷺ - له بأن لا ينسى ما يحدثه به .

رابعها: أن عبد الله كان قد ظفر في الشام بحمل جمل من كتب أهل الكتاب، فكان ينظر فيها ويحدث منها، فتجنب الأخذ عنه لذلك كثير من أئمة التابعين!! .

هذا هو فضل أبي هريرة . . وقُتِل الخراصون . . الأقرام الذين سخروا أقلامهم للحط من شأن الأئمة الأعلام . . فأين الثرى من الثريا؟! .

أمّا قوله -رضى الله تعالى عنه- عن نفسه: «حفظتُ من رسول الله - ﷺ - وعاءين: فأما أحدهما، فبثثته في الناس؛ وأما الآخر، فلو بثثته، لقطع هذا البلعوم»^(١) .

فقد حمل العلماء الوعاء الذي لم يبيته على الأحاديث التي فيها تبيين أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم . وقد كان أبو هريرة يكتفى عن بعضه، ولا يصرح به خوفاً على نفسه منهم، كقوله: «أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان» يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية، لأنها كانت سنة ستين من الهجرة، واستجاب الله دعاء أبي هريرة، فمات قبلها بسنة .

وقال ابن المنير: جعل بعضهم هذا الحديث ذريعة إلى تصحيح باطلهم حيث اعتقدوا أن للشريعة ظاهراً وباطناً، وذلك الباطل، إنما حاصله الانحلال من الدين، وإنما أراد أبو هريرة -رضي الله عنه- بقوله: «قطع» أى: قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه لفعلهم، وتضليله لسعيهم، ويؤيد ذلك أن الأحاديث المكتومة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها»^(٢) .

بره بوالدته:

● يروى لنا أبو هريرة -رضي الله عنه- قصة بره بوالدته .

(١) صحيح: أخرجه البخارى (١/١٨٤) فى «العلم» .

(٢) هامش: «سير أعلام النبلاء» (٢/٥٩٧) .

فيقول يزيد بن عبد الرحمن: حدثني أبو هريرة، قال:

والله، ما خلق الله مؤمناً يسمعُ بي إلاَّ أحببني.

قلتُ: وما علمك بذلك؟

قال: إن أُمِّي كانت مُشركَةً، وكنت أدعوها إلى الإسلام، وكانت تأتي عليَّ، فدعوتهَا يوماً؛ فأسمعتني في رسول الله - ﷺ - ما أكره، فأتيتُ رسولَ الله، وأنا أبكي، وأخبرته، وسألته أن يدعوَ لها.

فقال: «اللهمَّ اهدِ أمَّ أبي هريرة».

فخرجتُ أعدوُ أبشرها، فأتيتُ، فإذا البابُ مُجَافٌ، وسمعتُ خضخضةَ الماء، وَسَمِعْتُ حِسِيَّ.

فقلتُ: كما أنت، ثم فتحت، وقد لَبَسَتْ دَرَعَهَا، وَعَجَلَتْ عن خمارها. فقلتُ: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله. قال: فرجعتُ إلى رسول الله، أبكي من الفرح كما بكيتُ من الحزن؛ فأخبرته، وقلتُ: ادعُ الله أن يُحِبَّ بي وأُمِّي إلى عباده المؤمنين، فقال: «اللهمَّ حَبِّبْ عبيدك هذا وأُمَّه إلى عبادك المؤمنين، وحبِّبهم إليهما» أخرجهُ أحمد وإسناده حسن.

● وعن أبي هريرة، قال:

خرجتُ يوماً من بيتي إلى المسجد، فوجدتُ نفرًا.

فقالوا: ما أخرجك؟

قلتُ: الجوع.

فقالوا: ونحن والله ما أخرجنا إلا الجوع.

فقمنا، فدخلنا على رسول الله - ﷺ - . . .

فقال: «ما جاء بكم هذه الساعة؟»

فأخبرناه؛ فدعا بطبق فيه تمر، فأعطى كُلَّ رجلٍ منا تمرتين.

فقال: «كُلُّوا هَاتَيْنِ التَّمْرَتَيْنِ، وَاشْرَبُوا عَلَيْهِمَا مِنَ الْمَاءِ، فَإِنَّهُمَا سَتُجْزِيَانِكُمْ يَوْمَكُمْ هَذَا».

فَأَكَلْتُ تَمْرَةً، وَخَبَأْتُ الْأُخْرَى!!.

فقال: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، لِمَ رَفَعْتَهَا؟»

قلت: لَأُمِّي!

قال: «كُلِّهَا، فَسَنُعْطِيكَ لَهَا تَمْرَتَيْنِ»^(١).

● وصورة ثالثة يقصُّها علينا أبو مرَّة، فيقول:

«إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَسْتَخْلِفُهُ مِرْوَانَ^(٢)، وَكَانَ يَكُونُ بِ«ذِي الْخُلَيْفَةِ»، فَكَانَتْ أُمُّهُ فِي بَيْتٍ، وَهُوَ فِي آخَرٍ.

قال: فإذا أراد أن يخرج وقف على بابها، فقال: السلام عليكم يا أمَّته ورحمة الله وبركاته.

فتقول: وعليك السلام يا بني ورحمة الله وبركاته.

فيقول: رحمك الله كما رببتني صغيراً.

فتقول: يا بني وأنت فجزاك الله خيراً ورضى عنك كما بررتني كبيراً».

ما أجمل هذه المحاوره!! وما أبدع ما تحمله في طياتها من معاني الإنسانية السامية! مناجاة بليغة، فيه تحية القلب، وولاء النفس، واعتراف بالجميل، وشكر على الإحسان.. وهكذا فليكن الأبناء.

وروى ابن عساکر في «تاريخه» (٥١٦/٤٧) أن أبا هريرة لازم أمه، ولم يحج حتى ماتت؛ لصحبته!!.

تعبده - رُوِيَ -:

● عن الطُّفَاوِي، قال:

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣٢٨/٤)، ورجاله ثقات خلا والد محمد بن هلال فقد وثقه ابن حبان.

(٢) مروان بن الحكم من أمراء بني أمية.. والقصة: في «الأدب المفرد» للبخاري.

نزلتُ على أبي هريرة بالمدينة ستة أشهر، فلم أر من أصحاب رسول الله - ﷺ - رجلاً أشدَّ تشميراً ولا أقومَ على ضيفٍ، من أبي هريرة.

فدخلتُ عليه ذاتَ يومٍ، وهو على سريرِهِ، ومعه كيس فيه نوى - أو حصى - أسفل منه سوداء^(١)، فيسبحُ، ويلقى إليها، فإذا فرغ منها، ألقى إليها الكيس؛ فأوعته فيه، ثم ناولته؛ فيعيد ذلك!!^(٢).

● وعن أبي عثمان النهديّ، قال:

تضيّفتُ أبا هريرة سبعمائة؛ فكان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثاً: يُصلّي هذا، ثم يوقظ هذا، ويُصلّي هذا، ثم يوقظ هذا.

قلت: يا أبا هريرة، كيف تصوم؟

قال: أصومُ من أوّل الشهر ثلاثاً^(٣).

● وفي «صفة الصفوة» (١/٣٥١) عن عكرمة أن أبا هريرة كان يسبح

في كل يوم اثنتي عشرة ألف تسيحة ويقول: أسبح بقدر ذنبي.

معجزة:

عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال:

والله؛ إن كنتُ لأعتمد على الأرض من الجوع^(٤)، وإن كنتُ لأشدُّ الحَجَرَ على بطني من الجوع؛ ولقد قعدتُ على طريقهم، فمرَّ بي أبو بكر، فسألته عن آية في كتاب الله - ما أسأله إلا ليستبغني - فمرَّ، ولم يفعل، فمرَّ عمر، فكَذلك، حتى مرَّ بي رسولُ الله - ﷺ -، فعرف ما في وجهي من الجوع..

(١) سوداء: أى امرأة سوداء.

(٢) ضعيف: رواه أحمد (٢/٥٤٠، ٥٤١). . . والثابت: هو عدّ التسبيح على الأنامل. . . وللشيخ/ بكر بن عبد الله أبو زيد - حفظه الله - رسالة لطيفة بعنوان «السبحة.. تاريخها وحكمها» فراجعها فإنها مهمة.

(٣) صحيح: ذكره الحافظ في الإصابة (١٢/٧٧)، ونسبه لأحمد في «الزهد» وصححه.

(٤) حيث أنه - رضى الله عنه - لما هاجر من بلده إلى المدينة خلف وراءه كل ما يملك! .

فقال: «أبو هريرة؟».

قلت: لبيك يا رسول الله. فدخلتُ معه البيت، فوجد لبناً في قَدَحٍ.

فقال: «من أين لكم هذا؟».

قيل: أرسل به إليك فلان.

فقال: «يا أبا هريرة، انطلق إلى أهل الصُّفَّةِ، فادْعُهُمْ».

- وكان أهل الصُّفَّةِ أضياف الإسلام، لا أهل ولا مال إذا أتت رسولَ الله

- ﷺ - صدقة، أرسل بها إليهم، ولم يُصَبْ منها شيئاً، وإذا جاءته هدية، أصاب منها، وأشركهم فيها - فساءنى إرساله إياي.

فقلت: كنتُ أرجو أن أصيبَ من هذا اللبن شربةً أتقوى بها، وما هذا اللبنُ في أهل الصُّفَّةِ!.

ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بُدُّ، فأتيتهم، فأقبلوا مجيبين،

فلما جلسوا.

قال: «خُذْ يا أبا هريرة، فأعطهم!».

فجعلتُ أعطى الرَّجُلِ، فيشربُ حتى يروى، حتى أتيتُ على جميعهم؛

وناولته رسولَ الله - ﷺ -، فرفع رأسه إلىَّ متبسِّماً.

وقال: «بقيتُ أنا وأنت».

قلتُ: صدقت يا رسول الله.

قال: «فأشرب» فشربتُ.

فقال: «أشرب»، فشربتُ. فما زال يقول: «أشرب» فأشرب؛ حتى

قلتُ: والذي بعثك بالحق، ما أجدُ له مَسَاعِغًا. فأخذ، فشرب من

الْفَضْلَةِ!!^(١).

(١) صحيح: أخرجه البخارى (٢٤١/١١) فى «الرقاق».

شكر الله تعالى:

وتمضى الأيام بأبى هريرة.. ويلحق النبي ﷺ - بالرفيق الأعلى..
ويطول العمرُ بأبى هريرة.. ويَعِينُ على بعض الأمصار.. ويفتح الله تعالى
عليه من الدنيا.. فتأتيه راغمة صاغرة.. ويتذكر أبو هريرة ما كان فيه من
جهد وفقر.. فيتوجه إلى الله تعالى الشُّكر.

● عن مضارب بن حزن، قال:

بينما أنا أسيرٌ تحت الليل، إذا رجلٌ يكبر، فألحقه بعيرى.

فقلتُ: من هذا؟

قال: أبو هريرة.

قلتُ: ما هذا التكبير؟

قال: شكر.

قلتُ: على مه؟

قال: كنتُ أجيراً لبُسرة بنت غزوان بَعْبَةَ رجلى، وطعام بطنى، وكانوا
إذا ركبوا، سقتُ بهم، وإذا نزلوا، خدمتهم، فزوجنيها الله! فهى امرأتى^(١).

وفى رواية: «أنه صلى بالناس يوماً، فلما سلّم، رفع صوته، فقال:
الحمد لله الذى جعل الدين قواماً، وجعل أبا هريرة إماماً؛ بعد أن كان أجيراً
لابنة غزوان على شيع بطنه، وحمولة رجله» أخرجهُ أبو نعيم. ولم تغير
الإمارة من نفسه المتواضعة، وشمائله الحسنة أى شىء!.

يقول ثعلبة بن أبى مالك القرظى:

أقبل أبو هريرة فى السوق يحملُ حُزْمَةَ حطبٍ، وهو يومئذٍ خليفة،
لمروان، فقال: أوسع الطريق للأمير!!.

(١) رجاله ثقات: أخرجهُ أبو نعيم فى «الخلية» (١/٣٨٠).

حوار بين أمير المؤمنين عمر وأبي هريرة:

استعمل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أبا هريرة على البحرين، فقدم بعشرة آلاف.

فقال له عمر: استأثرت بهذه الأموال يا عدو الله، وعدو كتابه؟

فقال أبو هريرة: لست بعدو الله وعدو كتابه؛ لكنني عدو من عاداهما.

قال: فمن أين هي لك؟

قلت: خيلٌ نتجت، وغلّة رقيق لي، وأعطيةٌ تتابعت.

فنظروا، فوجدوه كما قال.

فلما كان بعد ذلك، دعاه عمر ليوثيه، فأبى.

فقال عمر: تكره العمل وقد طلب العمل من كان خيراً منك: يوسفُ

-عليه السلام-

فقال: يوسفُ نبي ابن نبي ابن نبي، وأنا أبو هريرة بن أميمة.

وأخشى ثلاثاً واثنتين.

قال: فهلا قلت: خمساً؟

قال: أخشى أن أقولَ بغير علم، وأقضى بغير حلم، وأن يُضربَ

ظهري، وينتزع مالي، ويشتّم عِرضي (١).

الوفاة:

وبعد رحلة حافلة بالعطاء.. عاش خلالها أبو هريرة.. داعياً..

ومجاهداً.. وفي سنة «ستين» أو قبلها بسنة.. مرض أبو هريرة.. ودنا

الأجل.. وأحسّ بقرب اللقاء.. فبكى -رضي الله عنه- فقيل له: ما يبكيك؟

قال: ما أبكى على دنياكم هذه، ولكن على بُعد سفري، وقلة زادي،

وأنى أمسيتُ في صعود، مهبطه على جنة أو نار، فلا أدري أيهما يؤخذ بي.

(١) صحيح: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤/٣٣٥).

وفى رواية: «فلا أدري إلى أيهما يُسَلِّك بي».

● وعن المقبري، قال:

دخل مروان على أبي هريرة في شكواه.

فقال: شفاك الله يا أبا هريرة.

فقال: اللهم، إني أحب لقاءك، فأحبّ لقائي.

فما بلغ مروان وسط السوق حتى مات - رضي الله عنه -.

وفى طبقات ابن سعد (٣٣٩/٤، ٣٤٠).

«صلى على أبي هريرة الأمير الوليد بن عتبة بعد العصر، وشيَّعه ابنُ عمر، وأبو سعيد، ودُفن بالبقيع».

قال ابن الجوزي: توفى أبو هريرة بالمدينة، ويقال: بالعقيق... في آخر

خلافة معاوية - رضي الله عنه - وله ثمان وسبعون سنة - رحمه الله -.

[٧] عبد الله بن أنيس

«هذه آية بينى وبينك يوم القيامة» حديث شريف

من هو؟:

هو: الصحابي الجليل: عبد الله بن أنيس بن الجهني، أبو يحيى المدني من السابقين الأولين. . من الأنصار الذين آووا النبي ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه. . فاستحقوا ثناء الله تعالى عليهم بقوله:

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

وبقوله سبحانه:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (٢).

وكان النبي - ﷺ - يثنى عليهم، ويدعو لهم.

فعنى البراء بن عازب - رضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنه سمع النبي - ﷺ - يقول في

الأنصار:

«لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم فأحبه الله، ومن أبغضهم فأبغضه الله» (٣).

وعن أنس أن النبي - ﷺ - قال:

(١) سورة التوبة: ١٠٠.

(٢) سورة الحشر: ٩.

(٣) صحيح: انظر: صحيح سنن الترمذى (٣٠٦١).

«اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار، ولنساء الأنصار»^(١).

مبايعته للرسول - ﷺ -:

لما كان وقت «الحج في العام الذي يلي بيعة العقبة الأولى . . . قدم مكة كثيرون من أهل المدينة . . . ممن أسلموا على يد الصحابي الجليل «مصعب بن عمير» . . . ولما قابل وفدهم رسول الله واعدوه المقاتلة ليلاً عند «العقبة» فأمرهم أن لا ينبهوا في ذلك الوقت نائمًا ولا ينتظروا غائبًا لأن كل هذه الأعمال كانت خفية من قريش كيلا يطلعوا على الأمر فيسعوا في نقض ما أبرم شأنهم مع رسول الله في أول أمره.

ولما فرغ «الأنصار» من حجهم توجهوا إلى مواعدهم كاتمين أمرهم عمّن معهم من المشركين، وكان ذلك بعد مضي ثلث الليل الأول فكانوا يتسللون الرجل والرجلين حتى تم عددهم ثلاثًا وسبعين رجلاً ومعهم امرأتان وهما: نسيبة بنت كعب وأسماء بنت عمرو ووافقهم رسول الله - ﷺ - هناك . . . وقالوا لرسول الله - ﷺ - : خذ لنفسك ولربك ما أحببت .

فقال : «أشترط لربي أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئًا، ولنفسى أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم» .

فقال له الهيثم بن التيهان: يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال عهدًا وإنا قاطعوها فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسم - ﷺ - ، وقال : «بل الدم الدم، والهدم الهدم»^(٢) أى : إن طالبت بدم طالبت به، وإن أهدرتموه أهدرتة .

وحينذاك ابتدأت المبايعة وهى «العقبة الثانية» فبايعه الرجال على ما طلب . . . وكان عبد الله بن أنيس ممن نال شرف المبايعة لرسول الله - ﷺ - في تلك الليلة .

(١) صحيح: رواه مسلم .

(٢) إسناده حسن: أخرجه أحمد وغيره، وانظر: السلسلة الصحيحة برقم (٦٣).

وعاد الوفد المبارك إلى المدينة المنورة.. لبدأ مسيرة الدعوة إلى الله تعالى.

ولما هاجر النبي - ﷺ - إلى المدينة المنورة واستقر هناك خاض المسلمون حروباً دامية مع مشركى مكة.. فى «بدر الكبرى»، و«أحد» وغيرهما. ولم يشهد عبد الله بن أنيس بدرًا، لكنه شهد أحدًا وما بعدها.. وأبلى بلاءً حسنًا.

قتله لخالد بن سفيان الهذلى، وقصة الآية:

وصلت أخبار إلى رسول الله - ﷺ - تقول: إن خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى يجمع الناس حوله لغزو رسول الله - ﷺ - فى المدينة.. فبعث النبي - ﷺ - إليه عبد الله بن أنيس ليقتله.. ويقص علينا عبد الله بن أنيس قصة قتله لخالد فيقول:

«دعانى رسول الله - ﷺ -، فقال:

«إنه قد بلغنى أن سفيان بن نبيح الهذلى يجمع لى الناس ليغزوني، وهو بنخلة أو بعرة^(١)، فأتته فاقتله».

قلت: يا رسول الله، انعت لي حتى أعرفه.

قال: «إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة»^(٢).

قال: فخرجت متوشحاً سيفي، حتى دُفعتُ إليه وهو فى ظعن يرتاد^(٣) لهنّ منزلاً وحيث كان وقت العصر؛ فلما رأيته وجدت ما قال رسول الله - ﷺ - من القشعريرة، فأقبلتُ نحوه، وخشيتُ أن يكون بينى وبينه مجاورة

(١) عرنة: موضع بقرب عرفة موقف الحجيج، وعرنة: «بالنون».

(٢) قشعريرة: رعدة وارتعاش كارتعاش المحموم.

(٣) الطعينة: امرأة الرجل، ويرتاد: يطلب.

تشغلني عن الصلاة، فصليتُ وأنا أمشي نحوه، أومئ برأسي للركوع والسجود^(١)، فلما انتهيت إليه قال: من الرجل؟

قلتُ: رجل من العرب، سمع بك وبجمعك لهذا الرجل^(٢) فجاءك لذلك.

قال: أجل أنا في ذلك.

قال: فمشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنني، حملتُ عليه السيف حتى قتلته، ثم خرجتُ وتركتُ ظعائنه مكبات عليه، فلما قدمت على رسول الله - ﷺ - فرأني قال: «أفلح الوجه».

قلت: قتلته يا رسول الله.

قال: «صدقت».

قال: ثم قام معي رسول الله - ﷺ - فدخل في بيته، فأعطاني «عصاً» فقال: «أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس».

قال: فخرجت بها على الناس.

فقالوا: ما هذه العصا؟

(١) هذا، إذا اشتد الخوف، وإلا صلى المحارب كما قال الله تعالى في سورة «النساء»: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ [سورة النساء: ١٠٢] وراجع كيفية صلاة الخوف في «الفتاوى الواضحة» للدكتور: محمد بكر إسماعيل (١/٣٥٣-٣٥٥).

وفي «الصحيحين» عن ابن عمر أنه قال: «وصف النبي - ﷺ - صلاة الخوف فقال: «... فإن كان خوف أشد من ذلك صلوا رجالاً قياماً على أقدامهم أو ركبناً مستقبلين القبلة، أو غير مستقبلينها» وفي رواية لسلم عن ابن عمر - أيضاً - قال: «إذا كان خوف أكثر من ذلك فصل ركباً أو قائماً يومئ إيماءً» ومن القواعد المقررة في الشريعة الإسلامية أن الطاعة على قدر الطاقة، وأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها. فالصلاة فريضة لا تسقط عن المكلف بعذر من الأعذار - هذا باستثناء الحائض والنفساء - والرواية تدل على مدى حرص أصحاب النبي - ﷺ - على الصلاة.. وهذا سرّ فلاحهم!

(٢) يقصد: رسول الله - ﷺ -.

(٣) قال عبد المؤمن بن خلف -الحافظ الدمياطي-: «وجاءه برأسه، فوضعه بين يديه، فأعطاه عصاً...» زاد المعاد (٣/٢٤٣).

قلتُ: أعطانيها رسول الله - ﷺ - وأمرني أن أمسكها.

قالوا: أو لا ترجع إلى رسول الله - ﷺ - فتسأله عن ذلك.

قال: فرجعتُ إلى رسول الله - ﷺ - فقلت: يا رسول الله لم أعطيتني

هذه العصا؟

قال: «آيةٌ بيني وبينك يوم القيامة، إنَّ أقلَّ الناس المتخصِّرون (١)

يومئذ».

فقرنها عبد الله بسيفه، فلم تنزل معه حتى إذا مات أمر بها فضمَّت في

كفنه، ثم دفنا جميعاً (٢).

قال ابن هشام: قال عبد الله بن أنيس في ذلك:

نوائح تُفسرى كُلَّ جَيْبٍ مُقَدِّدٌ

بأبيض (٤) من ماء الحديد مهتد (٥)

شهابُ غَضَى من مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدٌ

أنا ابن أنيس فارساً غير قُعدد (٧)

رحيبُ فناء الدار غير مُزند (٨)

حنيفُ على دين النبي محمد

سَبَقْتُ إليه باللِّسان وباليدِ

تركتُ ابن ثور كالحوار (٣) وحولهُ

تناولتُه والظُّعنُ خَلْنِي وخَلْفَه

عَجُومٌ لهام الدار عينَ كأنه

أقولُ له والسيفُ يعجم (٦) رأسه

أنا ابن الذي لم ينزل الدهر قدره

وقلتُ له: خذها بضربة ماجد

وكنتُ إذا همَّ النبي بكافرٍ

(١) المتخصِّرون: أى المتكثون على المخاصر وهى العصى، وهى جمع مخصرة.

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أحمد فى «المسند» برقم (١٥٩٩٣) وقال الشيخ أحمد شاكر

- رحمه الله تعالى - : إسناده صحيح.

(٣) الحوار: ولد الناقة إذا كان صغيراً.

(٤) أبيض: يريد به السيف.

(٥) المهتد: المنسوب إلى الهند.

(٦) عجوم: هو من صفات الأبيض وهى صيغة مبالغة من العجم وهو العض.

(٧) القعدد: اللئيم الدنىء القاعد عن الحرب والمكارم.

(٨) المزند: الضيق البخيل.

قلت: وكان عبد الله - رضي الله عنه - ممن شارك في قتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي - لعنه الله - كما سيأتي - إن شاء الله تعالى - .

وامتدت الحياة بعبد الله بن أنيس . . وفي خلافة «معاوية بن أبي سفيان» - رضي الله عنه - . . انتقل إلى جوار ربه . . بعد حياة كريمة . . قضاها . . مدافعاً عن دينه . . ومنافحاً عن رسوله ، وأوصى بدفن العصا معه فدفنت معه - رضي الله عنه - .

[٨] مصعب بن عمير

«الفقيه الشهيد»

ما أحوج الأمة الإسلامية في هذا العصر إلى فقهاء من هذا النوع . .
وشهداء من هذا الطراز . . إن أمة تُرزق بهذا النوع الفريد من الرجال، لن
تموتَ أبداً .

فمن هو؟

هو: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف . . . القرشي، الفقيه،
الشهيد .

تحمله الشدائد:

أسلم - ﷺ - مع الكوكبة الأولى . . فاحتل الصدارة . . ودخل على
رسول الله - ﷺ - دار الأرقم بن أبي الأرقم وكنتم إسلامه وكان يختلف إلى
رسول الله - ﷺ - سرّاً، فلما علموا به حبسوه فلم يزل محبوساً حتى خرج
إلى أرض الحبشة في الهجرة الأولى، ثم خرج في الهجرة الثانية .

وكان من أنعم الناس عيشاً قبل إسلامه، فلما أسلم زهد في الدنيا
فتحسّف جلده تحسّف الحيّة!!

ويصف سعد بن مالك - ﷺ - ما أصاب مصعب بن عمير من الأذى
والفقر فيقول:

«كنا قبل الهجرة يصيبنا الجوع والشدّة، فاستضلعنا بهما، وقوينا
عليهما .

فأماً مصعبُ بن عمير، فإنه كان أترف غلام بمكة بين أبويه فيما بيننا، فلما أصابه ما أصابنا، لم يقوَ على ذلك، فلقد رأيتُه وإن جلده ليتطاير عنه تطاير جلد الحية، ولقد رأيتُه ينقطع به، فما يستطيع أن يمشى، فنعرض له القسيّ ثم نحمله على عواتقنا، ولقد رأيتني مرّة، قمتُ أبول من الليل، فسمعتُ تحت بولي شيئاً يُجافيه، فلمستُ بيدي فإذا قطعة من جلد بعير، فأخذتها، فغسلتها حتى أنعمتها، ثم أحرقتها بالنار، ثم رضضتها فشقتُ منها ثلاث شقات، فاقتويت بها ثلاثاً»^(١).

الرسول يبكي لحاله!!

عن محمد بن كعب القرطبي، عمّن سمع عليّ بن أبي طالب يقول: إنه استقى لحائط يهودي بملء كفه تمرًا، قال: فجئتُ المسجد فطلع علينا مصعبُ بن عمير في بُردة له مرقوعة بفروة، وكان أنعم غلام بمكة وأرفه، فلما رآه رسول الله - ﷺ -، ذكر ما كان فيه من النعيم، ورأى حاله التي هو عليها، فذرفت عيناه عليه، ثم قال:

«أنتم اليوم خيرٌ أم إذا غدى على أحدكم بجفنةٍ من خبزٍ ولحمٍ؟».

فقلنا: نحن يومئذٍ خير، نُكفي المؤنة، ونتفرغُ للعبادة.

فقال: «بل أنتم اليوم خيرٌ منكم يومئذٍ». أخرجه الترمذي وقال: حسن

غريب.

سفير الإسلام:

بعث رسول الله - ﷺ - مصعب بن عمير إلى المدينة بعد أن بايع الأنصار البيعة الأولى يفقههم ويقرئهم القرآن، وكان - ﷺ - يأتهم في دورهم فيدعوهم إلى الإسلام فأسلم منهم خلق كثير وفشا الإسلام فيهم،

(١) ذكره ابن الأثير في «أسد الغابة» (٥/١٨٢).

وكتب إلى رسول الله - ﷺ - يستأذنه أن يجمع بهم^(١) فأذن له، فجمع بهم في دار «بنى خيثمة».

ثم قدم على رسول الله - ﷺ - مع السبعين . الذين وافوه في العقبة الثانية فأقام بمكة قليلاً ثم قدم قبل رسول الله - ﷺ - المدينة فهو أول من قدمها .

وعن ابن شهاب، قال:

لما بايع أهل العقبة رسول الله - ﷺ - ورجعوا إلى قومهم فدعواهم إلى الإسلام سراً وتلوا عليهم القرآن، وبعثوا إلى رسول الله - ﷺ - معاذ بن عفراء ورافع بن مالك، أن ابعث إلينا رجلاً من قبلك فليدعُ الناس بكتاب الله فإنه قمنٌ أن يتبع . فبعث إليهم رسول الله - ﷺ - مصعب بن عمير، فلم يزل يدعو آمناً ويهدى إلى الله تعالى على يده، حتى قلَّ دار من دور الأنصار إلا قد أسلم أشرافهم، فأسلم عمرو بن الجموح، وكسرت أصنامهم، وكان المسلمون أعز أهل المدينة . فرجع مصعب إلى رسول الله - ﷺ - وكان يُدعى «المقرئ» .

إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير على يديه:

لما بعث رسول الله - ﷺ - مصعب بن عمير إلى المدينة كان منزله - ﷺ - على أسعد بن زرارة .

فخرج أسعد بن زرارة - ﷺ - يوماً بمصعب يريد دار بنى عبد الأشهل، ودار بنى ظفر، فدخل به حائطاً من حوائط بنى ظفر . . فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، يومئذ سيدا قومهما من بنى عبد الأشهل، وكلاهما مُشرك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبا لك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا، فازجرهما وانهبهما عن أن يأتيا

(١) قال ابن شهاب: كان أول من جمع الجمعة بالمدينة بالمسلمين قبل أن يقدمها رسول الله - ﷺ - أي: مصعب - ﷺ - .

دارينا، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة منى حيث ما قد علمتَ كفتيك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً.

... فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير:

هذا سيد قومك قد جاءك فاصدق الله فيه.

قال مصعب: إن يجلسُ أكلمه.

فوقف أسيد عليهما مُتَشَتِّمًا، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعترلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة.

فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيتَ أمرًا قبلته، وإن كرهته كُفَّ عنك ما تكره؟

قال: أنصفتَ، ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلّمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن.

فقالا: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم في إشراقه وتسهّله.

ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟

قالا له: تغتسل وتطهرُ ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلّي، فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما:

إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلّف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مُقبلاً قال:

أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي قال له سعد:

ما فعلت؟

قال أسيد: كَلَّمْتُ الرجلين، فوالله ما رأيتُ بهما بأساً، وقد نَهَيْتُهُما، فقال: نفعنا ما أحببت، وقد حَدَّثتُ أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليُخْفِرُوكَ^(١)!! .
فقام سعد مُغضباً مبادراً، تخوفاً للذي ذُكر له من بنى حارثة، فأخذ الحربة من يده، ثم قال:

والله ما أراك أغويت شيئاً، ثم خرج إليهما؛ فلما رآهما سعد مطمئناً، عرف سعد أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتماً، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة، أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمْتَ هذا مني^(٢)، أتغشانا في دارنا بما نكره؟^(٣).

فقال له مصعب: أوتقعد فتسمع، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟

قال سعد: أنصفت. ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن.

قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، لإشراقه وتسهله!! .

ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟
قالا: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين.

فقام فاغتسل وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير.

فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعدٌ بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال:

(١) ليخفروك: «أخفروه»: نقض عهده وخاس به وغدره، وأخفر الذمة لم يف بها.

(٢) ما رُمْتَ هذا مني: أي ما طمعت فيه ولا بلغت.

(٣) كان أسعد قد قال لمصعب: أي مُصعب، جاءك والله سيِّدٌ من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان.

يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمرى فيكم؟

قالوا: سيدنا وأوصلنا وأفضلنا رأياً، وأيمنا نقيية^(١).

قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله.

قالا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة، ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون^(٢).

استشهاده:

شهد مصعب غزوة بدر وأبلى فيها بلاءً حسناً. . وانتهت الغزوة بانتصار ساحق للمسلمين. . ولقى كثير من أئمة الكفر مصرعهم. ورجع فلهم^(٣) إلى مكة، ورجع أبو سفيان بن حرب ببعيره، فمشى عبد الله بن أبي ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، في رجال من قريش، ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر، فكلّموا أبا سفيان بن حرب، ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة، فقالوا:

يا معشر قريش، إن محمداً وترككم، وقتل خياركم، فأعينوا بهذا المال على حرب، فلعلنا ندرّك منه ثأرنا بمن أصاب منا، ففعلوا.

ففيهم أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (٤)(٥).

فاجتمعت قريش لحرب رسول الله - ﷺ - وخرجت بحدّها وجدّها

(١) أيمنا نقيية: أي: مبارك النفس.

(٢) إسناده صحيح: أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٤٣٨، ٤٣٩). وابن كثير في

«البداية» من طريق ابن إسحاق - وصرح فيها ابن إسحاق بالتحديث.

(٣) الفل: أي المنهزمون، وقل القوم يفلهم فلأ: أي هزمهم.

(٤) سورة الأنفال: ٣٦.

(٥) أخرجه الواحدى في «أسباب النزول» ص ١٩٥، وفي إسناده مقال.

وحديدها وأحبيشها، ومن تابعها من بنى كنانة، وأهل تهامة، وخرجوا معهم بالظعن^(١) التماس الحفيظة، وألا يفروا.

فلما سمع بهم رسول الله - ﷺ - والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا... .
خرج رسول الله - ﷺ - في ألف من أصحابه.. واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس.

وعند «أحد» التقى الجمعان.. وكان النبي - ﷺ - قد أمر عبد الله بن جبير على خمسين رجلاً من رماة المسلمين على الجبل، وقال له: «انضح الخيل عنا بالنبل، لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا، فاثبت مكانك لا تؤتينا من قبلك»^(٢).

وبدأ القتال.. وحمى الوطيس.. وكان النبي - ﷺ - قد دفع اللواء إلى «مصعب بن عمير».. وترنحت جثث المشركين على أرض المعركة.. ولاحت بشائر النصر.. ورأى الرماة هزيمة المشركين وفرارهم.. فتركوا أماكنهم.. ونزلوا إلى أرض المعركة ليشاركوا المسلمين في جمع الغنائم!! ورأى خالد بن الوليد ظهر الجبل خالياً.. فقاد فرقة من المشركين وصعد بهم على الجبل فقتل ما تبقى من الرماة.. وهاجم المسلمين.. فارتبك المسلمون فمنهم من فرّ، ومنهم من ثبت وكان ممن ثبت: «مصعب بن عمير».

يقول محمد بن شرحبيل:

«حمل مصعب اللواء يوم أحد، فلما جال المسلمون ثبت به مصعب، فأقبل ابن قميئة^(٣) فضرب يده اليمنى فقطعها ومصعب يقول:

(١) الظعن: النساء.

(٢) صحيح: أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢٢٧/٣) وله شاهد عند البخاري وغيره.

(٣) هو: عبد الله بن قميئة، أحد الأشقياء، روى الطبراني من حديث أبي أمامة قال: «رمى عبد الله بن قميئة رسول الله - ﷺ - يوم أحد، فشح وجهه وكسر ربايعته، فقال: خذها وأنا ابن قميئة، فقال رسول الله - ﷺ - وهو يمسح الدم عن وجهه: «ما لك أقمأك الله» فسلط الله عليه تيس جبل، فلم يزل ينطحه حتى قطعته قطعة قطعة». وفي رواية لعبد الرحمن بن زيد: «فخرج إلى غنمه فوافاها على ذروة جبل، فدخل فيها فشد عليه تيسها فنطحه نطحاً أرداه من شاهق الجبل فتقطع».

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (١).

وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنأ عليه فضربها فقطعها، فحنأ على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه» فسقط الجسد الطاهر على الأرض وطار الروح لربها.

قال ابن إسحاق: «وقاتل مصعبُ بن عمير دون رسول الله - ﷺ - حتى قُتل، قُتل ابن قميئة الليثي، وهو يظنه رسول الله. فرجع إلى قريش، فقال: قُتلتُ محمداً! فلماً قتل مصعب، أعطى رسول الله - ﷺ - اللواءَ عليَّ بن أبي طالب، ورجالاً من المسلمين» اهـ.

رثاءٌ وعزاء:

عن عبيد بن عمير، قال:

لما فرغ رسول الله - ﷺ - من أحدٍ مرَّ علي مصعب بن عمير مقتولاً على طريقه فقراً:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (٢).

وعن خباب، قال:

هاجرنا مع رسول الله - ﷺ - نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله عز وجل، فمنا من مضى ولم يأكل من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير قُتل يوم «أحد» فلم نجد له شيئاً نكفنه فيه إلا نَمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجله خرج رأسه، فأمرنا رسول الله - ﷺ - أن نغطي بها رأسه ونجعل على رأسه إذخراً^(٣). ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها^(٤).

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٢) سورة الأحزاب: ٢٣.

(٣) الإذخر: نبات معروف طيب الريح يبيض إذا يبس.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (١١٢/٥)، والبخاري (١٢٨٦) في الجنائز وقوله: يهدبها: أي يجتنيها.

وروى البخارى فى «صحيحه» أن عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - أتى بطعام، وكان صائماً. فقال:

«قُتِلَ مصعب بن عمير، وهو خير منى، كفن فى بردة، إن غطى رأسه بدت رجلاه وإن غطى رجلاه بدا رأسه... وقتل حمزة، وهو خير منى، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا. ثم جعل يبكى، حتى ترك الطعام».

-رضى الله تعالى عن مصعب وأرضاه-.

[٩] سعد بن الربيع

«النقيب الشهيد»

من علامات حُبِّ النبي ﷺ - بذل النفس دونه - ﷺ - .
 روى البخارى عن عبد الله بن هشام - رُوِيَ - قال:
 كنا مع النبي ﷺ - وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب - رُوِيَ - فقال له
 عمر: «يا رسول الله! لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي» .
 فقال النبي ﷺ - : «لا، والذي نفسى بيده! حتى أكون أحب إليك من
 نفسك» .

فقال له عمر: «فإنه الآن والله! لأنت أحب إليَّ من نفسي» .
 فقال النبي ﷺ - : «الآن يا عمر» .

يقول العلامة العيني فى شرح قوله - ﷺ - : «لا، والذي نفسى بيده!
 حتى أكون أحب إليك من نفسك» «لا يكمل إيمانك» . . وقال فى شرح قوله
 - ﷺ - : «الآن يا عمر»: «يعنى كمل إيمانك»^(١) .

لهذا نرى المحب الصادق يترقب بكل شوق وحماس فرصة يتمكن فيها
 من بذل راحته، ونفسه، وما ملكت يمينه دون حبيبه .

والمحبون الصادقون للنبي ﷺ - من الصحابة قد سجلوا أروع أمثلة
 الفداء والتضحية دونه - ﷺ - . . وضيفنا على هذه السطور له قصة تدل على
 مدى حبة لرسوله - ﷺ - .

فمن هو.. وما هى قصته؟:

هو: سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير الأنصارى الخزرجى الحارثى

البدريُّ النقيبُ الشهيد الذي آخى النبي - ﷺ - بينه وبين عبد الرحمن بن عوف، فعزم على أن يُعطى عبد الرحمن شطر ماله، ويُطَلَّق إحدى زوجتيه، ليتزوج بها، فامتنع عبد الرحمن من ذلك، ودعا له!! أرايتم إيثاراً يدانى هذا الإيثار؟!!

هذا هو الإسلام يا سادة.. فأين نحن منه اليوم؟!.

إن الواحد منا ينظر يمينه وشماله وأمامه وخلفه فلا يرى إلا دنيا يأكل بعضها بعضاً.. فمتى نسترد عافيتنا؟

قصته:

كان سعد بن الربيع أحد النقباء ليلة العقبة.. ولما هاجر الرسول - ﷺ - إلى المدينة.. ودارت المعارك بين المسلمين والمشركين شهد سعد بن الربيع غزوة بدر وأبلى فيها بلاءً حسناً.. وكانت نفسه تتطلع لنيل الشهادة في سبيل الله تعالى ولكنه ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾.. ثم تمضى الأيام.. وتجيئ غزوة «أحد».. ولما فر بعض المسلمين من أرض المعركة.. كان سعد بن الربيع قد ثبت كالجبل العظيم.. يدافع عن دينه وعن نبيه - ﷺ -.. يصول ويجول كالأسد الضارى فى أرض المعركة.. يضرب بسيفه ويطنع يميناً وشمالاً وفى كل اتجاه تصل إليه يده!!.

ويزداد القتال ضراوة ويزداد سعد بن الربيع صلابة.. وأحسَّ المشركون بخطورة وجوده.. فأحاطوا به.. وأثنخوه بالجراح فسقط على أرض القتال يعالج آلامه.. وتتطلع آماله إلى رحمة الله تعالى..

ولما انجلى غبارُ المعركة.. وانتهت أحداثها.. ورغم عظم المصاب.. وشدة القرح الذى أصاب النبي - ﷺ - وأصحابه لم ينس رسول الله - ﷺ - سعد بن الربيع..

فعن محمد بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة، أن رسول الله - ﷺ -، قال: «من رجلٌ ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع؟».

فقال رجل من الأنصار: أنا، فخرج يطوف في القتلى، حتى وجد سعداً جريحاً مُثَبِّتاً^(١) بأخر رمق.

فقال: يا سعد! إن رسول الله - ﷺ - أمرني أن أنظرَ في الأحياء أنت أم في الأموات؟

قال: «فياني في الأموات، فأبلغ رسول الله - ﷺ - السلام وقل: إن سعداً يقول: جزاك الله عنى خير ما جزى نبياً عن أمته، وأبلغ قومك منى السلام، وقل لهم: إن سعداً يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلصَ إلى نبيكم وفيكم عينٌ تطرف»^(٢).

فانظر أخى القارئ إلى مدى حب أصحاب رسول الله - ﷺ - لنيهم!! ومدى حرصهم على وجوده معافى.. وليس سعد وحده هو صاحب هذا الموقف بل شاركه الكثير من الرجال والنساء على السواء.

يقول سعد بن أبى وقاص:

«مر رسول الله - ﷺ - بامرأة من بنى دينار^(٣) وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله - ﷺ - بأحد، فلما نَعُوا لها قالت:

ما فعل رسول الله - ﷺ -؟

قالوا: خيراً يا أمّ فلان، هو بحمد الله كما تُحيين.

قالت: أرونيه حتى أنظر إليه.

قال: فأشير لها إليه حتى إذا رآته قالت:

كل مصيبة بعدك جلل!!.

قال ابن هشام: الجلل يكون من القليل والكثير، وهو ههنا القليل.

(١) أى: أثبته جرحه فلم يتحرك. وفي رواية: «وبه سبعون ضربة».

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر (٤/١٤٥). وفي رواية: «وفاضت نفسه».

(٣) قال الواقدي: إنها: السميرة بنت قيس (سيرة ابن هشام ٣/١٠٥).

الرضا بالقضاء:

وأمام المصاب الفادح الذى أصاب رسول الله والذين آمنوا معه لا يملك النبى - ﷺ - إلا التسليم المطلق لحكم الله العلى الكبير . فماذا قال رسول الله - ﷺ - .

عن ابن رفاعة الزرقى ، عن أبيه قال :

لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله - ﷺ - : «استووا حتى أثنى على ربي» فصاروا خلفه صفوفاً . فقال : «اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت، ولا هادى لما أضللت ولا مضل لمن هديت، ولا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت، اللهم أبسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك، اللهم إني أسألك النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول، اللهم إني أسألك النعيم يوم العيلة والأمن يوم الخوف، اللهم إني عائد بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعت، اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين. اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق» (١) .

ونزل القرآن يواسى رسول الله - ﷺ - وأصحابه . . ويمسح على قلبه وقلوب أصحابه : فقال الله تعالى :

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُلَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيَمْحُصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمْنُونَ الْوَيْتَ مِنَ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد فى «المسند» برقم (١٥٤٣١) . وقال الشيخ أحمد شاکر -رحمه الله تعالى- : إسناده صحيح .

يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبِيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتَهُ مِنْهَا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتَهُ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرًا فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسُنَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾

مكانته بين الصحابة:

انتقل سعد بن الربيع إلى جوار ربه . . ونال ما تمناه . . وترك ذرية من بعده . . ويروى لنا أبو بكر الزبيري: أن رجلاً دخل على أبي بكر الصديق، وبنت لسعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يقبلها؛ فقال له الرجل: من هذه؟ قال: هذه بنت رجل خير مني، سعد بن الربيع، كان من النقباء يوم العقبة، وشهد بدرًا، واستشهد يوم أُحُد.

وروى الطبراني بسند فيه ضعف:

عن أم سعد بنت سعد بن الربيع أنها دخلت على أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - فألقى لها ثوباً حتى جلست فدخل عليه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال: يا خليفة رسول الله من هذه؟

قال: «هذه بنت من هو خير مني ومنك إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، رجل قبض على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تبوأ مقعده من الجنة، وبقيت أنا وأنت».

سلام على سعد بن الربيع في العالمين.

[١٠] أَبِي بِن كَعْبُ

«سَيِّدُ الْقُرَاءِ»

من هو؟

هو: أَبِي بِن كَعْبُ بن قيس . . سَيِّدُ الْقُرَاءِ، أبو منذر الأنصاري النجاري المدني المقرئ البدرى .

شهد العقبة، وبدراً، وجمع القرآن في حياة النبي - ﷺ -، وعرض على النبي - ﷺ -، وحفظ عنه علماً مباركاً، وكان رأساً في العلم والعمل - ﷺ - .

فضائله:

١- عن أنس بن مالك - رضِيَ اللهُ عنه - قال: قال النبي - ﷺ - لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن» .

قال: الله سماني لك؟

قال: «نعم» .

قال: وذكرتُ عند ربِّ العالمين؟

قال: «نعم» .

فذرقت عيناه (١) .

وفي رواية: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن» فقرأ عليه: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٢) (٣) .

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ١٣٠)، والبخاري ومسلم .

(٢) سورة البينة: ١ .

(٣) حسن: أخرجه الترمذي برقم (٤١٧١) وقال الشيخ الألباني: حسن .

وفى رواية لأحمد: أن عبد الرحمن بن أبيزى قال لأبي: فرحت بذلك؟ قال: وما ينعنى وهو تعالى يقول: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ (١).

قال الحافظ ابن كثير:

«ومعنى «أن أقرأ عليك» قراءة إبلاغ وإسماع لا قراءة تعلم منه، هذا لا يفهمه أحد من أهل العلم، وإنما نبهنا على هذا لئلا يعتقد خلافه» (٢) اهـ.

٢- وعن ابن عمر -رضي الله عنهما-: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- صلى صلاة، فلبس عليه، فلما انصرف، قال لأبي:

«أصليت معنا؟».

قال: «نعم».

قال: «فما منعك» (٣).

قال الإمام الخطابي: «أراد: ما منعك أن تفتح على إذ رأيتني قد لبس على؟ وفيه دليل على جواز تلقين الإمام» اهـ.

٣- وعن عبد الله بن عمرو مرفوعاً:

«استقرئوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وأبي، ومعاذ، وسالم مولى أبي حذيفة» (٤).

٤- وقال ابن أبي خيثمة: هو -أي أبي بن كعب- أول من كتب الوحي بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، يعنى: بالمدينة.

٥- وقال أبي بن كعب -رضي الله عنه-: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم؟».

(١) سورة يونس: ٥٨.

(٢) البداية (٤/ ٣٤٠).

(٣) إسناده صحيح: أخرجه أبو داود (٩٠٧) وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

(٤) صحيح: متفق عليه.

قال: قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم»^(١).

قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(٢).

فضرب صدرى وقال:

«ليهنك العلم يا أبا المنذر»^(٣). زاد الترمذى: «فوالذى نفسى بيده إن

لهذه الآية للساناً وشفقتين تُقدِّسُ المَلِكُ عند ساق العرش!!».

وإلى جانب هذا العلم.. فإنه كان يملك شجاعة القلب.. ورباطة

الجأش.. وصلابة العزيمة.. لم يتخلف عن معركة واحدة من معارك المسلمين.

رغبته فى الثواب:

عن أبى سعيد قال: قال أبى: يا رسول الله! ما جزاء الحمى؟

قال: «تُجرى الحسنات على صاحبها».

فقال: «اللهم إنى أسألك حمى لا تمنعنى خروجاً فى سبيلك».

فلم يمس أبى قط إلا وبه الحمى^(٤).

قلت: إنما قال ذلك رغبة فى الثواب وحصول الأجر.. والأصل:

الدعاء بالعافية كما ثبت عن النبى - ﷺ - أنه كان يقول إذا أصبح وإذا أمسى:

«اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة، اللهم إنى أسألك العفو

والعافية فى دينى ودنياى، وأهلى ومالى، اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى،

(١) قال بعض العلماء: لأنه يكرر فيها اسم الله تعالى بين مضمرة وظاهر ثمان عشرة مرة.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٣) صحيح: رواه مسلم فى «صلاة المسافرين» (٨١٠). ومعنى: «ليهنك العلم»: أى: ليكن

العلم هيناً لك.

(٤) أخرجه أحمد (٢٣/٣)، وابن حبان (٦٩٢) وصححه،

اللهم احفظنى من بين يديّ، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي»^(١).

وكان يقول إذا أصبح وإذا أمسى - أيضاً - «ثلاث مرات»:

«اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، اللهم عافني في بدني لا إله إلا أنت»^(٢).

التزامه التام بسنة النبي - ﷺ -:

من علامة حب النبي - ﷺ - امتثال أوامره واجتناب نواهيه . . والحرص التام على اتباع هديه وتطبيق سنته . . وكم من مواقف رائعة لأصحاب النبي - ﷺ - دلت على مدى التزامهم بسنة رسولهم . . فلا يحيدون عنها قيد أملة!

عن قيس بن عباد، قال:

«أتيت المدينة للقاء أصحاب محمد - ﷺ -، ولم يكن فيهم رجل ألقاه أحب إلي من أبي، فأقيمت الصلاة، وخرجت ففقت في الصف الأول. فجاء رجل فنظر في وجوه القوم، فعرفهم غيري، فنحاني، وقام في مقامي. فما عقلت صلاتي. فلما صليت، قال:

يا بني! لا يسوؤك الله، فإنني لم آت الذي أتيت بجهالة، ولكن رسول الله - ﷺ -، قال لنا:

«كونوا في الصف الذي يليني». وإنني نظرت في وجوه القوم، فعرفتهم غيرك، وإذا هو أبي - ﷺ -»^(٣).

دعاء وإجابة:

ذكر الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/٣٩٨): أن ابن عباس

- رضي الله عنهما - قال: قال عمر:

(١) صحيح: أخرجه الحاكم وصححه، وحسنه الحافظ في «الفتح» وصححه الألباني.

(٢) إسناده حسن: رواه أبو داود (٤/٣٢٤) وقال الشيخ ابن باز: إسناده حسن.

(٣) إسناده صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/١٤٠) وغيره.

أخرجوا بنا إلى أرض قومنا . فكنتُ في مؤخر الناس مع أبيّ بن كعب .
فهاجت سحابة ، فقال -أى أبى- :

«اللهم اصرفِ عنا أذاها» .

قال ابن عباس : فلحقناهم وقد ابتلت رحالهم .

فقال عمر : ما أصابكم الذى أصابنا .

قلت : إن أبا المنذر قال : «اللهم اصرفِ عنا أذاها» .

قال عمر : «فهلأ دعوتُم لنا معكم» .

وفاته:

بعد وفاة الرسول -ﷺ- . . وانقطاع الوحي . . كان الصحابة يتحاكمون
إلى أبىّ بن كعب . . وكان يفستيهم فى أمور الدين . . وكان الصحابة يجلّونه
ويحترمونه . . وكان الناس يأتونه من كل مكان ليسألوه فى شئون الدين .

فقد كانوا يعدونه من أهم مراجع المسلمين . . ولا غرو فى ذلك فقد قال
معمر : عامة علم ابن عباس من ثلاثة :
عمر ، وعلى ، وأبى .

وفى زمن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- على الراجح وافته المنية . . وانتقل
إلى جوار مولاه . . وفجع أهل المدينة بموته .
يقول عتيّ بن ضمرة :

رأيتُ أهل المدينة يموجون فى سلكهم . . فقلت :

ما شأن هؤلاء؟

فقال بعضهم : ما أنت من أهل البلد؟

قلت : لا .

قال : فإنه قد مات اليوم سيّد المسلمين «أبىّ بن كعب» .

قال الواقدي:

تدل أحاديث على وفاة أبي بن كعب في خلافة عمر.

ورأيت أهله وغيرهم يقولون:

مات في سنة اثنتين وعشرين بالمدينة، وأن عمر قال:

«اليوم مات سيد المسلمين» - رضي الله عنه - .

[١١] سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ

«الشهيد المشتاق»

من هو؟:

هو: سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن كعب الأنصاري الأوسي البدرى النقيب.

أخى النبي - ﷺ - بينه وبين أبي سلمة بن عبد الأسد وقالوا: وكان أحد النقباء الاثنى عشر.

ولمّا ندب رسول الله - ﷺ - الناس إلى غزوة بدر قال له أبوه خيثمة: إنه لا بد لأحدنا أن يقيم، فأثرتني بالخروج وأقم مع نساءك فأبى سعد وقال:

«لو كان غير الجنة آثرتك به، إنى لأرجو الشهادة فى وجهى هذا».

فاستهما (١) فخرج سهمٌ «سعد» فخرج فقتل «بدر» - ﷺ - (٢).

وتدور الأيام... ولمّا تجهز الرسول - ﷺ - لخوض معركة «أحد» أتى خيثمة رسول الله - ﷺ - فقال: لقد أخطأتنى وقعة بدر وكنت - والله - عليها حريصاً، حتى ساهمت ابنى فى الخروج، فخرج - فى القرعة - سهمه فرزق الشهادة. وقد رأيت البارحة ابنى فى النوم فى أحسن صورة، يسرح فى ثمار الجنة، وأنهارها يقول: الحق بنا ترافقتنا فى الجنة، فقد وجدت ما وعدنى ربي حقاً.

ثم قال:

(١) استهما: اقتراعا.

(٢) الإصابة (٤/١٤١)، والاستيعاب (٤/١٤٣).

وقد أصبحتُ يا رسول الله مشتاقاً إلى مرافقته، وقد كبرت سنى، ورقَّ عظمى، وأحببتُ لقاء ربي: فادع الله يا رسول الله أن يرزقني الشهادة ومرافقة ابني «سعد» في الجنة.

فدعا الرسول - ﷺ - له .

فقتل شهيداً في «أحد» .

هذه صور للرجولة الفارعة التي اصطدم بها الكفر أول المعركة وآخرها فَمَادَ أَمَامَهَا، واضطربت من تحت أقدامه الأرض، فما ربح شيئاً في بداية القتال، ولا انتفع بما ربح آخره .

وهذا اللون من البطولة مدفون تحت جدران التاريخ الإسلامي القائم اليوم وما يقوم للإسلام صرح، ولا ينكشف عنه طغيان، إلا بهذه القوى المذخورة المضغوطة في أفئدة الصديقين والشهداء . .

مَنْ سِرَّ هَذَا الْإِلَهَامَ؟

مَنْ مَشَرَقَ هَذَا الضِيَاءَ؟

مَنْ مَبَعَثَ هَذَا الْاِقْتِدَارَ؟

إنه محمد - ﷺ -، إنه هو الذي ربَّى ذلكم الجيل الفَدَّ، ومن قلبه الكبير أترعت هذه القلوب، تفانياً في الله، وإيثاراً لما عنده (١).

-رضي الله تعالى عن سعد بن خيثمة وعن أبيه وعن أصحاب النبي

الأمين- .

(١) الإيثار: تفضيل المرء غيره على نفسه .

[١٢] عبد الله بن حنظلة

«الشهيد النائر»

أتذكرون «حنظلة بن أبي عامر؟» الذي غَسَلْتَهُ الملائكة؟! ستمر بنا ترجمته؟! .

ضيفنا على هذه الصفحات «ولده» عبد الله . . الذي اسْتَشْهَدَ أبوه وقد علقَت أمه^(١) به . . وأشْهَدَتْ على ذلك أربعة من قومها .
ولدته أمه - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - . . وقُبِضَ رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وله سبع سنين . . فهو إذن من صغار الصحابة، وكان يُدْعَى بـ«ابن الغسيل» .

تربى عبد الله في أحضان أصحاب الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الكبار . . ورضع لبان النبوة . . فنشأ عابداً . . مجاهداً . . أمراً بالمعروف . . ناهياً عن المنكر . . قوَّالاً بالحق . . لا يخشى في الله لومة لائم .

قال ابن كثير:

«كان شريفاً فاضلاً سيِّداً عابداً» . وكانت له قصة مع «يزيد بن معاوية» .

فما هي قصته؟

لَمَّا تُوفِيَ معاوية بن أبي سفيان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - استخلف من بعده ولده «يزيد» . . وأوصاه عند موته:

«يا يزيد!! اتق الله فقد وَطَّأْتُ لك هذا الأمر، وولَّيت من ذلك ما وليت، فإن يك خيراً فأنا أسعد به، وإن كان غير ذلك شقيتُ به، فارفق

(١) هي: جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول . . أخت عبد الله بن عبد الله الصحابي الجليل ومعنى: علقَت: أى حملت .

بالناس واغمض عما بلغك من قول تؤذى به وتنتقص به، وطأ عليه يهنك عيشك وتصلح لك رعيتك، وإياك والمناقشة وحمل الغضب، فإنك تهلك نفسك ورعيتك، وإياك وجفوة أهل الشرف واستهانتهم والتكبر عليهم، ولن لهم ليناً بحيث لا يروا منك ضعفاً ولا خوراً، وأوطئهم فراشك وقربهم إليك وادنهم منك، فإنهم يعلمون لك حقك، ولا تهنهم ولا تستخف بحقهم فيهنوك، ويستخفوا بحقك ويقعوا فيك، فإذا أردت أمراً فادع أهل السن والتجربة من أهل الخير من المشايخ وأهل التقوى فشاورهم ولا تخالفهم، وإياك والاستبداد برأيك فإن الرأي ليس في صدر واحد، وصدق من أشار عليك إذا حملك على ما تعرف، واخزن ذلك عن نساءك وخدمك؛ وشمّر إزارك، وتعاهد جنحك، وأصلح نفسك تصلح لك الناس، لا تدع لهم فيك مقالاً فإن الناس سراع إلى الشر، واحضر الصلاة، فإنك إذا فعلت ما أوصيك به عرف الناس لك حقك، وعظمت مملكتك، وعظمت في أعين الناس، واعرف شرف أهل المدينة ومكة فإنهم أصلك وعشيرتك، واحفظ لأهل الشام شرفهم فإنهم أنصارك وحُماةك وجندك الذين بهم تصول وتنصر على أعدائك وتصل إلى أهل طاعتك، واكتب إلى أهل الأمصار بكتاب تعددهم فيه منك بالمعروف، فإن ذلك يبسط آمالهم، وإن وفد عليك وافد من الكور كلها فأحسن إليهم وأكرمهم فإنهم لمن ورائهم، ولا تسمعن قول قاذف ولا ما حل^(١) فإنى رأيتهم وزراء سوء».

ولكن «يزيد» لم يعمل بهذه الوصية.. وظهرت منه بعض الأمور المستهجنة.. التي ألّبت عليه الناس.. وأهاجت عليه الرأي العام.. يقول الإمام الذهبي وهو يصفه:

«كان قوياً شجاعاً، ذا رأى وحزم، وفطنة، وفصاحة، وله شعر جيد، وكان ناصبياً^(٢)، فظاً، غليظاً، جلفاً، يتناول المُسكر، ويفعل المنكر افتتح

(١) الماحل: الماكر.

(٢) من «الناصبية» وهم المنافقون المتدينون ببغضة على - بغضه -، سموا بذلك لأنهم نصبوا له وعادوه.

دولته بمقتل الشهيد «الحسين»، واختتمها بواقعة «الحرّة»^(١)، فمقته الناس . ولم يُبارك في عمره . . . وخرج عليه غير واحد بعد الحسين . . . كأهل المدينة قاموا «لله» وكمرداس بن أدية الحنظلي البصرى، ونافع بن الأزرق، وطواف بن معلّى السدوسى، وابن الزبير بمكة» .

وقال: «وكان -أى عبد الله بن حنظلة- رأس الثائرين على «يزيد» نوبة الحرّة» .

ويقول فى موطن ثالث: «ويزيد ممن لا نُسبُهُ ولا نُحِبُّهُ، وله نظراء من خلفاء الدولتين، وكذلك فى ملوك النواحي، بل فيهم من هو شرُّ منه، وإنما عظمَ الخطب لكونه ولّى بعد وفاة النبي ﷺ - بتسع وأربعين سنة، والعهد قريب، والصحابة موجودون كابن عمر الذى كان أولى بالأمر منه ومن أبيه وَجَدَهُ»^(٢) .

موقعة «الحرّة»:

لَمَّا تولى يزيد بن معاوية الخلافة . . . وفد عليه عبد الله بن حنظلة فى بنيه الثمانية، فأعطاهم مائتى ألفٍ وَخَلَعًا - يريد التودد إليه- فرأى عبد الله منه أموراً منكراً، فلَمَّا رجع قال له كبراء المدينة: ما وراءك؟ قال: جئتُ من عند رجلٍ لو لم أجدُ إلا بنى، لجاهدتُه بهم .
قالوا: إنه أكرمك وأعطاك .

(١) الحرّة: كل أرض ذات حجارة سود، وأكثر الحرار حول مدينة الرسول ﷺ -، والمراد بالحرّة هنا: حرّة واقم، وهى الشرقية من حرّتى المدينة، كانت فيها الوقعة سنة ٦٣هـ بين أهل المدينة وأهل الشام .

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/٣٢٢)، (٤/٣٦-٣٨) .

وقال ابن كثير فى ترجمته ليزيد: «وقد كان يزيد فيه خصالٌ محمودة من الكرم والحلم والفصاحة والشعر والشجاعة وحسن الرأى فى الملك . وكان فيه أيضاً إقبال على الشهوات وترك بعض الصلوات فى بعض الأوقات، وإماتتها فى غالب الأوقات» . البداية (٥/٧٤٤) .

قال: وما قبلتُ إلا لأتقوى به عليه، وحَضَّ الناس، فبايعوه، وأمرَّ على الأنصار، وأمرَّ على قريش «عبدُ الله بن مطيع العدوي»، وعلى باقي المهاجرين «مَعْقِلُ بنُ سِنان الأشجعي».

وهكذا اجتمع أهل المدينة على خلع «يزيد بن معاوية». ثم اجتمعوا على إخراج عامل «يزيد» من بين أظهرهم، وهو عثمان بن محمد بن أبي سفیان ابن عم يزيد، وعلى إجلاء بنى أمية من المدينة، فاجتمعت بنو أمية في دار «مروان بن الحكم» وأحاط بهم أهل المدينة يحاصرونهم، واعتزل الناس على بن الحسين، وعبد الله بن عمر لم يخلعا يزيد^(١).

وكتب بنو أمية إلى «يزيد» بما هم فيه من الحصر والإهانة، والجوع والعطش، وإنه إن لم يبعث إليهم من ينقذهم مما هم فيه وإلا استؤصلوا عن آخرهم وبعثوا ذلك مع البريد، فلما قدم بذلك على «يزيد» وقرأ الكتاب انزعج لذلك.. وبعث إليهم «مسلم بن عقبة المزني» أميراً على ما يزيد على عشرة آلاف فارس، وقيل: اثنا عشر ألفاً وخمسة عشر ألف رجل.

قال المدائني:

وجعل على أهل دمشق عبد الله بن مسعدة الفزاري.

وعلى أهل حمص حُصَيْن بن نَمير السكوني.

وعلى أهل الأردن حُيَيش بن دلجة القيني.

وعلى أهل فلسطين روح بن زنباع الجذامي وشريك الكناني.

وعلى أهل قنسرين طريف بن الحساس الهلالي.

وعليهم «مسلم بن عقبة المزني» من غطفان، وإنما يسميه السلف «مسرف بن عقبة».

ونهض «النعمان بن بشير» - رضي الله عنه - فقال ليزيد:

«يا أمير المؤمنين أنشدك الله في عشيرتك وأنصار رسول الله - صلى الله عليه وسلم -».

(١) لأجل ما يثور بسبب ذلك من الفتنة ووقوع الهرج.

فلم يستمع يزيد لنصيحة النعمان، كما صمّ أذنيه عن وصية أبيه له عند الموت من قبل.

وقال يزيد لمسلم بن عقبة:

ادع القوم ثلاثاً فإن رجعوا إلى الطاعة فاقبل منهم وكف عنهم، وإلا فاستعن بالله وقاتلهم!!!، وإذا ظهرت عليهم فأبح المدينة ثلاثاً ثم اكف عن الناس!!.

وسار «مسلم» بمن معه من الجيوش إلى المدينة. . فنزل شرقي المدينة في «الحرة» ودعا أهلها ثلاثة أيام، كل ذلك يأبون إلا المحاربة والمقاتلة.

الشهادة:

فلما مضت الثلاثة استعد الفريقان للقتال. . وكان أهل المدينة قد اتخذوا خندقاً بينهم وبين ابن عقبة، وجعلوا جيشهم أربعة أرباع على كل ربع أمير، وجعلوا أجمل الأرباع الربع الذي فيه عبد الله بن حنظلة الغسيل - رضي الله عنه -.

روى جويرية ابن أسماء، عن أشياخه، قالوا:

«خرج أهل المدينة يوم «الحرة» بجموع وهيئة لم ير مثلها، فلما رآهم عسكر الشام، كرهوا قتالهم؛ فأمر «مسرف بن عقبة» بسريره^(١)، فوضع بين الصقيين، ونادى مناديه: قاتلوا عنى، أودعوا؛ فشدوا، فسمعوا التكبير خلفهم من المدينة، وأقحم عليهم بنو حارثة، فانهزم الناس، وعبد الله بن الغسيل متساند إلى ابنه نائم، فنبهه، فلما رأى ما جرى، أمر أكبر بنيه فقاتل حتى قُتل، ثم لم يزل يُقدمهم واحداً واحداً حتى قتلوا، وكسر جفن سيفه وقاتل حتى قتل.

وروى الواقدي بإسناد، قال:

لما وثب أهل الحرة، وأخرجوا بنى أمية من المدينة، بايعوا ابن الغسيل على الموت. فقال:

(١) وكان قبحه الله شيخاً كبيراً.

«يا قوم! والله ما خرجنا حتى خفنا أن نُرجمَ من السماء، رَجُلٌ يَنْكِحُ مُهَاتِ الأَوْلَادِ، والبَنَاتِ، والأَخْوَاتِ، ويشربُ الخمرَ، ويدعُ الصلاةَ.

قال: وكان -أى عبد الله بن حنظلة- يبيت تلك الليالى فى المسجد، وما يزيدُ فى إفطاره على شربة سويق، ويصومُ الدهرَ، ولا يرفعُ رأسه إلى السماء؛ فخطب، وحرَّضَ على القتال، وقال:

«اللهم إِنَّا بِكَ واثقون» فقاتلوا أشدَّ قتال. وكَبَّرَ أهل الشام، ودُخِلت المدينة من النواحي كُلِّها، وقتل الناس، وبقي لواءُ ابن الغسيل ما حَوَّلَهُ خمسة، فلمَّا رأى ذلك، رمى درعَه، وقاتلَهُم حاسراً حتى قُتِلَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، فوقف عليه مروانُ وهو مادُّ إصبعه السَّبَّابَةَ؛ فقال: «أما والله لئن نصبتها ميئاً، لطالما نصبتها حياً»^(١).

وعن مالك بن أنس، قال:

قُتِلَ يَوْمَ الحَرَّةِ من حملة القرآن سبع مائة.

وقال خليفة:

أُصِيبَ من قريش والأنصار يومئذ ثلاثمائة وستة رجال.

قال ابن كثير فى {البداية (٥/ ٧٣١)} ما مختصره:

«ثم أباح مسلم بن عقبة، الذى يقول فيه السلف «مسرف بن عقبة» -قَبَّحَهُ اللهُ من شيخٍ سوء ما أجهله- المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد، -لا جزاه اللهُ خيراً-، وقتل خلقاً من أشرافها وقرائها وانتهب أموالاً كثيرة منها، ووقع شرَّ عظيم وفساد عريض على ما ذكره غير واحد. فكان ممن قتل بين يديه صبراً «معقل بن سنان»... حتى قيل: أنه جبلت ألف امرأة فى تلك الأيام من غير زوج فالله أعلم.

وقد اختلفت جماعة من سادات الصحابة منهم: جابر بن عبد الله،

(١) سير أعلام النبلاء (٣/ ٣٢٤)، المنتظم (٦/ ١٩)، البداية (٥/ ٧٢٩ - وما بعدها) وفى البداية: مَرَّ مروان به وهو مجندل فقال: رحمك الله فكم من سارية عمودك قد رأيتك تطيل عندها القيام والسجود.

وخرج أبو سعيد الخدري فلجأ إلى غار في جبل فلحقه رجل من أهل الشام، قال: فلما رأيته انتضيت سيفي فقصدني، فلما رأني صمم علي قتلى فشممت سيفي ثم قلت: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ (١).

فلما رأى ذلك قال: من أنت؟

قلت: أنا أبو سعيد الخدري.

قال: صاحب رسول الله - ﷺ -.

قلت: نعم! فمضى وتركني.

قال المدائني: وجيء إلى مسلم بسعيد بن المسيب فقال له: بايع!

فقال: أبايح على سيرة أبي بكر وعمر. فأمر بضرب عنقه، فشهد رجل

أنه مجنون فخلّى سبيله.

عدالة الله:

قال الحافظ ابن كثير:

«وقد أخطأ يزيد خطأ فاحشاً في قوله لمسلم بن عقبة أن يبيع المدينة ثلاثة أيام، وهذا خطأ كبير فاحش، مع ما انضم إلى ذلك من قتل خلق من الصحابة وأبنائهم، وقد تقدم أنه قتل الحسين وأصحابه على يدي «عبيد الله بن زياد» وقد وقع في هذه الأيام من المفاسد العظيمة في المدينة النبوية ما لا يحد ولا يوصف، مما لا يعلمه إلا الله عز وجل، وقد أراد بإرسال مسلم بن عقبة توطيد سلطانه وملكه، ودوام أيامه من غير منازع، فعاقبه الله بنقيض قصده، وحال بينه وبين ما يشتهي، فقصمه الله قاصم الجابرة، وأخذة أخذ عزيز مقتدر ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ القُرْآنِ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ (٢).

عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله - ﷺ - قال:

(١) سورة المائدة: ٢٩.

(٢) سورة هود: ١٠٢.

«لا يريد أحدُ المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص - أو ذوب الملح في الماء» رواه مسلم .

وعن السائب بن خلاد، قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول:
«من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» أخرجه أحمد .

وقال الإمام الذهبي:

«فكانت دولته - أي يزيد بن معاوية - أقلَّ من أربع سنين؛ ولم يمُهله الله على فعله بأهل المدينة لما خلعه» اهـ .
أما «مسلم بن عقبة» أو «مسرف» .

فلم يمُهله الله تعالى أيضاً فمات «بالشلل» بعدها بأيام .
وقهره القاهر فوق عباده . والحمد لله رب العالمين .

[١٣] حَرَامُ بْنُ مَلْحَانَ

«شَهِيدٌ بِئْرَ مَعُونَةَ»

حرام بن ملحان . . هو: خال «أنس بن مالك» - رضي الله عنه - .
وأخته: «أم سليم» زوج أبي طلحة الأنصاري .

ما هي قصته؟

وقعت أحداث هذه القصة في:

شهر «صفر» .

في سنة «٤هـ» بعد أربعة أشهر من غزوة «أحد» .

في مكان يسمى: «بئر معونة» .

ماذا حدث؟

قال علماء السير:

قدم «أبو براء» عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأُسنة على رسول الله ﷺ - بالمدينة فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه، فلم يُسلم، ولم يبعد وقال:

يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك .

فقال - ﷺ - : «إني أخشى عليهم أهل نجد» .

فقال أبو براء: أنا لهم جار .

فبعث رسول الله ﷺ - «المنذر بن عمرو» أخا بني ساعدة في «سبعين» رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين، فيهم الحارث بن الصمة وحرام بن

ملحان أخو بني عدى بن النجّار، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمى، ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر فى رجال من خيار المسلمين، فساروا حتى نزلوا «بئر معونة» وهى بين أرض بنى عامر وحرّة بنى سليم، فلما نزلوا بعثوا: «حرام بن ملحان» بكتاب رسول الله - ﷺ - إلى «عامر بن الطفيل»، فلما أتاه لم ينظر فى الكتاب حتى عدا على الرجل فقتله، ثم استصرخ عليهم «بنى عامر» فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم وقالوا:

«لن نخفر^(١) أباً براء، وقد عقد لهم عقداً وجواراً».

فاستصرخ عليهم قبائل من «بنى سليم» عصية ورعلاً وذكوان والقارة. فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتى غشوا القوم، فأحاطوا بهم فى رحالهم، فلما رأوهم أخذوا أسيافهم ثم قاتلوا القوم حتى قتلوا عن آخرهم، إلا كعب ابن زيد أخا بنى دينار بن النجّار، فإنهم تركوه به رمق، فارتث^(٢) من بين القتلى، فعاش حتى قتل يوم الخندق^(٣).

وذكر الواقدى فى «المغازى» أن الذى قتل «حرام بن ملحان» هو «جبار ابن سلمى الكلابى» ولما طعنه بالرمح قال:

«فرتُ ورب الكعبة»^(٤).

ثم سأل «جبار» بعد ذلك: ما معنى قوله «فرتُ».

قالوا: يعنى بالجنة.

فقال: صدق والله!!.

إن معنى جديداً للنجاح يبرز الآن. . وليس هو الحصول على رتبة أو

(١) نخفر: نقض العهد.

(٢) ارتث: رفع وبه جراح.

(٣) راجع ترجمة «عامر بن فهيرة».

(٤) روى البخارى عن أنس، قال: «لما طعن حرام بن ملحان - يوم بئر معونة - قال: «بالدم هكذا، فضحه على وجهه ورأسه، وقال: فرتُ ورب الكعبة».

درجة علمية. ولكنه النجاح الساحق في ساحة الاستشهاد حين ترخص الروح في سبيل الله.

ثم أسلم «جبار بعد ذلك لذلك!!».

إنهم شباب: يحصدهم الموت ولكنهم يزرعون الحياة!!.

عدالة الله:

تمر الأيام.. وتتعاقب الأيام والليالي.. ويأتي اليوم.. الذي سيلقى فيه «عامر بن الطفيل» - رأس الأفعى - جزاء ما قدم.

ففي عام الوفود.. قدم على رسول الله - ﷺ - وفد بني عامر، فيهم «عامر بن الطفيل» و«أربد بن قيس».

فقدم «عامر بن الطفيل» عدو الله، على رسول الله - ﷺ -، وهو يريد الغدر به.

وقد قال قومه: يا عامر، إن الناس قد أسلموا فأسلم.

قال: والله لقد كنت أليت أن لا أنتهى حتى تتسبع العرب عقيبى، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش!

ثم قال لأربد: إذا قدمنا على الرجل، فإنى سأشغل عنك وجهه، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف!

فلما قدموا على رسول الله - ﷺ -، قال عامر بن الطفيل:

يا محمد، خالنى..

قال: «لا والله حتى تؤمن بالله وحده».

قال: يا محمد خالنى، وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به، فجعل أربد لا يحير شيئاً.

قال: فلما رأى عامر ما يصنع أربد.

قال: يا محمد خالنى.

قال: «لا، حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له».

فلما أبى عليه رسول الله - ﷺ - قال:

«أما والله لأملأنها عليك خيلاً ورجالاً»^(١).

فلما ولى قال رسول الله - ﷺ -:

«اللهم اكفني عامر بن الطفيل».

فلما خرجوا من عند رسول الله - ﷺ -، قال عامر لأربد:

«ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتُك به! والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندي على نفسي منك، وإيمُ الله لا أخافُك بعد اليوم أبداً».

قال: لا أباً لك! لا تعجلُ عليّ، والله ما هممتُ بالذي أمرتني به من

أمره إلا دَخَلتَ بيني وبين الرجل، حتى ما أرى غيرك، أفأضربك بالسيف؟!

وخرجوا راجعين إلى بلادهم، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، بعث الله

على «عامر بن الطفيل» الطاعون في عنقه، فقتله الله في بيت امرأة من بني

سلول، فجعل يقول:

يا بني عامر، أغدّة كغُدّة البكرِ وموتُ في بيت امرأة من بني

سَلُول! (٢).

قال ابن إسحاق:

«ثم خرج أصحابه حتى واروه، حتى قدموا أرض بني عامر شاتين،

فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا:

ما وراءك يا أربد؟

قال: لا شيء والله، لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددتُ أنه عندي الآن،

فأرميه بالنبل حتى أقتله!!.

(١) يهدده الخبيث بالحرب!!.

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/٣١٩-٣٢١).

فخرج بعد مقاتله بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جملة صاعقة، فأحرقتهما.

وكان أربد بن قيس أخا «لبيد بن ربيعة» لأمه.

قال ابن هشام:

وذكر زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس، قال:

وأنزل الله عز وجل في عامر وأربد:

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمَقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٌ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيَسِيحُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١﴾

قال: المَعْقِبَاتُ: هي من أمر الله يحفظون محمداً.

ثم ذكر أربد وما قتله الله به، فقال:

﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ إلى قوله: ﴿شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (٢).

فلتقر عينك يا «حرام بن ملحان» أنت وإخوانك الشهداء.

فالعاقبة للمتقين. . ولا عدوان إلا على الظالمين.

(١) سورة الرعد: ٨-١٣.

(٢) ذكره الواحدى فى «أسباب النزول» ص ٢٢٧.

[١٤] عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ

«أمير البصرة»

من هو؟:

هو: عتبة بن غزوان بن جابر بن وهيب. السيد الأمير المجاهد «أبو غزوان المازني»، حليف بني عبد شمس.

أسلم سابع سبعة في الإسلام، وهاجر إلى الحبشة، ثم شهد بدرًا والمشاهد.

وكان أحد الرماة المذكورين، ومن أمراء الغزاة، وهو الذي اختط البصرة وأنشأها.

قال بعض أولاد «عتبة»:

«استعمل «عمر» «عتبة بن غزوان» على البصرة، فهو الذي مصر البصرة واختطها - رضي الله عنه -».

مواعظه:

أخرج الإمام مسلم عن خالد بن عمير، قال:

خطبنا «عتبة بن غزوان» - رضي الله عنه - وكان أميراً بالبصرة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أما بعد:

فإن الدنيا قد آذنت بصُرم^(١)، وولت حذاء^(٢)، ولم يبق منها إلا صُباية^(٣) كصُباية الإناء يتصائبها^(٤) صاحبها.

(١) بصرم: أي عملت بانقطاع.

(٢) حذاء: أي سريعة.

(٣) الصباية: اليسير من الشراب يبقى أسفل الإناء.

(٤) يتصائبها: أي شرب صبايتها.

وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم، فإنه قد ذُكر لنا أن الحَجَرَ يُلقَى من شفير^(١) جهنم، فيهوى فيها سبعين عاماً لا يدرك لها قعرًا، والله! لتملأن، أفعجبتن؟
ولقد ذُكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ^(٢) من الزحام.

ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله - ﷺ - ما لنا طعام إلا ورق الشجر حتى قرحت^(٣) أشداقنا، فالتقطتُ بردة فشقتها بيني وبين سعد بن مالك^(٤)، فاتزرتُ بنصفها، واتزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميراً على مصر من الأمصار، وني أعوذ بالله أن أكون في نفسى عظيماً وعند الله صغيراً».

وأخرجه الحاكم وزاد في آخره:

«وإنها لم تكن نبوة قطَّ إلا تناقست حتى يكون عاقبتها ملكاً، وستجربون أو ستبلون الأمراء بعدى».

عتاب مع أمير المؤمنين!:

لما عين عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - «عتبة بن غزوان» على البصرة.. كان سعد بن أبي وقاص يكتب إلى عتبة.. فوجد من ذلك «عتبة» واستأذن عمر أن يقدِّم عليه، فأذن له.

فاستخلف «عتبة» على البصرة «المغيرة بن شعبة» فشكا إلى عمر تسلُّط سعد عليه. فسكت عمر.

فأعاد عليه عتبة وأكثر.

فقال عمر: وما عليك يا عتبة أن تُقرِّ بالامر لرجلٍ من قريش؟

(١) الشفير: الناحية.

(٢) كظيظ: ممتلئ.

(٣) قرحت: صار فيها قروح وجراح، من خشونة الورق الذى نأكل وحرارته.

(٤) هو: سعد بن أبي وقاص - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -.

قال: أوألستُ من قريش؟ قال رسول الله - ﷺ -:

«حَلِيفُ الْقَوْمِ مِنْهُمْ»، ولى صحبة قديمة.

قال: لا نُنْكَرُ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِكَ.

قال: أما إذ صار الأمر إلى هذا، فوالله لا أرجع إلى البصرة أبداً.

فأبى عمر وردّه، فمات بالطريق، أصابه البطن.

وقدم «سويد» غلامه بتركته على عمر، وذلك سنة «سبع عشرة»

- رُوِيَ عَنْهُ - .

قال الإمام الذهبي:

«تُوْفِّيَ بِطَرِيقِ الْبَصْرَةِ وَافْتَدَأَ إِلَى الْمَدِينَةِ سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ» وَعَاشَ سَبْعاً

وخمسين سنة - رُوِيَ عَنْهُ - .

[١٥] عبد الله بن سعد

«بطل معركة ذات الصواري»

من هو؟:

هو: الأمير عبد الله بن سعد بن أبي السرح، قائد الجيوش، أبو يحيى القرشي العامري، من عامر بن لؤي بن غالب.

أسلم «عبد الله» في حياة النبي - ﷺ - ثم ارتدَّ عن الإسلام، ثم أسلم وحسن إسلامه فكان من الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله، فقال الله عنهم: ﴿ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١).

إسلامه وارتداده!!:

أسلم «عبد الله بن سعد بن أبي السرح» - ﷺ - قبل فتح «مكة»، وهاجر إلى المدينة، وقد اختاره رسول الله - ﷺ - كاتباً للوحي وقريبه وأدناه، ثم ارتدَّ ولحق بالمشركين.

وسبب ذلك فيما ذكر المفسرون:

أنه لما نزلت الآية التي في (المؤمنون): ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ (٢). دعاه النبي - ﷺ - فأملاها عليه؛ فلما انتهى إلى قوله: ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴾ عجب عبد الله في تفصيل خلق الإنسان فقال: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ فقال رسول الله - ﷺ -: «هكذا أنزلت عليَّ» فشكَّ عبد الله حينئذ وقال: لئن كان محمد صادقاً لقد أوحى إليَّ كما أوحى إليه، ولئن كان كاذباً لقد قلتُ كما قال!! . فارتدَّ عن الإسلام ولحق بالمشركين؛ فذلك قوله

(١) سورة النساء: ١٤٦ .

(٢) سورة المؤمنون: ١٢ .

تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ (١)(٢).

ولمَّا دخل رسول الله - ﷺ - مكة فاتحاً أمر بقتله، وقتل عبد الله بن خطل، ومقيس بن صُبابَة ولو وجدوا تحت أستار الكعبة (٣)؛ ففرَّ عبد الله بن أبي السرح إلى عثمان بن عفان - رضِيَ اللهُ عنه -، وكان أخاه من الرضاعة، أرضعت أمه عثمان، فغيَّبه عثمان حتى أتى به رسول الله - ﷺ - بعد ما اطمأن أهل مكة فاستأمنه له؛ فصمت رسول الله - ﷺ - طويلاً ثم قال: «نعم».

فلما انصرف عثمان قال رسول الله - ﷺ -:

«ما صَمَّتْ إِلَّا ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه».

فقال رجل من الأنصار: فهلاًَّ أومأتَ إليَّ يا رسول الله؟

فقال: «إن النبيَّ لا ينبغي أن تكون له خائنة الأعين» (٤).

وعن ابن عباس - رضِيَ اللهُ عنهما -، قال:

كان عبد الله بن سعد بن أبي السرح يكتب لرسول الله - ﷺ - فأزله الشيطان، فلحق بالكفار فأمر به رسول الله - ﷺ - أن يُقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان بن عفان، فأجاره رسول الله - ﷺ - (٥).

إلى الإسلام من جديد:

عاد عبد الله بن سعد - رضِيَ اللهُ عنه - إلى الإسلام من جديد. . وأدرك أنه قد أخزى نفسه زمناً في استجابته لوسوسة الشيطان، وأنه لا بد أن يكفِّر على ما كان منه إزاء عفو النبيِّ - ﷺ - عنه، وهو القادر عليه.

(١) سورة الأنعام: ٩٣.

(٢) تفسير القرطبي (٣٧/٧).

(٣) عن أبي برزة الأسلمي، قال: «وقتل عبد العزى بن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة» قلت: كان ابن خطل يهجو المسلمين ويتشبه بنسائهم فأهدر النبي - ﷺ - دمه!!.

(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠٧٢/٩).

(٥) إسناده حسن: أخرجه أبو داود في «الحدود» (٤٣٥٨).

ويُروى: أن عبد الله بن سعد كان يفرّ من رسول الله - ﷺ - أينما رآه، خجلاً منه، وقد ذكر ذلك «عثمان بن عفان» لرسول الله - ﷺ -، فقال: «الإسلام يَجِبُ ما قبله» فكان عبد الله بعد ذلك يجلس مع رسول الله - ﷺ - ويسلم عليه.

قال ابن عبد البر:

«أسلم عبد الله بن سعد بن أبي السرح أيام الفتح فحسن إسلامه، ولم يظهر منه ما يُنكر عليه بعد ذلك.

وهو أحد النجباء العقلاء الكرماء من قريش، وفارس بنى عامر بن لؤي المعدود فيهم» اهـ.

جهاده في سبيل الله تعالى:

بعد انتقال رسول الله - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى وتولّى: أبي بكر الصديق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - الخلافة، ظهرت فتنة الردّة. فثبت عبد الله بن سعد على ما عاهد عليه الله ورسوله، وهذه ظاهرة تؤكد حسن إسلامه وصدق إيمانه، ونقاء توبته. وانضم راضياً إلى صفوف المسلمين الذين جاهدوا أهل الردّة في كل مكان.

وبعد أن قُضِيَ على الفتنة قضاءً تاماً، جهز «الصديق» - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - الجيوش لغزو الشام، بناءً على وصاية من رسول الله - ﷺ -؛ وكانت أربعة:

أحدها: بقيادة أبي عبيدة.

والثاني: بقيادة شُرْحَبِيل بن حسنة.

والثالث: بقيادة عمرو بن العاص.

والرابع: بقيادة يزيد بن أبي سفيان.

أما القيادة العامة فكانت لـ «أبي عبيدة».

وخرج عبد الله بن سعد في جيش عمرو بن العاص وكان قائد الميمنة، باتجاه فلسطين، فلما كان اجتماع الروم في «اليرموك» وراسل القادة الخليفة

فى المدينة يخبرونه ويستمدونه ويستشيرونه، أمرهم بالتجمع، وأرسل إلى خالد فى العراق يأمره بالتوجه إلى الشام مدداً لإخوانه .
ثم كان اللقاء الحاسم، والمعركة الفاصلة التى غيرت وجه التاريخ ومساره .

وكان عبد الله بن سعد واحداً من فرسان المسلمين الذين بايعوا خالد بن الوليد على الموت . . . وقلبوا باندفاعهم فى قلب جيش العدو ميزان النصر لجانب جند الله .

إلى أرض مصر:

ظل عبد الله بن سعد على ميمنة «عمرو بن العاص» طوال أيام الفتح لمذن وقرى فلسطين، وتطهير أرضها عن رجس الرومان، ولقد أبلى فى كل معركة بلاءً حسناً، مما تشهد له كتب التاريخ وتقدم الجيش الإسلامى من بعد إلى حدود مصر، وكان الوجود الرومانى فيها مصدر خطر عظيم على المسلمين فى بلاد الشام، وكان لابد من غزوها . . وقد بين عمرو بن العاص للخليفة «الفاروق» فلماً أذن له، اندفع باسم الله وعلى بركة الله إلى الديار المصرية .

وكان عمرو بن العاص يعتمد اعتماداً كبيراً - بعد الله تعالى - على كفاءة «عبد الله» . . فكان يرسله على رأس قوات خفيفة إلى أطراف مصر جنوباً ليقضى على فلول الرومان . . وكانت أكثر غزواته باتجاه الشمال الإفريقى - ليبيا وتونس . . ، وكان يعود على الدوام منتصراً ثم اتجهت همة «عمرو بن العاص» إلى الصعيد وبلاد النوبة، فأرسل عبد الله بن سعد على رأس قوات إلى تلك المناطق، وأمدّه بالرجال والسلاح، واستطاع عبد الله أن يوطئ تلك الأماكن ويظهرها ويحميها .

ومن ثم جاءت الولاية له على صعيد مصر من قبل الخليفة «الفاروق» وبقدر ما كان «عبد الله» قائداً عسكرياً ناجحاً، كان أيضاً حاكماً إدارياً ناجحاً، فاستطاع خلال ولايته على «الصعيد» أن يضبط الأمور، وينشر الإسلام، ويوثق الصلة مع الناس .

الوالي على مصر كلها:

بعد استشهاد «الفاروق عمر» - رضي الله عنه - . . . ولَّى عثمانُ بن عفان «عبد الله ابن سعد» على مصر كلها. . . وحين ولي «عبد الله» على مصر بعث البعوث والسرايا باتجاه الشمال الإفريقي فأصابوا وغنموا وأثبتوا وجودهم. . . ثم استأذن «عبد الله» عثمانَ بن عفان في غزو إفريقيا. . . فاستشار عثمان من عنده من كبار الصحابة فأشار أكثرهم بالإقدام على غزوها.

فجهز عثمان جيشاً من المدينة وأرسله إلى عبد الله بن سعد، وكان في الجيش «عبد الله بن عباس» و«عبد الله بن عمر بن الخطاب» و«عبد الله بن عمرو بن العاص» و«عبد الله بن الزبير» و«عبد الله بن جعفر» و«الحسن» و«الحسين». . . لذلك سُمِّي هذا الجيش «جيش العبادة».

وسار «عبد الله» بجيشه البالغ تعداده عشرين ألفاً من الجند سنة (٢٦) هـ إلى الشمال الإفريقي، فلما وصلوا إلى «برقة»^(١) لقيهم «عقبة بن نافع» في من معه من المسلمين فساروا جميعاً إلى «طرابلس» فقاتلوا من عندها من الروم، وانتصروا عليهم. . . ثم تقدم «عبد الله» بجيشه نحو الحدود «التونسية». . . وكان ملك الروم هناك يدعى «جرجير يوس» ويمتد سلطانه من «طرابلس» إلى «طنجة» أما عاصمة ملكه فقد كانت «قرطاجنة» في تونس.

ثم التقى جيش المسلمين بقيادة «عبد الله بن سعد» بجيش الروم بقيادة «جرجير يوس» عند موقع يسمى «عقوبة» وكان عدد الروم يزيد على مائة وعشرين ألفاً من الجند.

فراسل «عبد الله بن سعد» ملك الروم يدعو إلى الإسلام أو الجزية، فامتنع. . . ومن ثم نشب القتال بين الفريقين. . . واستمرت الحرب أياماً. . . ثم حمل المسلمون على الروم حملة رجل واحد فهزموهم بإذن الله. . . وقتل عبد الله بن الزبير «جرجير يوس»^(٢) وأخذت ابنته. . . «سبيّة» والحمد لله رب العالمين.

(١) إحدى مدن ليبيا.

(٢) راجع ترجمة «عبد الله بن الزبير» وقصة قتله لملك «البربر» الروم.

معركة ذات الصواري:

تعتبر معركة «ذات الصواري» من أشهر المعارك البحرية في التاريخ القديم. . ففي سنة (٣٤هـ) غزا «عبد الله بن سعد» غزوة «ذات الصواري» في البحر من ناحية «الإسكندرية».

إذ خرج «قسطنطين بن هرقل» في جمع من السفن لم تجمع الروم مثله منذ كان الإسلام، فقد خرجوا في خمسمائة مركب أو ستمائة، يريدون العودة. . فلقبهم «عبد الله بن سعد» في البحر بمائتي مركب^(١)!! . . وقال لجنده: «اركبوا باسم الله. .» فركبوا. . وكان اتجاه الرياح لغير صالح المسلمين حين واجهوا الروم. . فأمر «عبد الله» بإرساء السفن ولم الأشرعة، وكذلك فعل الروم، وقال للروم: الأمان بيننا وبينكم، فرضوا، وبات المسلمون ليلتهم يقرءون القرآن، ويصلون، ويتهجّدون، داعين الله تعالى أن ينصرهم على عدوهم، ويمدهم بمدد من عنده.

وأصبحوا جميعاً. . وقد أجمع الروم أن يقاتلوا فقرّبوا سفنهم. . وقرب المسلمون سفنهم. . فربطوا بعضها إلى بعض، وصف «عبد الله بن سعد» المسلمين على نواحي السفن، وجعل يأمرهم بقراءة القرآن، ويأمرهم بالصبر. واقتتل الفريقان بالسيوف والخنجر، فقتل من المسلمين خلق كثير، وقتل من الروم ما لا يحصى، وصبر المسلمون يومئذ صبراً لم يصبروا مثله، وجرح «قسطنطين» ملك الروم وقائدهم في هذه المعركة، وانهمزوا ولم ينج منهم إلا الشريد.

كما تعرضت حياة «عبد الله بن سعد» في هذه المعركة إلى خطر داهم، كاد يودي به، فقد قرن مركبه بمركب من مراكب الروم، فكاد العدو يجر مركب «عبد الله» إليهم، لولا أن أحد رجاله ضرب السلسلة التي تربط بين المركبين بالسيف فقطعها، وبذلك نجا «عبد الله» من الموت أو الأسر.

(١) ولذلك سميت «ذات الصواري» لكثرة السفن والصواري فيها.

ولقد أظهر «عبد الله» في معركة «ذات الصواري» بطولة فائقة، تلك الغزوة التي أبعدت خطر الروم - بعد اندحارهم - عن مصر وبلاد الشام^(١).

إلى المنفى:

عاد عبد الله بن سعد إلى «مصر» بعد معركة «ذات الصواري» سنة (٣٥هـ) وما هي إلا أيام معدودات حتى قتل «عثمان بن عفان» - رضي الله عنه - . . . وتمت البيعة لـ «علي بن أبي طالب» - رضي الله عنه - فكان أول ما فعله هو عزل «عبد الله بن سعد» عن ولاية مصر، وتعيين «قيس بن سعد بن عبادة» مكانه، راجباً في أن تهدأ نفوس الثائرين^(٢) وتسكن الفتنة.

فخرج عبد الله بن سعد - رضى الله تعالى عنه - من مصر بعد عزله، وفي قلبه غصة، وفي نفسه حنين إلى أرض كانت أول مسرح وميدان لجهاده . . . إلى «فلسطين».

وأقام - رضي الله عنه - في «عسقلان»^(٣) . . . ولما نشب القتال بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - لم يبائع لواحد منهما وكانت وفاته قبل اجتماع الناس على معاوية.

يموت بين التسليمتين!!:

وبعد حياة حافلة بالعباءة . . . والجهاد المتواصل في سبيل الله تعالى . . . أن للمجاهد الكبير أن يحصد ثمرة جهاده وإخلاصه . . . فكانت أول بشارة أن يموت بين التسليمتين وهو في صلواته بين يدي ربه!!

«الله» . والأعمال بخواتيمها.

لما احتضر جعل يقول من الليل: أصبحتم؟

(١) راجع «عبد الله بن سعد» للأستاذ/ محمد علي قطب.

(٢) راجع ترجمة «عثمان بن عفان» في كتابنا «رجال ونساء حول الرسول» ط . دار الفجر للتراث.

(٣) قال الإمام القرطبي: «الصحيح أنه توفى بعسقلان سنة (٣٦) أو (٣٧)هـ تفسير القرطبي (٣٨/٧).

فيقولون: لا .

فلماً كان عند الصبح، قال: إني لأجد بردَ الصبح .

ثم قال: «اللهم اجعل خاتمة عملي الصبح» .

فتوضأ، ثم صلى، فقرأ في الأولى بأمّ القرآن والعاديات، وفي الأخرى

بأمّ القرآن وسورة وسلّم عن يمينه، وذهب يسلم عن يساره فقُبض - رضي الله عنه - .

[١٦] سعد بن معاذ

«لقد اهتز العرش لوفاة سعد بن معاذ!!» حديث شريف

يا تُرى من هذا العبد الصالح الذي نال هذا الشرف . . وارتفع إلى هذا الأفق العالى . . رجل فى الأرض يموت . . يهتز العرش لموته!!!
يا سعادة من يعرف الله . . تعالوا يا بنى الإنسان . . تعالوا لرى جميعاً . . عظمة هذا الدين ، وعظمة رجاله .

من هذا الصحابى الجليل؟:

إنه : سعد بن معاذ بن النعمان بن زيد بن عبد الأشهل ، يكنى أبا عمرو ، وأمّه «كبشة بنت رافع» من المبايعات!! .
أسلم - ﷺ - على يد مصعب بن عمير - كما تقدم - فأسلم بإسلامه بنو عبد الأشهل ، وهى أول دار أسلمت من الأنصار .
ولمّا أسلم - ﷺ - سمعت قريش «هاتفًا» على «جبل أبى قبيس» يقول :

فإن يسلم السعدان يُصبحُ محمدٌ بمكة لا يخشى خلافَ المخالفِ

فقال أبو سفيان : مَنْ السعدان؟ سعدٌ بكر ، سعدٌ تميم؟

فسمعوا فى الليل الهاتف يقول :

ويا سعدُ سعدُ الخزرجين الغطارفِ
على الله فى الفردوس مُنية عارفِ
جنانٌ من الفردوس ذاتُ رفارفِ

أيا سعدُ سعدَ الأوس كُنْ أنتَ ناصرًا
أجيبا إلى داعى الهدى وتمنيا
فإن ثوابَ الله للطالبِ الهدى

فقال أبو سفيان: هما والله سعد بن معاذ وسعد بن عباد^(١).

مواقف خالدة من حياته:

الموقف الأول: مع أبي جهل - لعنه الله:-

عن ابن مسعود - رضي الله عنه -، قال:

انطلق سعد بن معاذ معتمراً^(٢)، فنزل على أمية بن خلف، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام^(٣) يمرُّ بالمدينة، فينزل عليه. فقال أمية له: انتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس طُفَّت. فبينما سعد يطوف إذ أتاه أبو جهل، فقال:

من الذي يطوف آمناً؟

قال: أنا سعد.

فقال: أتطوف آمناً وقد أويتم محمداً وأصحابه؟

قال: نعم.

فتلاحيا.

فقال أمية: لا ترفع صوتك على أبي الحكم، فإنه سيد أهل الوادي.

فقال سعد: والله لو منعني، لقطعت عليك متجرك بالشام.

قال: فجعل أمية يقول: لا ترفع صوتك.

فغضب - أي سعد - وقال - أي لأمية -: دعنا منك، فإنني سمعتُ

محمداً - صلى الله عليه - يقول: يزعم أنه قاتلك.

قال: إياي.

قال: نعم.

(١) ذكره البخاري في «التاريخ الصغير» (١/٢٥، ٢٦) وعند مسلم وعدد الأبيات اثنان.

(٢) كان ذلك بعد إسلامه.

(٣) أي لتجارته.

قال: والله ما يكذب محمدٌ إذا حدث، فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال لى أخى اليثربى؟ زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلى .
قالت: والله ما يكذبُ محمد .

فلما خرجوا «لبدر» قالت امرأته: ما ذكرتَ ما قال لك أخوك اليثربى؟ فأراد أن لا يخرج . فقال له أبو جهل:
إنك من أشرف أهل الوادى، فسِرْ معنا يوماً أو يومين . فسار معهم، فقتله الله (١) .

الموقف الثانى: «يوم بدر»:

لما تحرك جيشُ قريش حتى نزلوا «بالعدوة القصوى» وتحرك جيش المسلمين حتى نزلوا «بالعدوة الدنيا» . . واقترب كلا الفريقين من الآخر . فنظر الرسول - ﷺ - حوله، فوجد أولئك المؤمنين بين مهاجر باع فى سبيل الله نفسه وماله . وأنصارى ربط مصيره وحاضره بهذا الدين الذى اقتداه وآوى أصحابه .

وقبل الشروع فى القتال ومجابهة الأعداء والإقدام على الموت . . استشار الرسول أصحابه: «أشيروا علىَّ أيها الناس» .

فقام أبو بكر، فقال وأحسن . ثم قام عمر بن الخطاب، فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو . فقال:

«يا رسول الله، امض لما أراك الله، فنحن معك، والله لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى، اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . فوالذى بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك الغماد (٢) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه» .

فقال له الرسول - ﷺ - خيراً، ودعا له .

ثم قال: «أشيروا علىَّ أيها الناس» - وإنما يريد الأنصار - وذلك أنهم

(١) رواه البخارى والبيهقى .

(٢) برك الغماد: موضع بناحية اليمن، وقيل: هو موضع فى أفاصى أرض هجر .

١٠٤ صور ومواقف من حياة الصحابة

كانوا عدد الناس، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله.. إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا، فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا.

فكان رسول الله - ﷺ - يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة.

فلما قال ذلك قال له سعد بن معاذ - رضِيَ اللهُ عنه -:

«والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟».

قال: «أجل».

فقال: «قد آمنا بك وصدقناك.. وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة لك، فامض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا البحر فخضته، لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبرٌ في الحرب، صدقٌ عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر على بركة الله».

وفى رواية:

«لعلك أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره، فانظر الذي أحدث الله إليك فامض، فصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت، وعاد من شئت وسالم من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت».

فسر رسول الله - ﷺ - بقول «سعد» ثم قال:

«سيروا وأبشروا، فإن الله وعدني إحدى الطائفتين. والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم..».

الموقف الثالث: «مع يهود بني قريظة»:

كانت السيدة عائشة - رضِيَ اللهُ عنها - في حصن «بني حارثة» يوم الخندق وأمُّ

سعد معها، فعبر سعد عليه درع مقلّصة قد خرجت منه ذراعُه كلها وفي يده حربة يرفل بها، ويقول:

لَبِثَ قَلِيلاً يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَمَلٌ
لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ

يعنى: حَمَلٌ بن بدر.

فقال له أمّه: أى بُنى! قد أَخَرْتُ.

فقلت لها: يا أمَّ سعد، لوددتُ أن درع سعد كانت أسبغ مِمَّا هى.
فرمى سعد بسهم قطع منه الأكل (١).

رماه ابن العرقة، فلما أصابه قال: خذها منى وأنا ابن العرقة. فقال:
«عرق الله وجهك فى النار اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً،
فأبقيني لها، فإنه لا قوم أحبُّ إلىَّ من أن أجاهدهم فيك من قوم آذوا نبيك
وكذبوه وأخرجوه. اللهم إن كنت وضعت الحربَ بيننا وبينهم، فاجعلها لى
شهادة، ولا تُمتنى حتى تُقرَّ عيني من بنى قريظة» (٢).

كان بنو قريظة قد نقضوا عهدهم مع رسول الله - ﷺ - وتحالفوا مع
الأحزاب لتسهيل دخولهم المدينة والقضاء على المسلمين. . ولكن الله سلّم.

وكان النبى - ﷺ - قد أرسل إليهم «سعد بن معاذ» يذكرهم بالعهد
الذى أبرموه مع رسول الله - ﷺ - . فسبوه وآذوا الرسول.

قال الشيخ محمد الغزالي: «ومسلك بنى إسرائيل بإزاء المعاهدات التى
أمضوها قديماً وحديثاً يجعلنا نجزم بأن القوم لا يدعون خستهم أبداً، وأنهم
يرعون الموائيق ما بقيت هذه الموائيق متمشية مع أطماعهم ومكاسبهم
وشهواتهم، فإذا أوقفت تطلعهم إلى الحرام نبذوها نبذ النواة، ولو تركت
الحمير نهيقها، والأفاعى لدغها، ترك اليهود نقضهم للعهود» (٣).

(١) الأكل: عرق فى اليد يعضد ولا يقال عرق الأكل (مختار الصحاح ص ٥٦٤).

(٢) رجاله ثقات: أخرجه أحمد بنحوه (١٤١/٦).

(٣) فقه السيرة (٣٢٤).

وبعث الله تعالى الريح على المشركين ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴾ (١).

وبعد أن هزم الله الأحزاب وحده.. لحق أبو سفيان ومن معه بتهامه، ولحق عيينة بن حصن ومن معه بنجد ورجعت بنو قريظة فتحصنوا في صياصيههم (٢)، ورجع رسول الله - ﷺ - المدينة وأمر فضربت على سعد بن معاذ في المسجد.

فجاءه جبريل وعلى ثنياه النقع، فقال:

«أوقد وضعتم السلاح؟ فوالله ما وضعت الملائكة السلاح بعد، اخرج إلى بنى قريظة فقاتلهم».

فليس رسول الله - ﷺ - لأمته (٣) وأذن في الناس بالرحيل فاتاهم رسول الله - ﷺ - فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة.. حتى قالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ، وكانوا مواليه وحلفاءه في الجاهلية.

فبعث رسول الله - ﷺ - إلى سعد بن معاذ فحمل على «حمار».. فخف به قومه فجعلوا يقولون: يا أبا عمرو، حلفاؤك ومواليك ومن قد علمت.. ولا يرجع إليهم شيئاً حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال: قد آن لى أن لا أبالى فى الله لومة لائم، فقال له رسول الله - ﷺ -: «احكم فيهم».

قال: فإنى أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم، وتقسم أموالهم.

فقال رسول الله - ﷺ -: «لقد حكمت فيهم بحكم الله وبحكم رسوله» (٤).

(١) سورة الأحزاب: ٢٥.

(٢) صياصيههم: أى حصونهم.

(٣) اللأمة: الدرع.

(٤) أصل الحديث فى «الصحيحين».

قالت السيدة عائشة: ثم دعا الله عزّ وجلّ سعداً فقال:

اللهم إن كنت أبقيت على نبيك من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك.

قالت: فانفجر كلمه^(١) وقد كان برأ^(٢). قالت: فحضره^(٣) رسول الله ﷺ - وأبو بكر وعمر، فوالذي نفس محمد بيده إنني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر وأنا في حجرتي.

الملائكة تحمل نعشه!!:

وعن محمود بن لبيد - ﷺ - قال:

لما أصيب إكحلُّ سعد، فثقل، حوّلوه عند امرأة يقال لها «رفيدة» تداوى الجرحى.

فكان النبي ﷺ - إذا مرّ به يقول:

«كيف أمسيت، وكيف أصبحت؟» فيخبره حتى كانت الليلة التي نقله قومه فيها وثقل، فاحتملوه إلى بني عبد الأشهل إلى منازلهم، وجاء رسول الله ﷺ - فقال:

«انطلقوا به».

فخرج وخرجنا معه، وأسرع حتى تقطعت شسوع نعالنا، وسقطت أرديتنا، فشكا ذلك إليه أصحابه.

فقال: «إنني أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة فتغسله كما غسّلت حنظلة».

فانتهى إلى البيت، وهو يُغسل، وأمه تبكيه، وتقول:

(١) أي جرحه.

(٢) برأ: أي شفى.

(٣) أي: لحظة احتضاره.

ويل أم سعد سعداً خراماة وجداً

فقال: «كلُّ باكية تكذبُ إلاَّ أمَّ سعد» ثم خرج به .

قال: يقول له القوم: ما حملنا يا رسول الله ميتاً أخفَّ علينا منه .

قال: «ما يمنعه أن يخفَّ وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قطُّ

قبل يومهم، قد حملوه معكم»^(١)!! .

العرش يهتز لموته!!

عن عبد الله بن شدّاد، قال:

«دخل رسول الله - ﷺ - على سعد، وهو يكيد نفسه فقال:

«جزاك الله خيراً من سيّد قوم، فقد أنجزت ما وعدته وليُنجزنك الله ما

وعدك»^(٢) .

ولمّا صعّدت روحه إلى خالقها . . «جاء جبريل إلى رسول الله - ﷺ -

فقال:

«من هذا العبدُ الصالحُ الذي مات؟ فتحت له أبوابُ السماء، وتحرك له

العرش!!» .

فخرج رسول الله - ﷺ - فاذا سعدٌ، فجلس على قبره»^(٣) .

قال الإمام الذهبي: «والعرش خلقُ الله مُسَخَّرٌ إذا شاء أن يهتز اهتز

بمشيئة الله، وجعل فيه شعوراً لحبِّ سعد، كما جعل الله تعالى شعوراً في

جبل أُحد بحبه النبي - ﷺ - وقال تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ﴾^(٤) . . وهذا

حقٌّ» .

(١) إسناده حسن: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/٢٠٧، ٨) .

(٢) رجاله ثقات: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/٢٠٩) .

(٣) أخرجه الحاكم (١/٢٠٦) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي .

(٤) سورة سبأ: ١٠ .

وفي «صحيح البخارى» قولُ ابن مسعود: «كنا نسمعُ تسييحَ الطعام وهو يؤكل»^(١) وهذا باب واسع سبيلهُ الإيمان.

وقال ابن عبد البر:

«حديث اهتزاز العرش ثابت متواتر.. وقال السهيلي: رواه جماعة من الصحابة منهم: جابر وأبو سعيد وأسيد بن حضير ورميثة بنت عمرو قال: وهو محمول على الحقيقة لأن العرش لا يمتنع عليه الحركة والاهتزاز»^(٢).

وها هي ملائكة الرحمن تغشى جنازة سعد.. تدعو له.. وتشارك في حمل نعشه!!.. وتزفه إلى جناتِ عدن!!.

عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، قال:

قال رسول الله -ﷺ-: «هذا العبد الصالح الذى تحرك له العرش، وفتحت أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لم ينزلوا إلى الأرض قبل ذلك، لقد ضُمَّ ضُمَّ ثم أُفْرِج عنه» يعنى سعداً. أخرجه أحمد وإسناده صحيح.

الله تعالى يضحك له!!:

وتتوالى نعم الله عزّ وجلّ على عبده سعد بن معاذ.. ويترادف كرمه -سبحانه وتعالى- عليه.. فتقول أسماء بنت يزيد بن السكن: لَمَّا تُوفِّي سعد بن معاذ صاحت أمه، فقال لها النبي -ﷺ-: «ليرقأ دمعك ويذهب حزنك، فإن ابنك أول من ضحك الله له، واهتز له العرش»^(٣).

رثاء ووفاء:

«لما انفجر جرحُ سعد، عَجَلَّ إليه رسول الله -ﷺ-، فأسنده إلى

(١) صحيح: البخارى فى «صحيحه» برقم (٣٥٧٩).

(٢) البداية والنهاية (٣/٢٨٤).

(٣) رواه أحمد (٤٥٦/١) وفيه: إسحاق بن راشد، مجهول، وثقه ابن حبان.

صدره والدماء تُسيل عليه . فجاء أبو بكر فقال : «وانكسار ظهره على سعد!»
فقال رسول الله - ﷺ - :

«مهلاً أبا بكر» .

فجاء عمر فقال : «إنا لله وإنا إليه راجعون» .

ولما مات - ﷺ - ، صَلَّى عليه رسول الله - ﷺ - . . . وَدُفِنَ فِي «البقيع»
وعاش - ﷺ - سبعة وثلاثين سنة .

[١٧] حنظلة بن أبي عامر

«الصحابي الذي غسلته الملائكة!!»

قال الله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ ﴿٤١﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِالَهُمْ ﴿٤٢﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٤٣﴾ (١)

«إن المؤمنين الذين صحبوا الأنبياء واقتربوا من حياتهم أُتيح لهم ما لم يتح لغيرهم من منابع الصفاء ووسائل الارتقاء، إن مشاعرك ترق عندما تسمع النغم العذب، وعواطفك تسمو عندما تقرأ البطولة الرائعة، بل إن الذين يحضرون تمثيل بعض الروايات المثيرة يصبغهم جوّ القصة المفتعلة فيضحكون، ويبكون، ويهدأون ويضجّون. فما ظنك بقوم يتبعون رجلاً تكلمه السماء، ويتفجر من جوانبه الكمال، ويسكب على من حوله آيات الطهر؟

فإذا ثقلت نفوسهم عن خير، دَفَعَ بها إلى الأمام، وإذا علقَت بمسالكهم شهوة، نَقَّأها فَرَدَّ عليها سناءها، إن للعظماء إشعاعاً يغمُر البيئة التي يظهرون فيها، وكما يقترب المصباح الخامد من المصباح المشتعل فيضي منه، تقترب النفوس المعتادة من الفرد الممتاز فتنتوى في مجاله، وتمشى في آثاره!! .

وقد التف بمحمد - ﷺ - فريق من الربانيين الأنقياء، كانوا له تلاميذ مخلصين، فزكت - بصحبته - نفوسهم، وشفّت طباعهم، حتى أشرق عليها من أنوار الإلهام ما جعلها تنطق بالحكمة وفصل الخطاب» (٢) .

ومن هؤلاء التلاميذ الذين تخرَّجوا من مدرسة النبوة: البطل الشاب «حنظلة بن أبي عامر» - رضي الله عنه - .

(١) سورة محمد: ٤-٦ .

(٢) فقه السيرة (٢٠٣) .

فمن هو حنظلة؟

هو: حنظلة بن أبي عامر الراهب الأنصاري الأوسى المدني.
 وكان أبوه «أبو عامر» يسأل عن ظهور رسول الله - ﷺ - ويستوصف
 صفته الأحبار ويلبس المسوح ويترهب.
 قال خزيمة بن ثابت:

«ما كان في الأوس والخزرج رجل أوصف لرسول الله - ﷺ - منه
 - أي من أبي عامر - كان يألف اليهود ويسألهم عن الدين فيخبرونه بصفة
 النبي - ﷺ -، وإن هذه دار هجرته، ثم خرج إلى يهود تيماء فأخبروه بمثل
 ذلك، ثم خرج إلى الشام فسأل النصراني فأخبروه بصفته فرجع وهو يقول:
 أنا على دين الحنيفية، فأقام مترهباً ولبس المسوح، وزعم أنه على دين إبراهيم
 يتوكف خروج النبي - ﷺ -، فلما قدم رسول الله - ﷺ - المدينة حسده وبغى
 وناق، وقال: يا محمد أنت تخلط الحنيفية بغيرها، فقال رسول الله - ﷺ -:
 «أتيت بها بيضاء نقية، أين ما كان يخبرك الأحبار من صفتي؟».

قال: لست بالذي وصفوا لى.

فقال رسول الله - ﷺ -: «كذبت».

قال: ما كذبت.

فقال رسول الله - ﷺ -: «الكاذب أماته الله طريداً وحيداً».

فقال: آمين.

ثم خرج إلى مكة فكان مع قريش يتبع دينهم، وترك الترهب، ثم
 حَضَرَ «أحدًا» معهم كافرين، فلما كان يوم الفتح ورأى الإسلام قد ضرب
 بجرانه خرج هارباً إلى «قيصر» فمات هناك طريداً.

فقضَى قيصر بميراثه لكنانة بن عبد ياليل، وقال: أنت وهو من أهل
 المدر».

وكان ابنه «حنظلة» من خيار المسلمين.. لما أسلم قال:

يا رسول الله أقتل أبي؟

قال: «لا».

وتزوج «حنظلة» -رضى الله تعالى عنه- «جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول». فأدخلت عليه في الليلة التي في صبيحتها كان قتال «أحد» وكان قد استأذن رسول الله -ﷺ- أن يبيت عندها فأذن له.

فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله -ﷺ- (١) فمال إليها فأجنب (٢) وأراد الخروج، فأرسلت إلى أربعة من قومها فأشهدت عليه أنه دخل بها. فقيل لها بعد: لم أشهدت عليه؟

قالت: رأيت كأن السماء قد فرجت له فدخل فيها ثم أطبقت، فقلت: هذه الشهادة وعلقت بعبد الله (٣).

الشهادة:

وخرج حنظلة فقاتل واعترض أبو سفيان بن حرب (٤) فضرب عرقوب فرسه، فوقع أبو سفيان وجعل يصيح:

«يا معشر قريش أنا سفيان بن حرب».

فعاد «الأسود بن عبد يغوث» فحمل على حنظلة بالرُمح فأنفذه، فمر عليه أبوه «أبو عامر» وهو إلى جانب «حمزة» و«عبد الله بن جحش» (٥).

فقال: «إن كنت لأحذرك هذا الرجل من قبل هذا المصرع، والله إن كنت لبراً بالوالد، شريف الخلق، وإن ممالكك لمع سراة أصحابك، فإن جرى

(١) أى ليشارك فى القتال معه.

(٢) أصابته جنابة.

(٣) علقت: أى حملت بعبد الله بن حنظلة، وكان من صغار الصحابة وكان يدعى بابن الغسيل -رضي الله عنه-.

(٤) قبل إسلامه، وكان قائداً لجيش قريش.

(٥) ستأتى ترجمته -إن شاء الله تعالى-.

الله هذا القتل -يعنى حمزة- أو أحد من أصحاب محمد خيراً فجزاك الله خيراً» .

ثم نادى: «يا معشر قريش، حنظلة لا يمثل به، وإن كان خالفنى فإنه لم يأل بنفسه فيما يرى خيراً» .

فقال أبو سفيان: «حنظلة بحنظلة». يعنى: حنظلة بن أبى سفيان. وكان قتل يوم بدر (١) .

وقال رسول الله - ﷺ -:

«إنى رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبى عامر بين السماء والأرض بماء المزن (٢) فى صحاف الفضة» .

قال أبو أسيد الساعدى: فذهبنا فنظرنا إليه فإذا رأسه يَقَطُرُ ماء!! .

فرجعتُ إلى رسول الله - ﷺ - فأخبرته .

فأرسل رسول الله - ﷺ - إلى امرأته فأخبرته أنه خرج وهو جنب .

وفى رواية من طريق ابن إسحاق، حدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله، عن أبيه، عن جدّه - زوجته - قال: سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقول عند قتل حنظلة بن أبى عامر: «إن صاحبكم تغسله الملائكة»!! .

فسألوا صاحبه (٣)، فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة (٤) وهو جنب .

فقال رسول الله - ﷺ - : «لذلك غسلته الملائكة» (٥) .

(١) المنتظم (٣/ ١٨٤ - ١٨٥) .

(٢) ماء المطر: ومنه قوله تعالى ﴿ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمَازِنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ [سورة الواقعة: ٦٩] .

(٣) صاحبه: زوجته . ومنها قوله تعالى ﴿ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ ﴾ [سورة عبس: ٣٦] .

(٤) الهائعة: كل ما أفرغ من جانب العدو من صوت أو خبر وفى الحديث: «من خير معاش الناس لهم رجل يمسك بعنان فرسه فى سبيل الله يطير على مئنه، كلما سمع هبةً أو فزعاً طار على مئنه يتغى القتل، أو الموت مظانه» رواه مسلم . ومتن الفرس: ظهره .

(٥) إسناده جيد: أخرجه الحاكم فى «المستدرک» (٣/ ٢٠٤) وقال: صحيح الإسناد . ووافقه الذهبى، وجوّد إسناده الأرنؤوط .

قال الإمام الذهبي:

«غَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ لِكَوْنِهِ جُنْبًا، فَلَوْ غُسِّلَ الشَّهِيدُ الَّذِي يَكُونُ «جُنْبًا»
استدلالاً بهذا، لكان حسناً» «سير أعلام النبلاء» (٣/٣٢١، ٣٢٢).

[١٨] أَبُو بَصِيرٍ

«الصحابي الثائر!!»

إن اعتزاز المسلم بنفسه ودينه وربّه هو كبرياء إيمانه، وكبرياء الإيمان غير كبرياء الطغيان، إنها أنفة المؤمن أن يصغر لسلطان، أو يتّضع في مكان، أو يكون ذنباً للإنسان.

هي كبرياء فيها من التمرد بقدر ما فيها من الاستكانة، وفيها من التعالى بقدر ما فيها من التضامن: فيها الترفع على مغريات الأرض ومزاعم الناس وأباطيل الحياة، وفيها الانخفاض إلى خدمة المسلمين والتبسط معهم، واحترام الحق الذي يجمعه بهم، فيها إتيان البيوت من أبوابها، وطلاب العظمة من أصدق سييلها. إن العزة والإباء والكرامة من أبرز الخلال التي نادى الإسلام بها، وغرسها في أنحاء المجتمع وتعهد نماءها بما شرع من عقائد وسنن من تعاليم.

ومن عزة المؤمن ألا يكون مستباحاً لكل طامع، أو غرضاً لكل هاجم. بل عليه أن يستमित دون نفسه وعرضه. وماله وأهله. وإن أريقت في ذلك دماء، فإن هذا رخيص لصيانة الشرف الرفيع (١).

وضيفنا على هذه السطور عاش حياته من بداية إسلامه إلى يوم مماته لا يعرف الركوع إلا لله، ولا يذعن إلا لمولاه يوالى من والاه، ويعادى من عاداه.

فمن هذا الصحابي الثائر؟

هو: الصحابي الجليل «أبو بصير» عتبة بن أسيد بن جابر كان - رضي الله عنه - حليفاً لبني زهرة، أسلم بمكة قديماً فحبسه المشركون عن الهجرة، وذلك قبل

(١) خلق المسلم (٢٠٤).

عام «الحديبية» فلما نزل رسول الله - ﷺ - الحديبية.. وصالح النبي - ﷺ - قريشاً على:

«وَصَّعَ الْحَرْبَ عَنِ النَّاسِ عَشْرَ سِنِينَ يَأْمَنُ مِنْ فِيهِنَّ النَّاسُ وَيَكْفُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَتَى مُحَمَّدًا مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيَّهِ رَدُّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مِمَّنْ مَعَ مُحَمَّدٍ لَنْ يَرُدُّوهَ عَلَيْهِ، وَأَنْ بَيْنَهُمْ عَيْبَةٌ مَكْفُوفَةٌ^(١)، وَأَنَّهُ لَا إِسْلَالَ وَلَا إِغْلَالَ^(٢)، وَأَنَّهُ مِنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ، وَأَنْ يَرْجِعَ الرَّسُولُ وَأَصْحَابُهُ عَامَةً.. فَلَا يَدْخُلُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَكَّةَ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ الْعَامَ الْمُقَابِلَ خَرَجُوا عَنْهَا فَدَخَلُهَا - ﷺ - بِأَصْحَابِهِ فَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا مَعَهُ سِلَاحَ الرَّكَابِ، وَالسُّيُوفَ فِي الْقُرْبِ...».

قال ابن إسحاق:

«فلما قدم رسول الله - ﷺ - المدينة {أفلت أبو بصير من قومه فسار على قدميه سعيًا حتى أتى رسول الله - ﷺ -} (٣) فلما قدم على رسول الله - ﷺ - كتب فيه أزهري بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي إلى رسول الله - ﷺ -، وبعثنا رجلاً من بني عامر بن لؤي، ومعه مولى لهم، فقدم على رسول الله - ﷺ - بكتاب الأزهري والأخنس.

فقال رسول الله - ﷺ - : «يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا العذر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق إلى قومك».

قال: يا رسول الله أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني؟

قال: «يا أبا بصير انطلق فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً».

(١) عيبة مكفوفة: أي صدور منظوية على ما فيها. والمراد: تكف عنا ونكف عنك.

(٢) الأسلال: السرقة الخفية. الأغلال: الخيانة.

(٣) ما بين المعقوفتين من المنتظم (٢٩٢/٣).

فانطلق معهما حتى إذا كان «بذى الحليفة» جلس إلى جوار جدار، وجلس معه صاحباه.

فقال أبو بصير: أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر؟

فقال: نعم.

قال: أنظر إليه؟

قال: نعم، إن شئت.

قال: فاستلّه أبو بصير، ثم علاه به حتى قتله!! وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسول الله - ﷺ - وهو جالس في المسجد، فلما رآه رسول الله - ﷺ - طالعاً قال: «إن هذا لرجلٌ قد رأى فرعاً».

فلما انتهى إلى رسول الله - ﷺ - قال:

«ويحك! مالك؟».

قال: قتل صاحبكم صاحبي، فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف حتى وقف على رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسول الله، وَفَتُ ذِمَّتْكَ، وَأَدَّى اللَّهُ عَنْكَ، أَسْلَمْتَنِي بِيَدِ الْقَوْمِ وَقَدْ اِمْتَنَعْتُ بِدِينِي أَنْ أُفْتَنَ فِيهِ، أَوْ يُعْبَثَ بِي.

قال: فقال رسول الله - ﷺ -: «ويل أمّه محشّ حرب^(١) لو كان معه

رجال!».

ثم خرج «أبو بصير» حتى نزل «العيص»^(٢)، من ناحية ذى المروة، على ساحل البحر، بطريق قريش التي كانوا يأخذون عليها إلى الشام، وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله - ﷺ -: «ويل أمّه محشّ حرب لو كان معه رجال!».

فخرجوا إلى «أبي بصير» بالعيص، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين

(١) محشّ حرب: أى أنه يوقد الحرب ويهيجها ويشعل نارها.

(٢) العيص: هو موضع فى بلاد بنى سليم به ماء يقال له: ذبيان العيص.

رجلاً، وكانوا قد ضيقوا على قريش، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه، ولا تمر بهم غير إلا اقتطعوها، حتى كتبت قريش إلى رسول الله - ﷺ - تسأله بأرحامها إلا آواهم، فلا حاجة لهم بهم»^(١).

قال ابن الجوزي: «فكتب النبي - ﷺ - إلى أبي بصير أن يقدم عليه مع أصحابه، فجاءه الكتاب وهو يموت!!!».

فجعل - ﷺ - يقرأه ويقبله ويضعه على عينيه، فمات وهو في يديه!!
فغسله أصحابه، وصلوا عليه ودفنوه هناك. . . وبنوا عند قبره مسجداً،
ثم قدموا على رسول الله - ﷺ - فأخبروه فترحم عليه»^(٢).

(١) أخرجه البيهقي في «السنن» (٩/٢٢٧).

(٢) المتظم (٣/٢٩٢).

[١٩] عبد الله بن أم مكتوم

«الضَّرِيرُ الْمُجَاهِدُ!!»

من السابقين الأولين من المهاجرين. أسلم بمكة قديماً، وكان ضيرير البصر، ذهبت عيناه وهو غلام. وهاجر إلى المدينة وكان يؤذّن للنبي - ﷺ - مع بلال، وسعد القرظ، وأبي محذورة مؤذّن مكة. هاجر إلى المدينة بعد مصعب بن عمير - رضى الله عنهما -.

● فعن البراء، قال:

«أول من قدم علينا مصعب بن عمير، ثم أتانا بعده عمرو^(١) بن أم مكتوم، فقالوا له: ما فعل من وراءك؟ قال: هم أولاء على أثرى»^(٢).

● وفى رواية: قال البراء:

«أول من قدم علينا مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، فجعلوا يُقرئان الناس القرآن»^(٣).

● وقال ابن عمر: قال رسول الله - ﷺ -:

«إن بلالاً يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى ينادى ابن أم مكتوم».

وكان أعمى لا يُنادى حتى يُقال له: أصبحت أصبحت» متفق عليه.

● وكان النبي - ﷺ - يستخلفه على المدينة يُصلّى بالناس فى عامّة

غزواته.

(١) كان أهل المدينة يقولون: عبد الله، وأما أهل العراق، فسموه عمراً.

(٢) أخرجه ابن سعد (٤/١٥١).

(٣) رجاله ثقات: أخرجه الحاكم (٣/٦٣٤).

عتابُ الله تعالى لنبيه من أجله!!:

قال الله تعالى:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ﴿٣﴾ أَوْ
يَذْكُرُ فَتَنَعُهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾ أَمَا مِنْ اسْتَغْنَى ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا
يَزَكِّي ﴿٧﴾ وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ﴿١٠﴾ (١).

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى -:

«ذكر عروة بن الزبير ومجاهد وأبو مالك وقتادة والضحاك وابن زيد وغير واحد من السلف والخلف أنها نزلت في ابن أم مكتوم» اهـ.

وعن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قالت:

«أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني. وعند رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رجلٌ من عظماء المشركين فجعل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يعرض عنه، ويقبل على الآخر ويقول:

«أتري بما أقول بأساً؟».

فيقول: «لا»، ففي هذا أنزل ﴿٢﴾.

والأسلوب الذي تولى به القرآن هذا العتاب الإلهي أسلوب فريد، لا تمكن ترجمته في لغة الكتابة البشرية. فلغة الكتابة لها قيود وأوضاع وتقاليد، تغض من حرارة هذه الموحيات في صورتها الحية المباشرة. وينفرد الأسلوب القرآني بالقدرة على عرضها في هذه الصورة في لمسات سريعة. وفي عبارات متقطعة. وفي تعبيرات كأنها انفعالات، ونبرات وسمات ولمحات حية!.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ . . بصيغة الحكاية عن أحد آخر

(١) سورة عبس: ١-١٠.

(٢) صحيح الإسناد: رواه الترمذى (٣٥٦٦) في «التفسير». وقال الشيخ الألبانى: صحيح الإسناد. «صحيح سنن الترمذى» (٢٦٥١).

غائب غير المخاطب! وفي هذا الأسلوب إحياء بأن الأمر موضوع الحديث من الكراهة عند الله بحيث لا يحب - سبحانه - أن يواجهه به نبيه عطفًا عليه .

ثم يستدير إلى العتاب في صيغة الخطاب: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ﴾ (٣) أَوْ يَذَكِّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿ وما يدريك أن يشرق هذا القلب بقبس من نور الله، فيستحيل منارة في الأرض تستقبل نور السماء .

﴿ أَمَا مِنْ اسْتَعْنَى ﴾ (٤) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿ أما من أظهر الاستغناء عنك وعن دينك وعمّا عندك من الخير فأنت تتصدى له وتجهّد لهديته! .

﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي ﴾ ﴿ وما يضيرك أن يظللّ في رجسه ودنسه؟ وأنت لا تُسأل عن ذنبه، وأنت لا تُنصر به ﴿ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴾ طائعاً مختاراً ﴿ وَهُوَ يَخْشَى ﴾ ويتوقى ﴿ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلْهَى ﴾ ويسمى الانشغال عن الرجل التقى الراغب في الخير تلهياً . وهو وصف شديد . . ﴿ كَلَّا ﴾ . . لا يكن ذلك أبداً .

ثم يبين - سبحانه - حقيقة هذه الدعوة وعظمتها، واستغناءها عن كل أحد . وعن كل سند . . وعنايتها فقط بمن يريد لها لذاتها، كائنًا ما كان وضعه ووزنه في موازين الدنيا: ﴿ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴾ (١١) ﴿ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴾ .

هذا هو الميزان . ميزان الله . الميزان الذي توزن به القيم والاعتبارات، ويقدر به الناس الأوضاع . . فالأكرم عند الله هو الذي يستحق الرعاية والاهتمام، ولو تجرّد من كل مقومات الأرض . النسب والقوة والمال . . فكل هذه المقومات لا وزن لها حين تتعرى عن الإيمان والتقوى .

إنها المعجزة . معجزة الميلاد الجديد للإنسان على يد الإسلام الحنيف .

ثم ماذا؟

كان رسول الله - ﷺ - بعد هذا الحادث يهش لابن أمّ مكتوم ويرعاه؛ ويقول له كلما لقيه:

«أهلاً بمن عاتبني فيه ربي!!» . ويقول: «هل من حاجة؟» .

المجاهدُ الضَّريرُ!!

عن سهل بن سعد الساعدي قال:

رأيت مروان بن الحكم جالساً في المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت^(١) أخبره:

أن النبي - ﷺ - أملى عليه: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، قال: فجاءه ابن أم مكتوم، وهو يُمَلُّها عليّ.

فقال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان رجلاً أعمى، فأنزل الله على رسوله - وفخذه على فخذي - فثقلت حتى همتُ ترَضُّ فخذي، ثم سرى عنه، فأنزل الله عليه ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾^(٢) فأصبح منطوق الآية الكريمة:

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾^(٣) الآية.

وبالرغم من أن الله عزَّ وجلَّ عذَّره ووضع عنه الجهاد.. إلا أنه نال شرف المساهمة في قتل أعداء الله ورسوله.. وتخريض المسلمين على القتال!!.

فعن عبد الله بن معقل، قال:

نزل ابن أم مكتوم على يهودية بالمدينة كانت ترفُّقه، وتؤذيه في النبي - ﷺ -، فتناولها فضربها، فقتلها!! فرفع ذلك إلى النبي - ﷺ -، فقال هو: أما والله إن كانت لترفُّقني، ولكن آذنتني في الله ورسوله.

فقال النبي - ﷺ -: «أبعدها الله، قد أبطلت دَمَهَا»^(٤).

(١) كان يكتب الوحي بين يدي النبي - ﷺ -.

(٢) صحيح: انظر: صحيح سنن الترمذي (٢٤٢٨).

(٣) سورة النساء: ٩٥.

(٤) رجاله ثقات: وأخرجه أبو داود (٤٣٦٢) في «الحدود» بنحوه.

قال الإمام الخطابي: «فيه بيان أن سابَّ النبيَّ - ﷺ - يقتل» (١).

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلي، قال:

«نزلت: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فقال عبد الله بن أم مكتوم: أى ربّ أنزل عذرى، أين عذرى؟ فأَنْزَلَ اللهُ: ﴿غَيْرُ أَوْلِي الضَّرَرِ﴾ فجعلت بينهما، وكان بعد ذلك يغزو فيقول: ادفعوا إلى اللواء، فإنى أعمى لا أستطيع أن أفرّ، وأقيمونى بين الصّفين!!».

وعن أنس بن مالك، قال:

«إن عبد الله بن أم مكتوم يوم القادسية كانت معه راية له سوداء وعليه درع!!».

وقال الواقدي: شهد القادسية معه الراية، ثم رجع إلى المدينة، فمات بها، ولم نسمع له بذكر بعد عمر.

قال الإمام الذهبي: «ويقال استشهد يوم القادسية».

-رضى الله عنه وأرضاه-.

[٢٠] معاذ بن عمرو بن الجموح

«بطولة فوق الخيال»

تعالوا يا شباب الإسلام.. هلمُّوا.. وقرأوا.. واسمعوا.. ثم تابعوا
وتأسوا بهذا الجيل الفريد.. فلن يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

من معاذ، وما قصته؟

معاذ: «هو معاذ بن عمرو بن الجموح بن كعب، الأنصاريّ الخزرجيّ
المدنيّ البدريّ، قاتلُ أبي جهل!». .

أما قصته:

فهي قصة أغرب من الخيال.. وفوق التصوّر.. تعجّب منها «عبد
الرحمن بن عوف» - رضي الله عنه - وهي ثابتة في «الصحيحين»!!
ونترك المجال لسيدنا «عبد الرحمن بن عوف» يقص علينا ما سمع وما
رأى فيقول:

«إني لواقف يوم «بدر» في الصف، فنظرتُ، فإذا أنا بين غلامين من
الأنصار حديثه أسنانهما، فتمنيتُ أن أكون بين أضلع منهما.

فغمزني أحدهما، فقال:

«يا عم! أتعرفُ أبا جهل؟»

قلت: نعم. وما حاجتك به؟

قال: أُخبرتُ أنه يسبُّ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم -، والذي نفسي بيده إن رأيتُه

لا يفارق سوادى سواده حتى يموتَ الأعجل منا!! .

فتعجبتُ لذلك، فغمزني الآخر، فقال مثلها، فلم أنشِبُ^(١) أن نظرتُ إلى أبي جهل وهو يجول في الناس.

فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما.

قال: فابتدراه بسيفيهما حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى النبي ﷺ - فأخبراه.

فقال: «أيكما قتله؟».

فقال كلُّ منهما: أنا قتلته.

فقال: «هل مسحتما سيفيكما؟».

قالا: لا.

فنظر في السيفين، فقال:

«كلاكما قتله».

وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو. والآخر وهو معاذ بن عفرأ.

ويحكى «معاذ بن عمرو» قصة قتله لأبي جهل وجهاده يومئذ فيقول: «جعلتُ أبا جهل يومَ بدر من شأني. فلما أمكنتني، حملتُ عليه، فضربتُه، فقطعتُ قدمه بنصف ساقه. وضربني ابنُه «عكرمة بن أبي جهل»^(٢) علي عاتقي، فطرح يدي وبقيتُ معلقةً بجلدة بجنبي، وأجهضني عنها القتالُ، فقاتلتُ عامَّة يومى وإني لأسحبها خلفي. فلما آذنتي، وضعتُ قدمي عليها ثم تمطأت عليها حتى طرحتها!!!^(٣).

يقول الذهبي مُعلقًا:

«هذه والله الشجاعةُ، لا كآخر من خدشٍ بسهم ينقطع قلبه، وتخورُ

قواه!!!».

(١) لم أنشِب: أى: لم ألبث، أى: لم يمض زمن طويل على سؤالهما إلا ورأيتُه.

(٢) قبل إسلامه - ﷺ -.

(٣) رجاله ثقات: أخرجه ابن هشام (١/٦٣٤-٦٣٥).

نقل هذه القصة «ابن إسحاق» وقال:

ثم عاش بعد ذلك إلى زمن عثمان.

قال:

«ومرَّ بأبي جهل مَعُوذُ بن عفراء، فضربه حتى أثبتَّه، وتركه وبه رمق.

ثم قاتل مَعُوذُ حتى قُتل... ثم مرَّ ابنُ مسعود بأبي جهل، فوبَّخه وبه

رمق، ثم احتزَّ رأسه».

وهكذا يضرب «معاذ بن عمرو» مثلاً رائعاً في فن الفداء والتضحية

-رضى الله عنه وأرضاه-.

[٢١] ثابت بن قيس

«نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس» حديث شريف

هو: ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس الخزرجي الأنصاري أبو محمد «خطيب» الأنصار، ويقال له أيضاً «خطيب النبي - ﷺ -» .

كان - ﷺ - من نجباء الصحابة، ولم يشهد بدرًا، وشهد أحدًا وبيعة الرضوان .

قال ابن إسحاق:

«قيل: آخى رسول الله - ﷺ - بينه وبين عمار، وقيل: بل المؤاخاة بين عمار وحذيفة. وكان جهير الصوت، خطيبًا، بليغًا.»

فضائله:

١- روى الترمذي بإسناد على شرط مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: «نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس» .

٢- وعن أنس بن مالك - ﷺ -، قال:

خطب «ثابت بن قيس» مقدم رسول الله - ﷺ - المدينة، فقال: «نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا، فما لنا؟»
قال - ﷺ - : «الجنة» .

قالوا: رضينا .

٣- وروى مسلم في «صحيحه» عن أنس بن مالك، قال:

لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ...﴾ (١) الْآيَةُ، جَلَسَ «ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ» فِي بَيْتِهِ وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ. وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ -، فَسَأَلَ النَّبِيَّ - ﷺ - سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ فَقَالَ: «يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ اشْتَكَى؟».

قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى.

قَالَ: فَآتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -.

فَقَالَ ثَابِتٌ: أَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ..

فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ - ﷺ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ!!».

قُلْتُ: وَهَذِهِ مَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ.. وَفَضْلٌ كَبِيرٌ.. وَتَعْظِيمٌ عَظِيمٌ لَشَأْنِ هَذَا الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ «هَنِيئًا لَهُ».

٤- وَأَخْرَجَ مَالِكٌ وَغَيْرُهُ: عَنِ ابْنِ شَهَابٍ، عَنِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ: أَنَّ ثَابِتَ بْنَ قَيْسٍ قَالَ:

«يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي أَخْشَى أَنْ أَكُونَ قَدْ هَلَكْتُ، يَنْهَانَا اللَّهُ أَنْ نُحِبَّ أَنْ نَحْمَدَ بِمَا لَا نَفْعَ لَنَا فِيهِ (٢)، وَأَجِدُنِي أَحَبُّ الْحَمْدِ. وَيَنْهَانَا اللَّهُ عَنِ الْخِيَلَاءِ (٣)، وَإِنِّي أَمْرٌ أَحَبُّ الْجَمَالِ، وَيَنْهَانَا اللَّهُ أَنْ نَرْفَعُ أَصْوَاتَنَا فَوْقَ صَوْتِكَ (٤)، وَأَنَا رَجُلٌ رَفِيعُ الصَّوْتِ..»

فَقَالَ - ﷺ -: «يَا ثَابِتُ! أَمَا تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ حَمِيدًا، وَتَقْتُلَ شَهِيدًا، وَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟» إِسْنَادُهُ قَوِيٌّ.

(١) سورة الحجرات: ٢.

(٢) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٨٨].

(٣) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة لقمان: ١٨].

(٤) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [سورة الحجرات: ٢].

عزائم لا تقهر!!:

فى موقعة «اليمامة» سطر المجاهدون من آيات الجهاد ما يبهر الألباب... وهناك على أرض المعركة كان «ثابت بن قيس» يرفع راية الأنصار ويقف فى أرض القتال كالطود العظيم.. ولمّا رأى «ثابت» فرار بعض المسلمين من أرض المعركة.. تحنّط ونشر أكفانه.. وحفر لنفسه حفرة فدخل فيها وقال:

«اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء، وأعتذر مما صنع هؤلاء».

ثم قال: «بئس ما عودكم أقرانكم منذ اليوم، خلّوا بيننا وبينهم ساعة» فحمل فقاتل حتى قتل شهيداً - رضي الله عنه -.

رؤيا عجيبة:

رأى رجل من المسلمين «ثابت بن قيس» - بعد استشهاده - فى منامه فقال: «إنى لَمّا قُتلتُ بالأمس مرّ بى رجلٌ من المسلمين فانتزع منى درعاً نفيسةً ومنزله فى أقصى العسكر وعند منزله فرس بتن فى طوله، وقد أكفأ على الدرع برمة، وجعل فوق البرمة^(١) رحلاً، وائت خالد بن الوليد^(١) فليبعث إلى درعى فليأخذها، فإذا قدمت على خليفة رسول الله فأعلمه أن على من الدين كذا، ولى من المال كذا، وفلان من رقيقى عتيق، وإياك أن تقول: هذا حلم فتضيّعه، قال: فأتى خالداً فوجه إلى الدرع فوجدها كما ذكر، وقدم على أبى بكر فأخبره فأنفذ أبو بكر وصيّته بعد موته فلا نعلم أحداً جازت وصيّته بعد موته إلا ثابت بن قيس بن شماس!!».

قال ابن كثير: «ولهذا الحديث وهذه القصة شواهد آخر» اهـ.

(١) البرمة: قدر من الحجارة.

(٢) قائد المسلمين فى موقعة «اليمامة».

[٢٢] حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانَ

«صاحب سرِّ رسول الله - ﷺ -»

من هو؟:

هو: حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانَ بن جابر العَبْسِيُّ اليماني، أبو عبد الله. حليف الأنصار، من أعيان المهاجرين.

من نُجَبَاءِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ - ﷺ - وهو صاحب سرِّ رسول الله - ﷺ - ورجل يختاره الرسول - ﷺ - ليجعل من قلبه مستودعاً لسره!! لرجل عظيم القدر، كبير الشأن.

أخرج مسلم في «صحيحه» عن حذيفة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قال:

«والله إني لأَعْلَمُ الناسَ بكلِّ فتنَةٍ هي كائنة فيما بيني وبين الساعة».

وعن زاذان أن علياً سئل عن حذيفة، فقال:

«عَلِمَ المنافقين، وسأل عن المعضلات؛ فإن تسألوه تجدوه بها عالماً».

وكان النبيُّ - ﷺ - قد أسرَّ إلى حذيفة أسماءَ المنافقين، وضبط عنه الفتن الكائنة في الأمة.

وقد ناشده عمر بن الخطاب: أأنا من المنافقين؟

فقال: لا، ولا أزكى أحداً بعدك.

وفي المستدرک «٣/٣٨١» عن قيس، قال:

سئل عليٌّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن ابن مسعود، فقال: قرأ القرآن، ثم وقف عند

شبهاته، فأحل حلاله، وحرَّم حرامه، وسئل عن عمار، فقال: مؤمن نسي،

وإذا ذُكِرَ ذكر، وسئل عن حذيفة، فقال: كان أعلم الناس بالمنافقين.

خرج حذيفة - رضي الله عنه - هو وأبوه اليمان وأسم اليمان: «حُسَيْل» فأخذهما كفار قريش، وقالوا:
إنكما تريدان محمداً.
فقالا: ما نريد إلا المدينة.

فأخذوا منهما عهداً ألا يقاتلا مع النبي - صلى الله عليه وسلم -، وأن ينصرفا إلى المدينة، فأتيا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقالوا:
إن شئت قاتلنا معك.

قال: «بلى نفى لهم - أي: بعهدهم - ونستعين الله عليهم». فقاتهما بدر، وشهد حذيفة أحداً وما بعدها.

استشهاد والده:

عن محمود بن لبيد، قال:

لما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى «أحُد» رُفِعَ «حُسَيْل بن جابر»، وهو «اليمان» وثابت بن وقش، في الآطام مع النساء والصبيان^(١)، فقال أحدهما لصاحبه، وهما شيخان كبيران: لا أبا لك، ما تنتظر؟ فوالله ما بقى لواحد منَّا من عمره إلا ظمء حمار^(٢)، إنما نحن هامة^(٣) اليوم أو غد، أفلا نأخذ أسيفنا، ثم نلحق برسول الله - صلى الله عليه وسلم -، لعل الله يرزقنا شهادةً مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ فأخذنا أسيفهما ثم خرجا، حتى دخلا في الناس، ولم يعلم بهما، فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما حُسَيْل بن جابر «اليمان»، فاختلف عليه أسيف المسلمين، فقتلوه ولا يعرفونه^(٤). . . فقال حذيفة:

(١) كانا قد تخلفا عن الغزو لكبر سنهما.

(٢) ظمء حمار: الظمء: مقدار ما يكون بين الشربتين. وهو مثل يدل على قُرب الأجل.

(٣) الهامة: طائر يخرج من رأس القتيل إذا قُتل «فزعموا» أنه لا يزال يصيح اسقوني - اسقوني - اسقوني حتى يؤخذ بثأره، فضرِبته العرب مثلاً للموت.

(٤) قيل: إن الذي قتله خطأ هو «عتبة بن مسعود» أخو «عبد الله بن مسعود» وعتبة هذا هو: أول من سَمَى المصحف مصحفاً.

«أبى».

فقالوا: والله إما^(١) عرفنا، وصدقوا.

قال حذيفة: «يغفر الله لكم وهم أرحم الراحمين».

فأراد رسول الله - ﷺ - أن يديه، فتصدَّق حذيفة بديته على المسلمين؛

فزاده ذلك عند رسول الله - ﷺ - خيراً^(٢).

حذيفة يوم الخندق:

كان لحذيفة بن اليمان - رضِيَ اللهُ عنه - «قصة» يوم الخندق. . وذلك عندما

أرسل الله تعالى ريحاً قلعت خيام المشركين. . وردهم على أعقابهم خاسئين

﴿لم ينالوا خيراً﴾.

عن محمد بن كعب القرظي، قال:

قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، رأيتم

رسول الله - ﷺ - وصحبتموه؟

قال: نعم يا ابن أخي.

قال: فكيف كنتم تصنعون؟

قال: والله لقد كنا نجهد.

قال: فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض ولحملناه على

أعناقنا.

قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي، والله لقد رأيتنا مع رسول الله - ﷺ -

بالخندق، وصلى رسول الله - ﷺ - هَوِيًّا^(٣) من الليل، ثم التفت إلينا فقال:

«مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ» - يَشْرُطُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ

- ﷺ - الرَّجْعَةَ - «أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟».

(١) في سيرة «ابن هشام» «والله إن عرفناه».

(٢) إسناده صحيح: ذكره ابن حجر في «الفتح» (٧/ ٤٢٠).

(٣) هَوِيًّا من الليل: قطعة منه.

فما قام رجل من القوم، من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد، فلما لم يقيم أحد دعاني رسول الله - ﷺ - فلم يكن لى بد من القيام حين دعاني، فقال:

«يا حذيفة! اذهب فادخل فى القوم، فانظر ماذا يصنعون، ولا تُحدثن شيئاً حتى تأتينا».

قال: فذهبتُ فدخلتُ فى القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تُقرُّ لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً.

فقام أبو سفيان، فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ من جلسه؟ قال حذيفة: فأخذتُ بيد الرجل الذى كان إلى جنبى، فقلتُ: من أنت؟

قال: فلان ابن فلان.

ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع^(١) والخفّ، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذى نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإنى مرتحل، ثم قام إلى جملة وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه، فوثب به على ثلاث، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله - ﷺ - إلى «أن لا تُحدث شيئاً حتى تأتيني»، ثم شئتُ، لقتلته بهم.

قال حذيفة: فرجعتُ إلى رسول الله - ﷺ - وهو قائم يُصلى فى مرط^(٢) لبعض نساءه، مرآجل^(٣).

فلما رآنى أدخلنى إلى رجليه، وطرح على طرف المرط. ثم ركع

(١) الكراع: الخيل.

(٢) المرط: الكساء.

(٣) قال ابن هشام: المراجل: ضرب من وشى اليمن.

وسجد، وإنى لفيه، فلما سلم أخبرته الخبر، وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم^(١).

قال ابن إسحاق: ولما أصبح رسول الله - ﷺ - انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون، ووضعوا السلاح.

إخلاصه:

عن الأعمش، قال:

«بكى حذيفة في صلاته، فلما فرغ التفت فإذا رجل خلفه، فقال: لا تعلمن هذا أحداً».

الأمير المتواضع:

من صفات عباد الرحمن أنهم:

﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا﴾^(٢). لما استعمل أمير المؤمنين «عمر ابن الخطاب» «حذيفة بن اليمان» - في عهده - أميراً على «المدائن».. كان قدوة للأمرء من بعده.

يقول ابن سيرين:

«كان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - إذا بعث أميراً كتب إليهم: إنى قد بعثت إليكم فلاناً وأمرته بكذا وكذا، فاسمعوا له وأطيعوا، فلما بعث «حذيفة» كتب إليهم:

إنى قد بعثت إليكم فلاناً فأطيعوه، فقالوا:

هذا رجل له شأن، فركبوا إليه ليلتقوه، فلقوه على «بغل!!» تحته إكاف^(٣) وهو معترض عليه رجلاه من جانب واحد!!، فلم يعرفوه فأجازوه، فلقبهم الناس، فقالوا:

(١) إسناده صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/٣٩٢، ٣٩٣).

(٢) سورة القصص: ٨٣.

(٣) الإكاف: بمنزلة السرج للحصان.

أين الأمير؟

قالوا: هو الذى لتيكم.

قال: فركضوا فى أثره، فأدركوه وفى يده رغيف وفى الأخرى عرق وهو يأكل، فسلموا عليه، فنظر إلى عظيم منهم فناوله العرق والرغيف!! .
قال: فلما غفل ألقاه أو أعطاه لخدمته» .

وروى هذا الحديث «سلام بن مسكين» عن ابن سيرين، فقال فيه:
«لما قدم حذيفة المدائن استقبله الناس والدهاقين^(١) وبيده رغيف وعرق من لحم وهو على حمار على إكاف، فقرأ عهده عليهم فقالوا: سلنا ما شئت؟

قال: أسألكم طعاماً آكله، وعليقاً لحمارى هذا ما دمتُ فيكم فأقام ما شاء الله، ثم كتب إليه عمر أن أقدم، فلما بلغ قدومه «عمر» كمن له فى الطريق فى مكان لا يراه، فلما رآه عمر على الحال التى خرج من عنده عليها، أتاه فالتزمه وقال: أنت أختى، وأنا أخوك» .

وفاته:

أقام «حذيفة» -رضى الله تعالى عنه- بالمدائن حتى وافته المنية . . ودخل عليه بعض أصحابه فى مرض موته فسمعوه يقول:

«لولا أنى أرى هذا اليوم آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة لم أتكلم به، اللهم إنك تعلم إنى كنتُ أحب الفقر على الغنى، وأحب الذلّة على العز، وأحب الموت على الحياة، حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، ثم مات -رحمه الله-» .

وعن خالد بن ربيع العبسى، قال:

سمعنا بوجع «حذيفة» فركب إليه أبو مسعود الأنصارى فى نفر أنا فيهم إلى المدائن، فأتيناه فى بعض الليل، فقال: «هل جئتم بأكفانى؟» .

(١) الدهاقين: رؤساء القرى، أو التجار.

قلنا: نعم.

قال: فلا تغالوا بكفني فإن يكن لصاحبكم عند الله خير يبدل خيراً من كسوتكم وإلا يسلبُ سلباً سريعاً، ثم ذكر عثمان، فقال: «اللهم لم أشهد، ولم أقتل، ولم أرض».

وعن النَّزَالِ بْنِ سَبْرَةَ، قال:

قلتُ لأبي مسعود الأنصاري: ماذا قال حذيفةُ عند موته؟

قال: لما كان عند السَّحَرِ، قال:

«أعوذ بالله من صباح إلى النار. ثلاثاً. ثم قال: اشتروا لي ثوبين أبيضين؛ فإنهما لن يتركا عليَّ إلا قليلاً حتى أُبدل بهما خيراً منهما، أو أُسلبهما سلباً قبيحاً».

قلت: بل هنيئاً لك يا صاحب سرِّ رسول الله - ﷺ - . . . ورضى الله

عنك.

[٢٣] صَهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ

«المهاجر الرابع»

هو: صهيب بن سنان بن مالك، أبو يحيى النَّمْرِيّ . من النَّمْر بن قاسط ويعرف بالرومي؛ لأنه أقام في الروم مدة . وهو من أهل الجزيرة، سبى من قرية «نينوى»، من أعمال الموصل .
وقد كان أبوه، أو عمه، عاملاً لكسرى . ثم إنه جلب إلى «مكة»، فاشتراه عبد الله بن جدعان القرشي التيمي، فأعتقه .

كان من كبار السابقين البدرين، وكان - رضي الله عنه - فاضلاً وافر الحرمة . .
ولمّا طعن عمر استنابه على «الصلاة» بالمسلمين إلى أن يتفق أهل الشورى على إمام . وكان موصوفاً بالكرم، والسماحة، وكان ممن اعتزل الفتنة، وأقبل على شأنه - رضي الله عنه - .

إسلامه:

لما بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آمن به، وكان ممن أسلم قديماً هو وعمار في يوم واحد بعد بضعة وثلاثين رجلاً .

تحمله الأذى:

● عن عمر بن الحكم، قال:
كان عمار بن ياسر يُعَذَّب حتى لا يدرى ما يقول، وكان صهيب يُعَذَّب حتى لا يدرى ما يقول، في قوم من المسلمين، حتى نزلت:
﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١)(٢) .

(١) سورة النحل: ١١٠ .

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/٢٤٨) .

● وقال مجاهد:

«فأما رسول الله - ﷺ - فمنعه عمه، وأما أبو بكر فمنعه قومه وأخذ آخرون - سَمَى منهم صُهَيْبًا - فألبسوهم أذراع الحديد، وصهروهم في الشمس، حتى بلغ الجهدُ منهم كُلَّ مبلغ؛ فأعطوهم ما سألوا - يعنى: التلطف بالكفر^(١) - فجاء كلَّ رجلٍ قومه بأنطاع فيها الماء فألقوهم فيها، إلاَّ بلالاً».

نزول القرآن فيه!!:

عن ابن مسعود - رضي الله عنه -، قال:

مرَّ الملائة من قريش على رسول الله - ﷺ -، وعنده خبابٌ، وصهيب، وبلالٌ وعمارٌ، فقالوا:

«أرضيتَ بهؤلاء؟». فنزل فيهم القرآن:

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٥١) وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ... ﴿(٢)(٣)﴾.

هجرته:

لَمَّا هاجر رسول الله - ﷺ - - كان صهيب - رضي الله عنه - فيمن هاجر، وكانت له «قصة» يوم هجرته.

عن أبي عثمان: أن صهيباً حين أراد الهجرة، قال له أهل مكة:

أتيتنا صعلوكاً حقيراً، فتغير حالك!

قال: أرايتم إن تركتُ مالي، أمخّلون أتم سبيلي.

(١) قال تعالى: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾.

(٢) سورة الأنعام: ٥١-٥٨.

(٣) قال الهيثمي في المجمع (٧/٢١) رواه أحمد والطبراني: ورجال أحمد رجال الصحيح غير كردوس، وهو «ثقة».

قالوا: نعم.

فخلع لهم ماله. فبلغ ذلك النبي - ﷺ -، فقال:
«ربح صهيب! ربح صهيب!»^(١).

مداعية بين الرسول - ﷺ - وبين صهيب!!

عن صهيب، قال:

«قدمتُ على رسول الله - ﷺ - «قُبَاء»، وقد رَمِدْتُ^(٢) في الطريق
وَجَعْتُ، وبين يديه رُطْبٌ، فوقعتُ فيه.

فقال عمر: يا رسول الله: ألا ترى صُهَيْبًا يأكلُ الرُّطْبَ وهو أُرْمَدٌ؟
فقال النبي - ﷺ - لي ذلك.

قلتُ: إنما آكلُ على شقِّ عيني الصحيحة. فتبسم.
وأخرجه ابن ماجة بلفظ:

«قدمت على النبي - ﷺ -، وبين يديه خبز وتمر.
فقال النبي - ﷺ -: «ادن فَكُلْ» فأخذتُ آكل من التمر.
فقال النبي - ﷺ -: «تأكل تمرًا وبك رَمَدٌ؟».

قال: فقلتُ: إني أمضغ من ناحية أخرى، فتبسم رسول الله
- ﷺ -^(٣).

قال ابن كثير: «وكان مع فضله ودينه فيه دعاية وفكاهة وانشراح» اهـ.

جهاده:

يقول صهيب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -:

«لم يشهد رسول الله - ﷺ - مشهداً قطُّ إلا كنتُ حاضره، ولم يبايع

(١) رجاله ثقات: أخرجه ابن سعد (٣/٢٢٧، ٢٢٨).

(٢) أصاب الرَّمَدُ إحدى عينيهِ.

(٣) إسناده حسن: أخرجه ابن ماجة (٣٤٤٣).

بيعة إلا كنت حاضرها، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها، ولا غزا غزوة قط أول الزمان وآخره إلا كنت فيها عن يمينه أو عن شماله، وما خافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم، ولا ما ورائهم إلا كنت وراءهم، وما جعلت رسول الله - ﷺ - بيني وبين العدو قط حتى توفي رسول الله - ﷺ - .

قلت: فكان -رضى الله تعالى عنه- من المهاجرين الذين تسد بهم الثغور، وتتقى بهم المكاره -رضي الله عنه- .

ولما طعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وجعل الأمر شورى كان صهيب هو الذي يصلى بالناس حتى تعين «عثمان بن عفان» -رضي الله عنه- . وهو الذي ولي الصلاة على عمر بن الخطاب وكان له صاحباً ولما نشبت الفتنة وذرت قرنها . . اعتزلها «صهيب» .

وفي شوال سنة «ثمان وثلاثين» مات صهيب عن سبعين سنة . . تاركاً وراءه ذكرى أطيب من ريح المسك -رضي الله عنه- .

[٢٤] أسامةُ بنُ زيد

«القائد الشاب!!»

من هو؟:

هو: أسامة بن زيد بن حارثة، المولى الأمير الكبير. حبُّ رسول الله - ﷺ -، ومولاه، وابن مولاه. وأمه: أمّ أيمن حاضنة النبي - ﷺ - استعمله النبي - ﷺ - على جيش لغزو الشام، وفي الجيش عمرُّ والكبار؛ فلم يسر حتى توفّي رسولُ الله - ﷺ -؛ فبادر الصّديق بيعتهم، فأغاروا على «أبني» من ناحية البلقاء. وقيل: إنه شهد يوم «مؤتة» مع والده - ﷺ -.

فضائله:

١- عن أسامة، قال:

كان النبي - ﷺ - يأخذني والحسن، فيقول:
«اللهم إني أحبُّهما، فأحبِّهما» رواه البخارى.

٢- وعن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قالت:

ما ينبغي لأحد أن يُبغض أسامة، بعد ما سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقول: «من كان يُحبُّ اللهَ ورسولَه، فليحبَّ أسامة» (١).

٣- قال ابن عمر: أمر رسولُ الله - ﷺ - أسامة، فطعنوا في إمارته، فقال: «إن يطعنوا في إمارته، فقط طعنوا في إمارة أبيه، وإيم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحبَّ الناس إلى، وإن ابنه هذا لمن أحبَّ الناس إلى بعده» متفق عليه.

(١) ذكره الهيثمى فى «المجمع» (٢٨٦/٩) وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

قال الذهبي: «قلت: لَمَّا أمره النبي ﷺ - على ذلك الجيش، كان عمره ثمانى عشرة سنة».

٤- وعن عائشة، قالت:

أراد رسولُ الله ﷺ - أن يمسحَ مِخَاطَ أُسَامَةَ، فقلتُ: دعنى حتى أكون أنا التى أفعل. فقال:

«يا عائشة، أحبيهِ، فإنى أُحِبُّه» (١).

٥- وعن عمر: أنه لم يلق أُسَامَةَ قطُّ إلا قال:

«السلام عليك أيها الأمير ورحمةُ الله! توفى رسولُ الله ﷺ - وأنت على أمير».

٦- وقال زيدُ بن أسلم، عن أبيه، قال:

«فرض عمر لأُسَامَةَ ثلاثة آلاف وخمسمائة، وفرض لابنه عبد الله ثلاثة آلاف. فقال - أى عبد الله -:

.. لم فضلتَه على، فوالله ما سبقنى إلى مشهد؟

قال: لأنَّ أباه كان أحبَّ إلى رسول الله من أبىك، وهو أحبُّ إلى رسول الله ﷺ - منك؛ فأثرتُ حبَّ رسول الله على حبي» رواه الترمذى وحسنه.

أُسَامَةُ يندم:

عن أُسَامَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قال:

أدركتُ رجلاً أنا ورجلٌ من الأنصار، فلَمَّا شَهَرْنَا عَلَيْهِ السيف، قال: لا إله إلا الله. فلم نزعْ عنه، حتى قتلناه.

فلَمَّا قدمنا على النبي ﷺ -، أخبرنا خبره. فقال:

«يا أُسَامَةَ، من لك بلا إله إلا الله؟».

فقلنا: يا رسول الله، إنما قالها تَعَوُّدًا من القتل.

قال: «مَنْ لَكَ يَا أُسَامَةَ بِلَا إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ؟».

فما زال يردِّدها، حتى لوددتُ أنَّ ما مضى من إسلامي لم يكن، وأنى أسلمتُ يومئذٍ، ولم أقتله.

فقلتُ: إني أعطى الله عهداً ألا أقتل رجلاً يقول: لا إله إلا الله، أبداً.

فقال النبي - ﷺ -: «بعدي يا أُسَامَةَ؟».

قال: «بَعْدَكَ» متفق عليه بنحوه.

تعبده:

عن مولى أسامة، قال:

كان أسامة يركبُ إلى مالٍ له بوادي القُرى، فيصومُ الاثنين والخميس في الطريق.

فقلتُ له: تصوم الاثنين والخميس في السفر، وقد كبرتَ وَصَعُفْتَ، أو رقت!.

فقال: إن رسول الله - ﷺ - كان يصوم الاثنين والخميس، وقال: «إنَّ أعمال الناس تُعرض يوم الاثنين والخميس»^(١).

أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

عن عبيد الله بن عبد الله، قال:

رأيتُ أسامة بن زيد مضطجعاً عند باب حجرة عائشة رافعاً عقيرته يتغنَّى، ورأيتُه يُصلِّي عند قبر النبي - ﷺ -، فمرَّ به مروان، فقال: أتُصلِّي عند قبر! وقال له قولاً قبيحاً.

(١) حديث صحيح بطرقه وشواهده: أخرجه أحمد (٢٠٤/٥، ٢٠٥) وغيره.

فقال: يا مروان، إنك فاحشٌ مُتَفَحِّشٌ، وإنى سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقول: «إن الله يبغض الفاحش المُتَفَحِّش» (١).

جهاده في سبيل الله:

لَمَّا قَضَى الرَّسُولُ - ﷺ - مَنَاسِكَه - فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ - حَثَ الرِّكَابَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ لَا لِأَخْذِ حِطًّا مِنَ الرَّاحَةِ، بَلْ لِيَسْتَأْنِفَ حَيَاةَ الْكِدْحِ وَالْكَفَاحِ لِلَّهِ .

إن المبطلين لا يدعون لأهل الحق مهلة يستجمون فيها.

وأصحاب الرسالات أنفسهم، لا يستعيدون نشاطهم في القعود عن العمل، بل يستمدون الطاقة عن العمل من الشعور بالواجب. وراحتهم الكاملة، يوم يرون بواكير نجاحهم دانية القطاف! قفل الرسول - ﷺ - إلى المدينة ليعبئ جيشاً آخر يقاتل به الروم.

فإن كبرياء هذه الدولة على الإسلام، جعلتها تأبى عليه حق الحياة، وحملها على أن تقتل من أتباعها من يدخل فيه.

كان «فروة بن عمر الجذامي» والياً من قبل الروم على «معان» وما حولها من أرض الشام «فاعتنق الإسلام» وبعث إلى النبي - ﷺ - يخبره بذلك.

وغضب الرومان فجردوا على «فروة» حملة جاءت به وألقى في السجن حتى صدر الحكم بقتله، فضرِبَ عُنُقَهُ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ «عَفْرَاء» بِفِلَسْطِينَ وَتُرِكَ مَصْلُوبًا، لِيَرْهَبَ غَيْرُهُ أَنْ يَسْلُكَ مَسْلَكَه! وَقِيلَ إِنَّهُ لَمَّا قَدِمَ لِلْقَتْلِ قَالَ:

بَلِّغْ سِرَّةَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْبِيءِي
سَلِّمْ لِرَبِّي، أَعْظَمِي وَدَمَائِي

فأعد رسول الله - ﷺ - جيشاً كبيراً، وأمر عليه أسامة بن زيد.

وأمره أن يُوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، يبغى

(١) رجاله ثقات: وأخرجه الطبراني برقم (٤٠٥) وصححه ابن حبان (١٩٧٤). والمراد بالغناء في الرواية: الغناء المباح. راجع: تحريم آلات الطرب للألباني.

بذلك إرهاب الروم وإعادة الثقة إلى قلوب العرب الضاربين على الحدود حتى لا يحسبن أحد أن بطش الكنيسة لا معقَّب له، وأن الدخول في الإسلام يجر على أصحابه الختوف فحسب .

ولمَّا كان «أسامة» شابًا لا يتجاوز الثمانية عشر .

فإن بعض الناس ساءهم هذه الإمارة، واعترضوا أن يقود الرجال الكبار شابٌ حدث .

ولا شك أن النبي - ﷺ - لا يلتفت في ولايته إلا إلى الجدارة . فمن استحق منصبًا بكفايته، قدّمه له، غير مكترث بحدّاته سنه فإن كبر السن لا يهب للأغبياء عقلاً، ولا الصغر ينقص الأتقياء فضلاً .

فما الحدّاة عن حلم بمناعة قد يوجد الحلم في الشباب والشيب

ولذلك قال رسول الله - ﷺ - ردًّا على انتقاد الناقدين :-

«لئن طعنتم فيّ في تأميري أسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبل، وإيم الله إن كان لخليقًا بالإمارة، وإن ابنه من بعده لخليق بها؟ وإن كان لمن أحبّ الناس إليّ» رواه البخارى .

وانتدب الناس يلتفون حول «أسامة» ويتنظمون في جيشه (١) .

وخرج الجيس إلى «الجُرْف» فخيّموا به . وثقل رسول الله - ﷺ - واشتد مرضه . . فلمّا مات عظم الخطب واشتد الحال، ونجم النفاق بالمدينة، وارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى «أبي بكر»، ولم يبق للجمعة مقام في بلد سوى مكة والمدينة!! .

والمقصود:

أنه لمّا وقعت هذه الأمور أشار كثير من الناس على «الصدّيق» أن لا ينفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم . . . وكان من جملة من أشار

بذلك «عمر بن الخطاب»، فامتنع الصديق من ذلك، وأبى أشد الإباء، إلا أن ينفذ جيش أسامة وقال:

«والله لا أحلّ عقدةً عقدها رسولُ الله - ﷺ -، ولو أن الطير تخطفنا، والسباع من حول المدينة ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة وأمر الحرس يكونون حول المدينة، فكان خروجه في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك، فساروا لا يميرون بحىٍّ من أحياء العرب إلا أربعوا منهم، وقالوا: ما خرج هؤلاء من قوم إلا وبهم منعة شديدة، فقاموا أربعين يوماً ويقال: سبعين يوماً، ثم أتوا سالمين غانمين، ثم رجعوا فجهزهم حينئذٍ مع الأحياء الذين أخرجهم لقتال المرتدة وما نعى الزكاة.

وفاته:

لما أشربت أعناق الفتنة وأطلت برأسها في عهد «عليّ بن أبي طالب» - ﷺ - اعتزلها أسامة ونأى بنفسه عنها.

وفي آخر خلافة «معاوية» - ﷺ - وبالتحديد في سنة «٥٤هـ» - كما رجح ذلك ابن عبد البر - انتقل «أسامة بن زيد» إلى جوار ربه. . ومات - ﷺ - بالجرف. . ثم نقل إلى المدينة ليدفن بها.

عن المقبري، قال:

«شهدتُ جنازة أسامة، فقال ابن عمر: عَجَّلُوا بحبِّ رسول الله قبل أن تطلع الشمس».

-رضى الله تعالى عن أسامة وأرضاه-.

[٢٥] البراء بن مالك

«الصحابي المقدم»

الفدائي الشهيد.. أمه «أم سليم بنت ملحان»، وهو أخو أنس لأبويه، شهد أهداً والمشاهد كلها مع رسول الله - ﷺ -، وبائع تحت الشجرة.. وكان شجاعاً ذا نكاية في الحروب.

وكان عمر يكتب:

«لا تستعملوا البراء على جيش من جيوش المسلمين، فإنه مهلكة من المهالك يقدم بهم».

فضائله:

● عن أنس بن مالك - رضيه الله - قال:

قال رسول الله - ﷺ -: «كم من أشعث^(١) أغبر ذى طمرين^(٢) لا يؤبه^(٣) له لو أقسم على الله لأبره^(٤) منهم البراء بن مالك»^(٥).

● وقال الذهبى - رحمه الله تعالى -:

«وقد اشتهر أن البراء قتل فى حروبه مائة نفس من الشجعان مبارزة».

مواقف مضيئة من جهاده:

أولاً: «يوم اليمامة»:

(١) الأشعث: البعيد العهد بالدهن والتسريح والغسل.

(٢) الطمر: الثوب الخلق.

(٣) لا يؤبه له: لا يعرف ولا يعلم لقله شأنه.

(٤) لأبره: لصدقه وجعله باراً غير حانث.

(٥) صحيح: أخرجه الترمذى (٣٨٥٣) فى «المناقب» وقال: حديث حسن صحيح.

بعد وفاة الرسول - ﷺ - ظهرت الردة وماجت الجزيرة العربية بالفتن وتحالفت قبائل كثيرة وعقدت ألوية تريد القضاء على هذا الدين، فقام أبو بكر - رضى الله عنه - وعقد الألوية واستعان بالله تعالى، فأحمد الفتن.. وظهر أمر الله تعالى.. وكانت موقعة «اليمامة» التي دارت بين المسلمين وجيش مسيلمة الكذاب، من أقوى معارك الردة.. وفي هذه المعركة سطر البراء بن مالك أروع المواقف التي تدل على صدق معدنه.. وفرط شجاعته.. وبحثه عن الشهادة في سبيل الله تعالى.

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال:

«إن خالد بن الوليد قال للبراء - رضى الله عنه - يوم اليمامة:

«قم يا براء».

قال: فركب فرسه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«يا أهل المدينة، لا مدينة لكم اليوم، إنما هو الله وحده والجنة».

ثم حمل وحمل الناس معه، فانهزم أهل اليمامة، فلقى البراء - رضى الله عنه - «محكم اليمامة» - قائد جيش مسيلمة - فضربه البراء وصرعه، فأخذ سيف محكم اليمامة، فضرب به حتى انقطع^(١).

وعن ابن إسحاق، قال:

«زحف المسلمون إلى المشركين، حتى ألبئسهم، إلى «الحديقة»^(٢) وفيها

عدو الله «مسيلمة» فقال - أى البراء -:

يا معشر المسلمين، ألقونى عليهم، فاحتمل حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم، فقاتلهم على الحديقة حتى فتحها على المسلمين، ودخل عليهم المسلمون، فقتل الله «مسيلمة».

وفى رواية: أنه جلس على ترس، فقال: ارفعونى برماحكم، فألقونى

(١) حياة الصحابة (٢/١٢٧).

(٢) كانت تسمى «حديقة الموت» لكثرة القتلى فيها.

إليهم، فرفعوه برماحهم، فألقوه من وراء الحائط، فأدركوه قد قتل منهم عشرة!!». وجرح يومئذ بضعة وثمانين جرحاً!!.

وانتهت المعركة بانتصار المسلمين، ولم يظفر البراء بالشهادة يومئذ! ويعود البراء إلى المدينة.. وأمل الشهادة في سبيل الله تعالى يراوده.. ويملاً عليه أقطار نفسه.

فعن أنس بن مالك أنه دخل على أخيه البراء وهو مستلقٍ، واضعاً إحدى رجليه على الأخرى يتغنى، فنهاه.

فقال: أترهب أن أموت على فراشى وقد تفرّدت بقتل مائة من الكفار سوى من شركنى فيه الناس؟^(١).

ثانياً: «يوم تُسْتَر»^(٢):

كادت انتصارات المسلمين المتتالية في العراق تفقد الفرس عقولهم، وكان «كسرى يزدجرد» أشدهم عداوة وبعوضاً للإسلام، فطفق يؤلب فلول الفرس، ويحرضهم على الثأر لهزائمهم التي ينزلها بهم أبطال الإسلام.

ورأى الخليفة عمر -رضي الله عنه- أن يعاجل فلول الفرس، قبل أن يلتئم جمعهم، ويشتد ساعدهم فأمر سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- وهو «بالكوفة» أن يسيّر جيشاً بقيادة «النعمان بن مقرن»، ثم أمر أبا موسى الأشعري -رضي الله عنه-، وهو «بالبصرة» أن يسيّر جيشاً بقيادة «سهيل بن عدي»، وأمر أن يُسيّر معه رهط من فرسان الإسلام، كان في مقدمتهم «البراء بن مالك».

ومضى الجيشان المؤمنان يتسابقان للقاء أعداء الله، وسبق جيش الكوفة جيش البصرة في الوصول إلى «الأهواز»، حيث تحصّن «الهرمزان» أحد قادة الفرس بفلوله، وكان قد عاهد المسلمين وعقد معهم صلحاً.

(١) صحيح: أخرجه الحاكم (٣/٢٩١) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

وقال الشيخ الألباني: وهو كما قال (تحريم آلات الطرب ص ١٢٨).

(٢) فتحت «تستر» سنة (٢٠هـ) وهي أعظم مدينة بخوزستان.

وسوّ الشيطان للهرمزان أن ينقض عهده، ويغدر بجيش الكوفة، وحرّضه يزدجرد على ذلك، فباغت المسلمين على حين غرة، لكن «النعمان ابن مقرن» كان للهرمزان بالمرصاد، فهزمه شرّ هزيمة، واضطره للفرار إلى «تُسْتَر» ليتحصّن فيها، ويللمم فلوله. وما هي إلا أيام قليلة، حتى وصلت طلائع جيش البصرة بقيادة «سهيل بن عدي» ومعه «البراء بن مالك» ثم لم تلبث أن وصلت طلائع جيش الكوفة بقيادة «النعمان بن مقرن»، ثم تبعهم الخليفة «الفاروق» - رضي الله عنه - بجيش يقوده «أبو موسى الأشعري» - رضي الله عنه - .

وطال الحصار حول «تُسْتَر» بضعة أشهر، وحين طال الحصار، عزم المسلمون على حسم المعركة، فوثبوا على جموع الفرس، واضطروهم إلى الفرار في خنادقهم وحصونهم، والتجأ من نجبا منهم إلى حصن البلدة المنيع وتحصنوا فيه .

واكتشف المسلمون ثغرة في أسوار البلدة الحصينة، يخترقها جدول ماء تستقى منه البلدة، فانتدب «أبو موسى الأشعري» رهطاً من أبطال الإسلام، ليعبروه سباحة إلى داخل البلدة!! ويأخذوا الهرمزان وجنده على غرة، ويفتحوا أبواب الأسوار لإخوانهم، وكان البراء بن مالك في مقدمة هذا الرهط .

الشهادة:

مضت الكتيبة المؤمنة تتسلل عبر جدول الماء، حتى إذا اكتمل عددهم داخل أسوار البلدة، جأروا بالتكبير وأخذوا الفرس على حين غرة، واحتدم القتال وتطايرت الرؤوس والأشلاء، وسالت أنهار الدم، وأقبل المسلمون على البراء يقولون:

يا براء إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال إنك لو أقسمت على الله لأبرك، فاقسم على ربك فقال: «أقسمتُ عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم»، فمنحوا أكتافهم .

ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجفوا في المسلمين .

فقالوا: اقسم يا براء على ربك .

فقال: «أقسمتُ عليك يا ربى لما منحتنا أكتافهم وألحقتنى بنبىِّ

- ﷺ - !!» فمَنَحُوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً وتحت تراب أرض «تُستَر» يرقد

الجسد الظاهر . . . يغمره النعيم .

[٢٦] عكرمة بن أبي جهل

«الرئيس الشهيد»

من هو؟:

هو: عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة، الشريف الرئيس الشهيد، أبو عثمان القرشي المخزومي المكي.

لَمَّا قَتَلَ أبوه في «بدر»، تحولت رئاسة بني مخزوم إلى عكرمة. وخاض عكرمة ضد المسلمين غزوات «بدر» و«أُحُد» و«الْخَنْدَق» وكان مع خالد ابن الوليد في الكتيبة التي هاجمت المسلمين في أحد بعد مخالفة الرماة لأمر رسول الله - ﷺ - . . وكانت سبباً في هزيمتهم!! ثم إنه أسلم وحَسُن إسلامه.

إسلامه - ﷺ -:

عن عبد الله بن الزبير - ﷺ - قال:

«لَمَّا كَانَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ هَرَبَ «عَكْرَمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ» إِلَى الْيَمَنِ، وَخَافَ أَنْ يَقْتُلَهُ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -، فَجَاءَتْ زَوْجَتُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، وَكَانَتْ امْرَأَتُهُ «أُمُّ حَلِيمٍ بِنْتُ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ» امْرَأَةً لَهَا عَقْلٌ، وَكَانَتْ قَدْ اتَّبَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَقَالَتْ لَهُ:

«إِنَّ ابْنَ عَمِّي «عَكْرَمَةَ» قَدْ هَرَبَ مِنْكَ إِلَى «الْيَمَنِ»، وَخَافَ أَنْ تَقْتُلَهُ فَأَمَّنَهُ.

قال: «قد أمنتته بأمان الله، فمن لقيه فلا يعرض له».

فخرجت في طلبه، فأدرسته في ساحل من سواحل تهامة وقد ركب البحر، فجعلت تلوح إليه وتقول:

«يا ابن العمّ، جئتك من عند أوصل الناس، وأبرّ الناس، وخير الناس، لا تهلك نفسك وقد استأمنتُ لك فأمنك».

فقال: «أنت فعلت ذلك؟».

قالت: «نعم، أنا كلمته فأمنك».

فرجع معها، فلما دنا من مكة، قال رسول الله - ﷺ -: «يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً، مهاجراً فلا تسبوا أباه، فإن سبّ الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت».

قال: فقدم عكرمة فانتهى إلى باب رسول الله - ﷺ - وزوجته معه متنقبة، قال: فاستأذنت على رسول الله - ﷺ - فدخلت فأخبرت رسول الله - ﷺ - بقدوم عكرمة، فاستبشر ووثب قائماً على رجليه وما على رسول الله - ﷺ - رداء!! فرحاً بعكرمة.

وقال: «أدخليه».

فدخل فقال: يا محمد، إن هذه أخبرتنى أنك أمنتني.

فقال رسول الله - ﷺ -: «صدقت وأنت آمن».

قال عكرمة: فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنت عبده ورسوله، وقلت: أنت أبرّ الناس، وأصدق الناس، وأوفى الناس، أقول ذلك وأناى لمطأطئ الرأس استحياء منه، ثم قلت: يا رسول الله، استغفر لى كل عداوة عاديتكها أو مركب أوضعت فيه أريد به إظهار الشرك.

فقال رسول الله - ﷺ -: «اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها، أو نطق بها أو مركب أوضع فيه يريد أن يصدّ عن سبيلك».

فقلت: يا رسول الله، مرّنى بخير ما تعلم فأعمله.

قال: «قل أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وجاهد فى

سبيله».

ثم قال عكرمة: أما والله يا رسول الله لا أدع نفقة كنت أنفقتها فى صدّ

عن سبيل الله إلا أنفقتُ ضعفها في سبيل الله، ولا قتالاً كنتُ أقاتل في صدِّ
عن سبيل الله إلا أبلّيتُ ضعفه في سبيل الله» (١).

ثم اجتهد -رضى الله تعالى عنه- في الجهاد في سبيل الله حتى قتل شهيداً.

وفي «طبقات ابن سعد»:

عن عكرمة -رضي الله عنه- قال:

قال لي النبي ﷺ - يوم جئتُه:

«مرحباً بالراكب المهاجر، مرحباً بالراكب المهاجر».

قلت: يا رسول الله، لا أدع نفقة أنفقتها عليك (٢) إلا أنفقتُ مثلها في سبيل الله.

قتال المرتدين:

لما أطلت الفتنة برأسها السوداء . . وارتدت قبائل كثيرة عن الإسلام بعد وفاة النبي ﷺ - . . انتفض أبو بكر وعقد الألوية:

فعقد أحد عشر لواء:

عقد لواء لخالد بن الوليد، وأمره بطليحة بن خويلد.

ولعكرمة بن أبي جهل، وأمره بمسيلمة. وبعث شُرْحَبِيل بن حسنة في

أثره إلى مسيلمة. وللمهاجر بن أمية، وأمره بجنود العنسى.

ولخالد بن سعيد بن العاص، إلى مشارف الشام.

ولعمرو بن العاص، إلى جماع قضاة ووديعه والحارث.

ولحذيفة بن محصن الغطفاني، وأمره بأهل دبا.

ولطرفه بن الحجاب، وأمره بيني سليم ومن معهم من هوازن.

(١) المنتظم: (٤/١٥٥، ١٥٦).

(٢) أي: في محاربتك وعداوتك.

ولسويد بن مقرن، وأمره بتهامة اليمن.

وللعلاء بن الحضرمي، وأمره بالبحرين.

والمقصود: أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - بعث عكرمة بن أبي جهل وأتبعه شرحبيل بن حسنة، وقال: الحق بعكرمة فاجتمعا على قتال مسيلمة وهو عليك، فإن فرغتم فانصرفا إلى قضاة، وأنت عليه، فلما أحسن «عكرمة» بذلك أَعَدَّ السَّيْرَ فقدم على «ثمامة»^(١) فأنهضه، فقال ثمامة: لا تفعل فإن أمر الرجل مستكثف وقد بلغني أن خلفك جنداً فيتلاحقون، فأبى عكرمة وعاجلهم مسيلمة فالتفوا فاقتتلوا فأصيب من المسلمين، فبعث أبو بكر إلى عكرمة - فلامه على استعجاله - وصرفه إلى قتال المرتدين في «عمان».

قال علماء السير:

نبغ «بعمان» لقيط بن مالك الأزدي، وكان يُسَمَّى في الجاهلية «الجُلُنْدِي»، فادَّعى ما ادَّعاه من تنبأ^(٢)، وغلب على عمان مرتدًّا، وارتد أهل عمان، فبعث أبو بكر «حذيفة بن محصن» إلى عمان، و«عرفجة البارقي» إلى مهرة، وأمرهما أن يبدءا بعمان، وكان أبو بكر قد بعث عكرمة إلى «مسيلمة» واستعجل قبل أن يلحقه المدد - كما تقدم - فقاتل وأصيب جماعة من المسلمين، فكتب إليه أبو بكر يعنِّفه على سرعته. . وأمره بالمسير إلى «عمان» ليعين «حذيفة» و«عرفجة». . ثم قال له:

«إذا فرغتم فامض إلى «مهرة» ثم ليكن وجهك منها إلى اليمن، فأوْطى ما بين «عمان» و«اليمن» ممَّن ارتد، وكيْلُغْنِي بلاؤك».

فلما اجتمعوا. . قاتلوا «لقيط» ومن معه. . فرأى المسلمون في أنفسهم خللاً فإذا مواد قد أقبلت إليهم من عبد القيس وغيرهم، فوهن الشرك، وقُتِل من المشركين في المعركة عشرة آلاف فأثخنوا فيهم وسبوا الذراري وقسموا ذلك على المسلمين، وبعثوا بالخمسة إلى أبي بكر - رضي الله عنه - مع عرفجة.

(١) هو: ثمامة بن أثال الحنفي. . وكان قد كتب إلى أبي بكر يخبره بأمر مسيلمة.

(٢) أى: ادَّعى النبوة!!

ولمَّا فرغ «عكرمة» و«عرفجة» و«حذيفة» - رضي الله عنهم - من ردة عمان . . .
 خرج عكرمة في جنده نحو «مهرة» واستنصر من حول عمان وأهل عمان،
 وسار حتى أتى «مهرة» والتقوا، فكشف الله تعالى جنود المرتدين، وقُتِلَ
 رئيسهم، وركبهم المسلمون، فقتلوا ما شاءوا، فخمس عكرمة الفيء، فبعث
 بالأخماس إلى أبي بكر، وقسم الأربعة أخماس على المسلمين^(١).

استشهاده:

وفي معركة «اليرموك» والتي دارت رحاها بين المسلمين بقيادة «خالد بن
 الوليد» وبين الروم . . . وكانت من أعنف معارك الردة.

فلقد تكامل جيش الروم (أربعون ومائتا ألف)!! ثمانون ألف مسلسل
 بالحديد والحبال، وثمانون ألف فارس، وثمانون ألف رجل. وقيل: بل كان
 الذين تسلسلوا كل عشرة سلسلة لئلا يفرّوا «ثلاثين» ألفاً، فالله أعلم.

أما جيش الصحابة، فكان عدده يتراوح ما بين ستة وثلاثين ألفاً إلى
 الأربعين ألفاً^(٢).

أبلى «عكرمة» - رضي الله عنه - فيها بلاءً حسناً . . . ولمّا اشتد القتال . حمل
 الروم على المسلمين فزال المسلمون من الميمنة إلى ناحية القلب، وانكشف
 طائفة من الناس إلى العسكر . . . وثبت صور من المسلمين عظيم يقاتلون تحت
 راياتهم . . . ثم تنادوا فترجعوا وحملوا حتى هزموا من أمامهم من الروم . . .
 وكان ممن ثبت يومئذ «عكرمة» - رضي الله عنه - الذي وقف كالطود العظيم شاهراً
 سيفه ينادى بأعلى صوته:

«قاتلتُ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - في كلِّ موطن، وأفرُّ منكم اليوم؟»، ثم
 نادى: «من يبائع على الموت؟» فبايعه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور
 في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى
 أثبتوا جميعاً جراحاً!!! . . .

(١) المنتظم (٤/٨٥، ٨٦).

(٢) البداية (٥/٧١).

وقد ذكر الواقدي وغيره أنهم لما صرعوا من الجراح استسقوا ماءً فجيء إليهم بشربة ماء فلما قُرِّبَتْ إلي أحدهم نظر إليه الآخر فقال: ادفعها إليه!! فلما دُفِعَتْ إليه نظر إليه الآخر فقال: ادفعها إليه، فتدافعوها كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعاً ولم يشربها أحدٌ منهم، -رضى الله عنهم أجمعين-.

قال أبو إسحاق السبيعي:

نزل عكرمة يوم اليرموك، فقاتل قتالاً شديداً، ثم استشهد، فوجدوا به بضعاً وسبعين من طعنة ورمية وضربة!!.

ثناء العلماء عليه:

قال الشافعي -رحمه الله تعالى-: كان محمودَ البلاء في الإسلام -رضي الله عنه-.

وقال ابن كثير -رحمه الله تعالى-:

«عكرمة بن أبي جهل... كان من سادات الجاهلية كأبيه، ثم أسلم عام الفتح بعد ما فرّ. ثم رجع إلى الحق. واستعمله الصديق على عمان حين ارتدوا فظفر بهم -كما تقدم- ثم قدم الشام وكان أميراً على بعض الكراديس^(١)، ويقال: إنه لا يعرف له ذنب بعد ما أسلم! . وكان يقبل المصحف ويكي ويقول:

«كلام ربّي . كلام ربّي». احتج بهذا الإمام أحمد على جواز تقبيل المصحف ومشروعيته.

-رضى الله تعالى عن عكرمة وأرضاه-.

(١) الكردوس: الطائفة العظيمة من الخيل والجيس والجمع كراديس.

[٢٧] أبو أمامة الباهلي

«الوليّ المبارك»

من هو؟:

هو: أبو أمامة الباهلي، واسمه: «صدى بن عجلان» صاحب رسول الله - ﷺ -، ونزيل حمص. ورؤى أنه بايع تحت الشجرة - رضيته -.

الوليّ المبارك:

الإخلاص من أكبر عوامل التوفيق.. ومن أهم أسلحة الداعية.. وما تعثر دعاة اليوم في طريق الدعوة.. إلا بعد أن جفت منابع الإخلاص في القلوب.. وشرأت الأعناق إلى الدنيا وزينتها.. وهذه حقيقة لا مرية فيها..

وأصحاب النبي - ﷺ - صحّت عقيدتهم.. فاستقامت أعمالهم.. فهوت إليهم الأفئدة.. وشرح الله بهم الصدور ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (١).

ولنأخذ من التاريخ قصة تدل على مدى إخلاص أصحاب رسول الله - ﷺ -:

عن أبي أمامة - رضيته - قال:

أرسلني النبي - ﷺ - إلى «باهلة» (٢) فأتيتهم، فرحبوا بي.

(١) سورة مريم: ٩٦.

(٢) قومه.

فقلت: جئتُ لأنْهاكم عن هذا الطعام^(١)، وأنا رسولُ رسولِ الله لتؤمنوا به، فكذبوني، وردّوني.

فانطلقت وأنا جائع ظمآن، فنمتُ، فأُتيتُ في منامي بشربةٍ من لبن، فشربتُ، فشبعْتُ، فعظّم بطني.

فقال القوم: أتاكم رجلٌ من أشرافكم وخياركم، فرددتوه؟

قال: فأتونى بطعام وشراب. فقلت:

«لا حاجة لي فيه. إن الله قد أطعمني، وسقاني».

فنظروا إلى حالي؛ فأمنوا^(٢).

وفى رواية للطبراني من أبي أمامة - رضي الله عنه -، قال:

«بعثني رسول الله - صلّى الله عليه - إلى قومي أَدعوهم إلى الله عزّ وجلّ وأعرض

عليهم شرائع الإسلام، فأُتيتهم وقد سقوا إبلهم وحلبوها وشربوا».

فلما رأوني قالوا:

«مرحبًا بالصدّيّ بن عجلان!» قالوا:

«بلغنا أنك صبوتَ إلى هذا الرجل».

قلتُ: «لا، ولكن آمنتُ بالله ورسوله؛ وبعثني رسول الله - صلّى الله عليه - إليكم

أعرض عليكم الإسلام وشرائعه».

فبينما نحن كذلك إذ جاءوا بقصعتهم فوضعوها واجتمعوا حولها فأكلوا

بها.

قالوا: هلمّ يا صدّي!

قلتُ: ويحكم! إنما أُتيتكم من عند من يُحرّم هذا عليكم إلا ما ذكيتم

كما أنزل الله.

(١) أي: الذي لم يذكر اسم الله عليه.

(٢) إسناده حسن: أخرجه الحاكم (٦٤١/٣) وقال الهيثمي في «المجمع» (٣٨٧/٩)، وقال:

رواه الطبراني بإسنادين، وإسناد الأولى حسن.

قالوا: وما قال؟

قلتُ: نزلت هذه الآية: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ (١).

فجعلتُ أدعوهم إلى الإسلام ويأبون.

قلتُ لهم: ويحكم! ايتوني بشربة من ماء فإنى شديد العطش.

قال: وعلىَّ عمامة.

قالوا: لا. ولكن ندعك تموت عطشاً.

قال: فاغتممتُ وضربتُ رأسى فى العمامة ونمتُ فى الرَّمَضاء (٢) فى حرٍّ شديد، فأتانى آت فى منامى بقدح زجاج لم ير الناس أحسن منه، وفيه شراب لم ير الناس ألف منه، فأمكننى منها فشربتُها فحيث فرغتُ من شرابى استيقظتُ؛ ولا والله! ما عطشتُ ولا عرفتُ عطشاً بعد تيك (٣) الشربة!!».

جهاده وتعبده:

عن أبى أمامة - رضي الله عنه -، قال:

«قلت: يا رسول الله ادعُ الله لى بالشهادة.

فقال: «اللهم سلّمهم وغمّمهم».

فغزونا، فسلمنا، وغممنا، وقلت:

يا رسول الله، مُرْنى بعمل.

قال: «عليك بالصوم فإنه لا مثل له».

فكان أبو أمامة، وامراته، وخادمه لا يُلْفُونَ إلا صياماً» أخرجه أحمد.

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) الرمضاء: الحجارة ذات الحرارة المرتفعة.

(٣) أى بعد هذه الشربة.

كرامة باهرة:

لأبي أمامة -رضى الله تعالى عنه- كرامة باهرة جزع هو منها!! .

فعن مولاة لأبي أمامة قالت:

كان أبو أمامة يحب الصدقة، ولا يقف به سائل إلا أعطاه، فأصبحنا يوماً وليس عنده إلا ثلاثة دنانير، فوقف به سائل، فأعطاه ديناراً، ثم آخر، فكذاك، ثم آخر، فكذاك.

قلتُ: لم يبق لنا شيء، ثم راح إلى مسجده صائماً، فرقتُ له، واقترضتُ له ثمن عشاء، وأصلحتُ فراشه، فإذا تحت المرفقة ثلاثمائة دينار!! .

فلما دخل ورأى ما هيأتُ له، حمد الله وابتسم، وقال:

هذا خير من غيره، ثم تعشى.

فقلتُ: يغفر الله لك جئتَ بما جئتَ به، ثم تركته بموضع مضیعة؟

قال: وما ذاك؟

قلتُ: الذهب، ورفعتُ المرفقة، ففزع لما رأى.

وقال: ما هذا ويحك؟

قلتُ: لا علم لى، فكثر فزعه^(١).

مواظله:

● عن سليم بن عامر، قال:

خرجنا على الجنازة وأخذوا فى دفنها، قال أبو أمامة:

«أيها الناس! إنكم قد أصبحتم وأمسيتم فى منزل تقسمون فيه الحسنات والسيئات وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر وهو هذا -يشير إلى القبر- بيت الوحدة وبيت الظلمة وبيت الدود وبيت الضيق إلا ما وسع الله، ثم

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٣٦٢).

تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة فإنكم فى بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمرٌ من الله فتبيض وجوه وتسود وجوه، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر فيغشى الناس ظلمة شديدة، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نوراً ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئاً، وهو المثل الذى ضربه الله تعالى فى كتابه فقال:

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ (١).

فلا يستضى الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضى البصير، ويقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ (٢). وهى خدعة الله التى خدع بها المنافقين حيث قال:

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (٣). فيرجعون إلى المكان الذى قسم فيه النور فلا يجدون شيئاً فيصرفون إليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب ﴿بِاطْنَهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (٤) الآية، يقول سليم بن عامر:

فما يزال المنافق مغترباً حتى يقسم النور ويميز الله بين المنافق والمؤمن» (٥).

● وعن سليمان بن حبيب، قال:

دخلتُ فى نفر على أبى أمامة -رضي الله عنه- فإذا شيخ قد رقى وكبر وإذا عمله ومنطقه أفضل مما يرى من منظره (٦)، فقال فى أول ما حدثنا: «إن مجلسكم

(١) سورة النور: ٤٠.

(٢) سورة الحديد: ١٣.

(٣) سورة النساء: ١٤٢.

(٤) سورة الحديد: ١٣.

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم، والبيهقى فى «الأسماء والصفات» ص ٣٤٠ بنحوه.

(٦) قلت: لم يذكر فى تاريخ الصحابة -رضي الله عنهم- أن واحداً منهم ذهب عقله، ولا أصيب بجنون.. وهذا دال على عظيم إيمانهم وحفظ الله لهم.

هذا من بلاغ الله إياكم وحجته عليكم، فإن رسول الله - ﷺ - قد بلغ ما أرسل به وإن أصحابه قد بلغوا ما سمعوا، فبلغوا ما تسمعون:

«ثلاثة كلُّهم ضامن على الله حتى يدخل الجنة أو يرجعه الله بما نال من أجر وغنيمة.

فأصلُ فصلٌ في سبيل الله فهو ضامن على الله حتى يدخله الجنة أو يرجعه بما نال من أجر وغنيمة.

ورجلٌ توضعُ ثم غدا إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يدخله الجنة أو يرجعه بما نال من أجر وغنيمة.
ورجل دخل بيته بسلام».

ثم قال:

«إن في جهنم جسراً له سبع قناطير على أوسطهن القضاء، فيجاء بالعبد حتى إذا انتهى إلى القنطرة الوسطى قيل:

ماذا عليك من الدين؟ فيحسبه، ثم تلا هذه الآية:

﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾^(١) فيقول:

يا رب! علىّ كذا وكذا.

فيقول: اقض دينك.

فيقول: ما لي شيء ما أدري ما أقضى به.

فيقال: خذوا من حسناته، فما زال يؤخذ من حسناته حتى ما يبقى له من حسنة؛ فإذا فنيت حسناته فيقال: خذوا من سيئات من يطلبه، فركبوا عليه.

قال: فلقد بلغني أن رجلاً يجيئون بأمثال الجبال من الحسنات فما زال يؤخذ لمن يطلبهم حتى ما يبقى لهم حسنة ثم يركب عليهم سيئات من يطلبهم حتى يردّ عليهم أمثال الجبال».

ثم قال: «إياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور والفجور يهدى إلى النار، وعليكم بالصدق! فإن الصدق يهدى إلى البر والبر يهدى إلى الجنة».

ثم قال: «أيها الناس! لأنتم أضلّ من أهل الجاهلية، إن الله تعالى قد جعل لأحدكم الدينار ينفقه في سبيل الله بسبعمائة دينار والدرهم بسبعمائة درهم ثم إنكم صارون تمسكون، أما والله! لقد فتحت الفتوح بسيف ما حليتها الذهب والفضة ولكن حليتها العلابي (١) والآنك (٢) والحديد (٣)».

● وعن محمد بن زياد:

رأيتُ أبا أمامة أتى على رجلٍ، وهو ساجدٌ يبكي، ويدعو، فقال: أنتَ أنت! لو كان هذا في بيتك.
قلتُ: يخشى عليه الرياء.

وفاته:

وبعد حياة مليئة بالعطاء والخير آن للمسافر أن يصل داره.. ليستريح من دنيا التعب والنصب إلى دار الكرامة ﴿ولنعلم دار المتقين﴾ ففي سنة «ست وثمانين» كما ذكر المدائني، انتقل أبو أمامة الباهلي إلى جوار ربه..
- رُوِيَ -

(١) العلابي: جمع علباء، وهو عصب في العنق، يأخذ إلى الكاهل، وهما علباوان يمينًا وشمالاً، وما بينهما عرف الفرس، وكانت العرب تشد على أجفان سيوفها العلابي الرطبة فتجف عليها وتشد الرماح بها إذا تصدعت فتيس وتقوى.

(٢) الآنك: الرصاص المذاب.

(٣) حياة الصحابة (٤/٣٠٦، ٣٠٧).

[٢٨] زَيْدُ بْنُ خَارِجَةَ

«الصحابى الذى تكلم بعد الموت!!»

نعطر هذه السطور بترجمة «يسيرة» لأحد أصحاب النبي - ﷺ - الذين جاهدوا من أجل دين الله فى حياتهم. فأظهر الله لهم آيات وكرامات بعد مماتهم تدل على أن لهم قدم صدق عند ربهم.

فمن هذا الصحابى الولي؟:

هو: زيد بن خارجة الخزرجى الأنصارىّ شهيد بدرًا، وتوفى فى زمن عثمان بن عفان، وهو الذى تكلم بعد الموت (١).

ما هى قصته؟:

لم يشتهر ذكر «زيد بن خارجة» فى التاريخ قبل مماته. فلقد كان «من الأتقياء الأخفاء الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا» وكان ممن عناهم الرسول - ﷺ - بقوله:

«إن أغبط الناس عندى عبد مؤمن خفيف الحاذ، ذو حظ من صلاة، أطاع ربه، وأحسن عبادته فى السرّ، وكان غامضاً فى الناس لا يشار إليه بالأصابع، وكان عيشه كفافاً، وكان عيشه كفافاً قال: وجعل رسول الله - ﷺ - ينقر بأصبعيه - وكان عيشه كفافاً وكان عيشه كفافاً، فعجلت منيته، وقلت بواكيه، وقلّ تراثه».

قال أبو عبد الرحمن: سألت أبى قلت: ما تراثه؟

قال: «ميراثه» (٢).

(١) انظر: البخارى فى «التاريخ»، ودلائل النبوة للبيهقى (٥٧/٦).

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أحمد فى «المسند» برقم (٢٢٠٩٧) وقال المحقق: إسناده صحيح.

إنما اشتهر «زيد» - رضي الله عنه - بعد مماته بأية جرّ له!! وكرامة تعجّب لها الناس!! .

روى البيهقي عن سعيد بن المسيّب:

أن زيد بن خارجة الأنصاري، ثم من بني الحارث بن الخزرج، تُوفّي زمن «عثمان بن عفان» فسُجّي بثوبه، ثم إنهم سمعوا جلجلة في صدره، ثم تكلم ثم قال:

«أحمد أحمد في الكتاب الأول..»

صدّق.. صدّق «أبو بكر الصّدّيق»، الضعيف في نفسه، القويّ في أمر الله في الكتاب الأول.

صدق.. صدّق «عمر بن الخطاب» القويّ الأمين في الكتاب الأول..
صدق.. صدّق «عثمان بن عفان» على منهاجهم.. مضت أربع وبقيت
ثنتان، أتت الفتن، وأكل الشديد الضعيف، وقامت الساعة وسيأتكم عن
جيشكم خبر.. بئر أريس^(١)، وما بئر أريس..

قال يحيى بن سعيد: ثم هلك رجل من بني خزيمة فسُجّي بثوبه،
فسمع جلجلة في صدره، ثم تكلم فقال:

«إن أخا بني الحارث بن الخزرج صدّق.. صدّق»^(٢).

وروى ابن أبي الدنيا في كتابه «من عاش بعد الموت» عن إسماعيل بن
أبي خالد، قال:

جاء يزيد بن النعمان بن بشير إلى حلقة القاسم بن عبد الرحمن بكتاب
أبيه النعمان بن بشير، يعنى إلى أمّه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من النعمان بن بشير إلى أمّ عبد الله بنت

أبي هاشم.

(١) بئر أريس: بئر معروفة قريباً من مسجد قُباء عند المدينة.

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥٥/٦).

سلام عليك.. فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، فإنك كتبت إلىّ لأكتب إليك بشأن «زيد بن خارجة».

وإنه كان من شأنه أنه أخذه وجع فى حلقه، وهو يومئذ من أصحاب الناس -أو أهل المدينة- فتوفى بين صلاة الأولى^(١) وصلاة العصر، فأضجعناه لظهره، وغشيناه ببردتين وكساء.. فأتانى آت فى مقامى، وأنا أسبح بعد المغرب.. فقال:

«إن زيدا قد تكلم بعد وفاته!!».

فانصرفت إليه مسرعاً، وقد حضره قوم من الأنصار، وهو يقول، أو يُقال على لسانه:

«الأوسط أجلد الثلاثة، الذى لا يبالي فى الله لومة لائم، كان لا يأمر الناس أن يأكل قوتهم ضعيفهم، عبد الله «أمير المؤمنين» صدق.. صدق، كان ذلك فى الكتاب الأول..»

ثم قال: «عثمان» أمير المؤمنين، وهو يعافى الناس من ذنوب كثيرة، خلت اثنتان وبقي أربع.. ثم اختلف الناس وأكل بعضهم بعضاً.. فلا نظام وأبيحت الأحماء^(٢).. ثم ارعوى^(٣) المؤمنون وقالوا: كتاب الله وقدره.

أيها الناس، أقبلوا على أميركم واسمعوا وأطيعوا، فمن تولى فلا يعهدنّ دماً، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.. الله أكبر، هذه الجنة وهذه النار..

ويقول النبيون والصدّيقون: سلام عليكم.. يا عبد الله بن رواحة، هل أحسست لى خارجة وسعداً^(٤) اللذين قتلا يوم أحد؟

﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَاعَةٌ لِّلشَّوْىِٕ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مِنۢ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿٥﴾﴾.

(١) الصلاة الأولى: المقصود بها صلاة «الظهر».

(٢) الأحماء: جمع حمى، وهو ما يجب على الإنسان حمايته من مسال وعرض وأرض، وحين يستباح الحمى فلا نظام ولا أمان. وعند ذلك تستحل الحرمات!!.

(٣) ارعوى: كفّ وارتدع.

(٤) خارجة أبوه، وسعد أخوه، وكانا قتلا يوم أحد. (٥) سورة المعارج: ١٥-١٨.

ثم خفت صوته، فسألت الرهط عما سبقني من كلامه، فقالوا: سمعناه يقول: أنصتوا.. أنصتوا!!

فنظر بعضنا إلى بعض، فإذا الصوت من تحت الثياب.

قال: فكشفنا عن وجهه فقال:

«هذا أحمد رسول الله، نسلام عليكم يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.. ثم قال: أبو بكر الصديق الأمين، خليفة رسول الله، كان ضعيفاً في جسمه، قوياً في أمر الله، صدق.. صدق وكان في الكتاب الأول». وذكر «بئر أريس» كما ذكرنا في رواية ابن المسيب.

قال البيهقي:

«والأمر فيها أن النبي ﷺ - اتخذ خاتماً كان في يده، ثم كان في يد أبي بكر من بعده، ثم كان في يد عمر، ثم كان في يد عثمان حتى وقع منه في بئر «أريس»، بعد ما مضى من خلافته ست سنين، فعند ذلك تغيرت عماله، وظهرت أسباب الفتن، كما قيل على لسان «زيد بن خارجة».

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى -:

«قلت: وهى المرادة من قوله: مضت اثنتان وبقى أربع، أو مضت أربع وبقى اثنتان، على اختلاف الرواية.. والله أعلم».

قال البيهقي: وقد روى فى التكلم بعد الموت عن جماعة بأسانيد صحيحة^(١).. والله أعلم.

قال ابن تيمية: «وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع الرسول ﷺ -، فهى فى الحقيقة تدخل فى معجزات الرسول ﷺ -، مثل: انشقاق القمر، وتسبيح الحصى فى كفه، وإتيان الشجرة إليه، وحنين الجذع.. ثم ذكر - رحمه الله تعالى - طرفاً من كرامات الأولياء.. ثم قال:

«وهذا باب واسع قد بسط الكلام على كرامات الأولياء في غير هذا الموضوع».

وأما ما نعرفه عن أعيان ونعرفه في هذا الزمان فكثير» (١).

وهكذا يصل الإنسان بإيمانه . ويرتقى بإخلاصه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

-ورضى الله عن «زيد بن خارجة» وأرضاه-.

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ١٦١ .

[٢٩] خالد بن الوليد

«قائد المجاهدين»

من هو؟:

هو: خالد بن الوليد بن المغيرة، أبو سليمان المخزومي، سيف الله، أحد الشجعان المشهورين، لم يقهر في جاهلية ولا إسلام.
وأمه: عصماء بنت الحارث، أخت لبابة بنت الحارث، وأخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين.

إسلامه - ﷺ -:

أسلم خالد بن الوليد - ﷺ - أول يوم في صفر سنة ثمان.
وعن بداية إسلامه - ﷺ - يحدثنا فيقول:

«لَمَّا أَرَادَ اللهُ بِي مَا أَرَادَ مِنَ الْخَيْرِ، قَذَفَ فِي قَلْبِي حَبَّ الْإِسْلَامِ، وَحَضَرَنِي رَشْدِي وَقَلْتُ: قَدْ شَهِدْتُ هَذِهِ الْمَوَاطِنَ كُلَّهَا عَلَى مُحَمَّدٍ فَلَيْسَ مَوْطِنٌ أَشْهَدُهُ إِلَّا أَنْصَرَفْتُ وَأَنَا أَرَى فِي نَفْسِي أَنِّي مَوْضِعٌ فِي غَيْرِ شَيْءٍ وَأَنْ مُحَمَّدًا سَيُظْهِرُ. وَدَافَعْتَهُ قَرِيشٌ بِالرَّاحِ يَوْمَ «الْحَدِيبِيَّةِ».

فقلت: أين المذهب؟ وقلت: أخرج إلى هرقل.. ثم قلت: أخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية فأقيم مع عجم تابعاً لها مع عيب ذلك على؟
ودخل رسول الله - ﷺ - مكة عام «القضية» فتغيبت فكتب إلى أخي:

«لَمْ أَرَ أَحَدًا عَجِبَ ذَهَابَ رَأْيِكَ عَنِ الْإِسْلَامِ وَعَقْلُكَ وَعَقْلُكَ وَمِثْلَهُ الْإِسْلَامِ جَهْلُهُ أَحَدًا؟ وَقَدْ سَأَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - عَنْكَ فَقَالَ: «أَيْنَ خَالِدٌ؟».

فقلت: يأتي الله به.

فقال: «ما مثل خالد جهل الإسلام».

فاستدرك يا أخى ما فاتك».

فلما أتاني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الإسلام وسرتني مقالة النبي - ﷺ -. فأرى في المنام كأنني في بلاد ضيقة جدبة فخرجت إلى بلد أخضر واسع فقلت: إن هذه لرؤيا.

فذكرتها بعد لأبي بكر فقال: هو مخرجك الذي هداك الله فيه للإسلام، والضيق الشرك.

فأجمعت الخروج إلى رسول الله - ﷺ -.، وطلبت من أصحاب؟ فلقيت عثمان بن طلحة فذكرت له الذي أريد فأسرع الإجابة وخرجنا جميعاً فأدجنا سحراً.

فلما كنا «بالهدة» إذا عمرو بن العاص فقال: مرحباً بالقوم.

فقلنا: وبك.

فقال: أين مسيركم؟

فأخبرناه وأخبرنا أنه يريد أيضاً النبي - ﷺ -. .

فاصطحبنا حتى قدمنا المدينة على رسول الله - ﷺ -. أول يوم من صفر سنة ثمان.

فلما طلعت على رسول الله - ﷺ -. سلمت عليه بالنبوة فردّ عليّ السلام بوجه طلق فأسلمت.

فقال رسول الله - ﷺ -.: «قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير».

وبايعت رسول الله - ﷺ -. وقلت: استغفر لي كل ما أوضعت فيه من صدّ عن سبيل الله.

فقال: «إن الإسلام يجب ما قبله» ثم استغفر لي.

وتقدم عمرو وعثمان بن طلحة. فوالله ما كان رسول الله - ﷺ -. من يوم أسلمت يعدل بي أحداً من أصحابه فيما يُحزبه^(١).

(١) يُحزبه: أى يحزنه ويهمه.

جهاده - ﷺ -:

«يوم مؤتة»:

لمّا كان يوم مؤتة^(١) وقُتل الأمراء الثلاثة: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة - ﷺ - . . أخذ اللواء «ثابت بن أقرم» وجعل يصيح: يا للأنصار، فجعل الناس يثوبون إليه. فنظر إلى خالد بن الوليد فقال:

«خذ اللواء يا أبا سليمان».

فقال: لا آخذه، أنت أحق به، لك سنّ وقد شهدت بدرًا.

قال ثابت: خذه أيها الرجل فوالله ما أخذته إلا لك.

وقال ثابت للناس: اصطلحتم على خالد؟

قالوا: نعم.

فحمل اللواء وحمل بأصحابه ففضّ جمعًا من جمّع المشركين.

وقاتل يومئذ قتالاً شديداً لم ير مثله، اندقت في يده تسعة أسياف، ولم تثبت في يده إلا صفيحة يمانية.

وقد قال رسول الله - ﷺ -: «أخذ الراية زيد، فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب، ثم أخذها سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه» رواه البخارى.

وعن أنس بن مالك - ﷺ -: «نعى النبي - ﷺ - أمراء يوم مؤتة فقال:

«أصيبوا جميعاً ثم أخذ الراية بعد سيف من سيوف الله خالد» وجعل يحدث الناس وعينه تذرّفان» رواه البخارى.

ودخل الليل على المتحاربين، فكان هدنة مؤقتة، فلما طلع الصبح كان خالد قد أعاد تنظيم قواته القليلة، فجعل المقدمة ساقه والميمنة مسرة.

(١) كان عدد جيش المسلمين ثلاثة آلاف . . فى انتظارهم مائة ألف من الروم، ومائة ألف من نصارى العرب!! .

وجعل خالد هدفه مناوشة الرومان بحيث يلحق بهم أفدح الخسائر دون أن يعرض كتلة الجيش لالتحام عام، وقد أفلحت الخطة في إنقاذ الآلاف القليلة التي معه، وإنقاذ سمعة المسلمين في أول معركة لهم مع الدولة الكبرى.

والعجيب أن الرومان -على كثرة عتادهم وعددهم- أعياهم هذا القتال وأصيبوا فيه بخسائر كبيرة، بل إن بعض فرقهم انكشف، وولى مهزوماً، واكتفى خالد بهذه النتيجة، وأثر الانصراف بمن معه والدلالة التي تعلق على الريب في هذه المعركة أن شجاعة المسلمين وبسالتهم بلغتا حدًا لم تعرفه أمة معاصرة، وقد أكسبهم هذا الروح العالي إقدامًا حَقَّرَ أمامهم كبرياء الأمم التي عاشت مع التاريخ دهرًا، تصول وتجول لا يقفها شيء.

إن الاستهتار بالخطر والطيران إلى الموت ليس فروسية احتكرها الرجال المقاتلون وحدهم، بل هي قوة غامرة قاهرة تعدت الرجال إلى الأطفال فأصبحت الأمة كلها أمة كفاح غال عزيز.

وحسبك أن جيش «مؤتة» لما عاد إلى المدينة قابله الصبية بصيحات الاستنكار يقولون: يا فُرَّار، فررتم في سبيل الله؟

إن أولئك الصغار يرون انسحاب خالد ومن معه فرارًا يقابل بحثو التراب، أي جيل نابه هذا الجيل الذي صنعه الإيمان الحق؟! أي نجاح بلغته رسالة الإسلام في صياغة أولئك الأطفال العظام؟ من آبائهم؟ من أمهاتهم؟ كيف كان الآباء يربون؟ كيف كانت الأمهات يدللن؟

إن مسلمة اليوم بحاجة ماسة إلى أن تعرف هذه الدروس (١).

بعد فتح مكة:

أرسل النبي ﷺ - خالد بن الوليد بعد فتح مكة لهم «اللآت والعزى» فأتى خالد عليها فقال:

إني رأيتُ الله قد أهانك

يا عزُّ كُفْرانك لا سُبْحانك

وعن قتادة: أن النبي - ﷺ - بعث خالدًا إلى العُزَّى، وكانت بهوازن، وسدنتها «بنو سليم».

فقال: «انطلق، فإنه يخرج عليك امرأة، شديدة السواد، طويلة الشعر، عظيمة الثديين، قصيرة».

فقالوا يحرضونها:

يا عَزُّ شُدَى شَدَةً لا سواكها على خالد ألقى الخمار وشمرى
فإنك إن لا تقتلى المرءَ خالدًا تبوءى بذنب عاجل وتقصرى

فشد عليها خالد، فقتلها، وقال: ذَهَبَتِ العُزَّى فلا عُزَّى بعد اليوم^(١).

يوم اليمامة:

اتجه خالد بن الوليد - رضي الله عنه - إلى «اليمامة» حيث يربض هناك جيش «مسيلمة الكذاب».

فلما كان على بعد ليلة من معسكر مسيلمة، هجم على مفرزة من بنى حنيفة بإمرة «مجاعاة بن مرارة الحنفي» قوتها ما بين ثلاثين أو أربعين فارساً، فأسرهم وقتل أصحاب «مجاعاة» واستحياه رهينة. وزحف خالد بجيشه إلى مسيلمة والتقى الفريقان في «عقرباء»، واشتد القتال بشكل لم يسبق له مثيل، وانهزم المسلمون بداية حتى دخل بنو حنيفة فسطاط خالد، ولكن المسلمين عادوا فقاتلوا أشد القتال ونادى خالد.

«يا أيها الناس، امتازوا، لنعلم بلاء كلِّ حَيٍّ، ولنعلم من أين نوتى».

وكان النصر بعد جهد جهيد لأنصار دين الله، وانتصر ثلاثة عشر ألف مسلم على رجال «مسيلمة» وعددهم حوالي «أربعين ألف مقاتل أو يزيد».

وقتل من جيش «مسيلمة» في هذه المعركة التي سميت بمعركة «اليمامة» أربعة عشر ألفاً، وقتل منهم في الطلب سبعة آلاف، وقتل عدو الله مسيلمة، وقتل من المسلمين ثلاثمائة وستون من المهاجرين والأنصار، وثلاثمائة من

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٢/٤٣٦).

المهاجرين من غير أهل المدينة، وثلاثمائة من التابعين، وقُتل من القراء خمسمائة، فكان جملة من قُتل من المسلمين «ألفاً ومائتى شهيد» وكان النصر فيها حليفاً للمسلمين واتخذ الله من المؤمنين شهداء.

موقعة «اليرموك»:

قاد خالد بن الوليد جيش المسلمين في هذه المعركة التي نشبت بين المسلمين وبين الروم الذين خرجوا في تعبئة لم يرُ الرءاون مثلها!! ولما تراءى الجمعان وتبارز الفريقان.

وذكر «الوليد بن مسلم» أن «ماهان» -قائد الروم- طلب خالداً ليبرز إليه بين الصّفين فيجتمعاً في مصلحة لهم. . فخرج إليه خالد فقال ماهان: إنا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم إلاّ الجهد والجوع، فهلمُّوا إلى أن أُعطى كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاماً وترجعون إلى بلادكم، فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بمثلها!!

فقال خالد: إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت، غير أنا قوم نشرب الدماء، وأنه بلغنا أنه لا دم أطيب من دم الروم، فجنّنا لذلك. فقال أصحاب ماهان: هذا والله ما كنا نتحدث به عن العرب.

ثم تقدم خالد إلى عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو -وهما على مجبتي القلب- أن يُنشأ القتال، فبدرا يرتجزان ودعوا إلى البراز، وتنازل الأبطال، وتجاوزوا وحمى الحرب وقامت على ساق: هذا، وخالد مع كردوس من الحماة الشجعان الأبطال بين يدي الصفوف، والأبطال يتصاولون من الفريقين بين يديه، وهو ينظر ويبعث إلى كل قوم من أصحابه بما يعتمدونه من الأفاعيل، ويدبر أم الحرب أتمّ تدبير.

وأشار خالد أن يقف في القلب «سعيد بن زيد» وأن يكون أبو عبيدة من وراء الناس ليرد المنهزم. وقسم خالد الخيل قسمين فجعل فرقة وراء الميمنة، وفرقة وراء الميسرة، لئلا يفِرّ الناس وليكونوا رِداءً لهم من ورائهم.

فقال له أصحابه: افعل ما أراك الله، وامثلوا ما أشار به خالد

- رضي الله عنه - .

وأقبلت الروم رافعة صلبانها ولهم أصوات مزعجة كالرعد، والقساوسة والبطارقة تحرضهم على القتال وهم في عدد وعددٍ لم يُر مثله، فالله المستعان وعليه التكلان.

وجعل معاذ بن جبل - رضي الله عنه - كلما سمع أصوات القسيسين والرهبان يقول: «اللهم زلزل أقدامهم، وأرعب قلوبهم: وأنزل علينا السكينة، وألزمنا كلمة التقوى، وحبب إلينا اللقاء، وأرضنا بالقضاء».

وخرج «ماهان» فأمر صاحب الميسرة وهو «الدبريجان»، وكان عدو الله متنسكاً فيهم، فحمل على الميمنة وفيها الأزد ومذجح وحضرموت وخولان، فثبتوا حتى صدوا أعداء الله، ثم ركبهم من الروم أمثال الجبال فزال المسلمون من الميمنة إلى ناحية القلب، وانكشف طائفة من الناس إلى العسكر، وثبت صور من المسلمين عظيم يقاتلون تحت راياتهم، ثم تنادوا فتراجعوا وحملوا حتى أزالوا من أمامهم من الروم وثبت كل قوم على رايتهم حتى صارت الروم تدور كأنها الرّحى فلم ترَ يوم «اليرموك» إلاّ مُخاً ساقطاً، ومِعصماً نادراً^(١)، وكفّاً طائرة من ذلك الموطن.

ثم حمل خالد بن معاذ من الخيالة على الميسرة التي حملت على ميمنة المسلمين فأزالوهم إلى القلب فقتل من الروم في حملته هذه «ستة آلاف منهم»!! .

ثم قال: «والذي نفسى بيده لم يبق عندهم من الصبر والجلد غير ما رأيتم، وإنى لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم».

ثم اعترضهم فحمل بمائة فارس معه على نحو من مائة ألف فما وصل إليه حتى انفض جمعهم، وحمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد، فانكشفوا وتبعهم المسلمون لا يمتنعون منهم!! .

(١) نادراً: مقطوعاً ساقطاً!! .

عزل خالد عن قيادة الجيش!

وبينما هم فى جولة الحرب وحموة الوغى والأبطال يتصاولون من كل جانب، إذ قدم البريد من نحو الحجاز فدفع إلى خالد بن الوليد فقال له: ما الخبر؟

فقال له - فيما بينه وبينه - : إن الصديق - رضي الله عنه - قد توفى واستخلف عمر، واستتاب على الجيوش أبا عبيدة عامر بن الجراح فأسرّها خالد ولم يبد ذلك للناس لئلا يحصل ضعف ووهن فى تلك الحال، وقال له: أحسنت!! والناس يسمعون!، وأخذ منه الكتاب فوضعه فى كنانته^(١) واشتغل بما كان فيه من تدبير الحرب والمقاتلة، وأوقف الرسول الذى جاء بالكتاب - وهو منجمة ابن زنيم - إلى جانبه.

قال علماء السير:

وخرج «جرّجة» أحد أمراء الروم الكبار من الصّف واستدعى خالد بن الوليد فجاء إليه حتى اختلفت أعناق فرسيهما.

فقال جرّجة: يا خالد أخبرنى فاصدقنى ولا تكذبنى، فإن الحرّ لا يكذب، ولا تخادعنى فإن الكريم لا يخادع. . هل أنزل الله على نبيكم سيّفاً من السماء فأعطاكه فلا تسلّه على أحد إلاّ هزمتهم؟
قال خالد: لا!.

قال: فبم سُميت سيف الله؟

قال: إن الله بعث فىنا نبيّه فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعاً، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا كذبه وباعده، فكنتُ فيمن كذبه وباعده، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه، فقال لى: أنت سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين ودعا لى بالنّصر، فسميتُ سيف الله بذلك.

فقال جرّجة: يا خالد إلى ما تدعون؟

(١) الكنانة: جعبة السهام.

قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله والإقرار بما جاء به من عند الله عزّ وجلّ.

قال: فمن لم يجبكم؟

قال: فالجزية وتمنعهم.

قال: فإن لم يعطها؟

قال: نوذنه بالحرب ثم نقاتله.

قال: فما منزلة من يجبكم ويدخل في هذا الأمر اليوم؟

قال: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا.

قال جرّجّة: فلمن دخل فيكم اليوم من الأجر مثل ما لكم من الأجر والذخر؟

قال: نعم وأفضل.

قال: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟

فقال خالد: إنا قبلنا هذا الأمر عنوة وبإيعنا نبينا وهو حيّ بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتاب ويُرينا الآيات، وحق لمن رأى ما رأينا، وسمع ما سمعنا أن يسلم ويباع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا.

فقال جرّجّة: بالله لقد صدقتني ولم تخادعني؟

قال: تالله لقد صدقتك وإن الله ولى ما سألت عنه.

فعند ذلك قلب «جرّجّة» الترس ومال مع خالد وقال: علمنى الإسلام،

فمال به خالد إلى فسطاطه فسَنَّ^(١) عليه قربة من ماء ثم صلّى به ركعتين!!.

(١) سَنَّ: صَبَّ.

وحملت الروم مع انقلابه إلى خالد.. فركب خالد وجرجة معه يقاتل مع المسلمين.. وأصيب -رحمه الله- ولم يُصلِّ إلا تلك الركعتين مع خالد -رضي الله عنه-.

ثم انتهت المعركة بانتصار المسلمين والحمد لله رب العالمين.

وانضوى خالد تحت إمرة أبي عبيدة بن الجراح بعد أن عزله عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-.

عمر بن الخطاب يعتذر!!:

لما عزل عمر بن الخطاب خالد بن الوليد عن إمرة الجيوش.. اعتذر للناس!!:

ذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٩٣/٥):

«أن عمر قال حين عزل خالدًا عن الشام، والمثنى بن حارثة عن العراق: إنما عزلتهما ليعلم الناس أن الله نصر الدين لا بنصرهما وأن القوة لله جميعاً».

قلت: والمقصود أنه فعل ذلك -رضي الله عنه- صيانة لعقائد الناس.. وحماية لجناب التوحيد.. حتى لا تتعلق القلوب إلا بالله تعالى.

وذكر -أيضاً- أن عمر قال حين عزل خالدًا:

«إنك علىّ لكريم، وإنك عندي لعزيز، ولن يصل إليك مني أمر تكرهه بعد ذلك».

وفاته:

استقر خالد بن الوليد بحمص. ولم يتخلف عن غزوة.. يجابه الأخطار.. ويقتحم المنايا باحثًا عن الشهادة.. ولكن شاءت الإرادة الإلهية.. أن يموت على فراشة ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾^(١).

وها هو فارس الإسلام وقائد المجاهدين على فراشه يعالج سكرات الموت . . ويقول:

«لقد طلبت القتل في مظانّه فلم يقدرّ لى إلّا أن أموت على فراشى . وما من عملى شىء أرجى عندى بعد لا إله إلا الله من ليلة بتّها وأنا متترسّ والسّماء تهلنى تمطر إلى الصبح ، حتى نغير على الكفار . ثمّ قال : إذا أنا مت فانظروا إلى سلاحى وفرسى فاجعلوه عدّة فى سبيل الله» .

وعن أبى الزناد، قال:

«لما حضرت خالدًا الوفاة بكى ثم قال : لقد حضرتُ كذا وكذا زحفاً ، وما فى جسدى شبر إلا وفيه ضربة بسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، وها أنا أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجناء» .

ولمّا وصل نبأ وفاته إلى عمر بن الخطاب ، قال : «رحم الله أبا سليمان ما عند الله خير له مما كان فيه» ثم قال : «كان والله سداً لنا نحو العدو ، ميمون النقيبة» .

[٣٠] أبو عَقِيل

«بطلٌ حتى الموت!!»

من هو؟:

هو: عبد الرحمن بن عبد الله بن ثعلبة، أبو عقيل.. الأنصارى - رضي الله عنه - .

أسلم مبكراً، وشهد بديراً والمشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، واستشهد يوم «اليمامة» .

وأبو عقيل: أحد المخلصين المجاهدين من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . . وأحد الفقراء المتصدقين!! الذين شهد القرآن العظيم لهم بالإيمان والإخلاص.. وهذا وسام عظيم.. ومقام كريم.

قال الله تعالى:

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) .

روى مسلم في «صحيحه» عن أبي مسعود - أي البدرى - رضي الله عنه - قال: «أمرنا بالصدقة - قال: كنا نحامل - على ظهورنا» (٢) قال:

فتصدق أبو عقيل بنصف صاع. قال: وجاء إنسان بشيء أكثر منه فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رياء: فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ يعني أبا عقيل» .

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - :

(١) سورة التوبة: ٧٩ .

(٢) في رواية أخرى .

أن رسول الله - ﷺ - خطبهم ذات يوم وحث على أن يجمعوا الصدقات، فجاءه عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم، وقال: كان لى ثمانية آلاف درهم، فأمسكتُ لنفسى وبعالى أربعة وهذه الأربعة أقرضتُها ربي، فقال - ﷺ -:

«بارك الله لك فيما أعطيتَ وفيما أمسكتَ».

وجاء عمر بنحو ذلك، وجاء عاصم بن عدى الأنصارى بسبعين وسقاً من تمر الصدقة، وجاء عثمان بن عفان بصدقة عظيمة، وجاء أبو عقيل بصاع من تمر، وقال: «أجرتُ الليلة الماضية نفسى من رجل لإرسال الماء إلى نخيله، فأخذتُ صاعين من تمر، فأمسكتُ أحدهما لبعيالى وأقرضتُ الآخر ربي!!»، فأمر رسول الله - ﷺ - بوضعه فى الصدقات، فقال المنافقون على وجه الطعن: ما جاءوا بصدقاتهم إلا رياءً وسمعةً..

وأما أبو عقيل فإنما جاء بصاعه ليذكر مع سائر الأكابر، والله غنى عن صاعه، فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ...﴾.

قال الإمام الفخر:

«... فالمراد بالمطوعين فى الصدقات، أولئك الأغنياء الذين أتوا بالصدقات الكثيرة وبقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ أبو عقيل حيث جاء بالصاع من التمر. ثم حكى عن المنافقين أنهم يسخرون منهم، ثم بين أن الله تعالى سخر منهم.

واعلم أن إخراج المال لطلب مرضاة الله، قد يكون واجباً كما فى الزكوات وسائر الإنفاقات الواجبة وقد يكون نافلة، وهو المراد من هذه الآية، ثم الآتى بالصدقة النافلة قد يكون غنياً فيأتى بالكثير، كعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وقد يكون فقيراً فيأتى بالقليل وهو جهد المقل ولا تفاوت بين البابين فى استحقاق الثواب، لأن المقصود من الأعمال الظاهرة كيفية النية واعتبار حال الدواعى والصوارف، فقد يكون القليل الذى يأتى به الفقير أكثر موقِعاً عند الله تعالى من الكثير الذى يأتى به الغنى!.

ثم إن هؤلاء الجهال من المنافقين ما كان يتجاوز نظرهم عن ظواهر الأمور فعيروا ذلك الفقير الذي جاء بالصدقة القليلة.

وذلك التعبير يحتمل وجوهاً:

الوجه الأول: أن يقولوا إنه لفقره محتاج إليه، فكيف يتصدق به؟ إلا أن هذا من موجبات الفضيلة، كما قال تعالى: ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (١).

الوجه الثاني: أن يقولوا أى أثر لهذا القليل؟ وهذا أيضاً جهل، لأن هذا الرجل لما لم يقدر إلا عليه فإذا جاء به فقد بذل كل ما يقدر عليه فهو أعظم موقعاً عند الله من عمل غيره، لأنه قطع تعلق قلبه عما كان فى يده من الدنيا، واكتفى بالتوكل على المولى.

الوجه الثالث: أن يقولوا إن هذا الفقير إنما جاء بهذا القليل ليضم نفسه إلى الأكابر من الناس فى هذا المنصب، وهذا أيضاً جهل، لأن سعى الإنسان فى أن يضم نفسه إلى أهل الخير والدين، خير له من أن يسعى فى أن يضم نفسه إلى أهل الكسل والبطالة.

وأما قوله تعالى: ﴿ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ قال الأصم:

المراد أنه تعالى قبل من هؤلاء المنافقين ما أظهوره من أعمال البر مع أنه لا يشبههم عليها، فكان ذلك كالسخرية (٢).

وقال ابن كثير: وقوله: ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ هذا من باب المقابلة على سوء صنيعهم واستهزائهم بالمؤمنين، لأن الجزء من جنس العمل فعاملهم معاملة من سخر منهم انتصاراً للمؤمنين فى الدنيا، وأعداً للمنافقين فى الآخرة عذاباً أليماً لأن الجزء من جنس العمل (٣).

(١) سورة الحشر: ٩.

(٢) مفاتيح الغيب (٨/١١٢، ١١٣).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٥٨٥).

قلت: ورجل يتولى القرآن الدفاع عنه . . . ويصف المتهمين له بالنفاق والشقاق وسوء الأخلاق . . . لرجل كريم على ربه .

بطل حتى الموت!!:

عن جعفر بن عبد الله بن أسلم، قال:

«لما كان يوم «اليمامة» واصطف الناس للقتال . كان أول من خرج أبو عقيل، رمى بسهم فوق بين منكييه وفؤاده في غير مقتل، فأخرج السهم، ووهن له شقه الأيسر في أول النهار وجراً إلى الرحل، فلما حمى القتال وانهزم المسلمون وجاوزوا رحالهم . . . وأبو عقيل واهن من جرحه سمع «معن ابن عدى» يصيح: «يا للأنصار، الله الله والكرّة على عدوكم» .

قال عبد الله بن عمر:

فنهض أبو عقيل يريد قومه!!

فقلت: ما فيك قتال .

قال: قد نوه المنادى باسمي .

قال ابن عمر فقلت: إنما يقول يا للأنصار، ولا يعنى الجرحى .

قال أبو عقيل: أنا رجل من الأنصار وأنا أجيبه ولو حبواً .

قال ابن عمر: فتحزّم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى مجرداً، ثم

جعل ينادى: يا للأنصار كرة كيوم حنين .

فاجتمعوا -رحمهم الله جميعاً- يقدمون المسلمين . . حتى أقحموا

عدوهم الحديقة فاختلفوا واختلفت السيوف بيننا وبينهم .

قال ابن عمر:

فنظرت إلى أبي عقيل وقد قطعت يده المجروحة من المنكب فوقعت

بالأرض، وقُتل عدو الله مسيلمة .

قال ابن عمر: فوقعت على أبي عقيل وهو صريع بآخر رمق .

فقلت: أبا عقيل.

فقال: لبيك بلسان ملثا، لمن الدبرة؟

قال: قلت: أبشر قد قُتل عدو الله، فرفع أصبعه إلى السماء فحمد الله، ومات - رحمه الله -.

قال ابن عمر:

فأخبرتُ عمر بعد أن قدمتُ خبره كله، فقال: رحمه الله، ما زال يطلب الشهادة ويطلبها، وإن كان ما علمتُ من خيار أصحاب نبينا - ﷺ - وقديم إسلامهم (١).

[٣١] المقداد بن الأسود

«أول من عدَّاه فرسه في سبيل الله!»

من هو؟:

هو: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة القضاعي الكندي البهراني ويقال له: المقداد بن الأسود، لأنه رُبِّي في حَجَرِ الأسود بن عبد يغوث الزهري فتبناه، فلما نزل ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾^(١) قيل: المقداد بن عمرو. شهد «المقداد» بدرًا والمشاهد، وثبت أنه كان يومَ بدر فارسًا، واختلف يومئذ في الزبير.

فعن القاسم بن عبد الرحمن، قال:

«أول من عدَّاه فرسه في سبيل الله المقداد بن الأسود».

وقال عليُّ بن أبي طالب -رضي الله عنه-:

«ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد».

وهو: أحد الفرسان الأربعة الذين أرسلهم عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إلى عمرو بن العاص مددًا لفتح مصر قائلاً له:

«إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم مقام الألف: الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود بن عمرو، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد».

صفته:

قيل: كان آدم طويلاً، ذا بطن، أشعر الرأس، أعين^(٢)، مقرون الحاجبين، مهيباً.

(١) سورة الأحزاب: ٥.

(٢) أعين: أى واسع العين بين العين، والجمع عينٌ. (مختار الصحاح ص ٤٦٧).

موقف كريم:

قال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-:

«لقد شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إليّ ممّا دعا به -وفى رواية: أحب إليّ مما في الأرض من شيء- أتى النبي ﷺ - وهو يدعو على المشركين فقال:

«والله يا رسول الله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى:

﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلْ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (١).

ولكننا نقاتل عن يمينك وعن يسارك وبين يدك ومن خلفك».

فرايتُ النبي ﷺ - أشرق وجهه وسره ذلك. (رواه أحمد).

الرسول ﷺ - يدعو له:

عن المقداد بن الأسود -رضي الله عنه- قال:

جئت أنا وصاحبان لي قد كادت تذهب أسمعنا وأبصارنا من الجهد، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ - فما يقبلنا أحد، حتى انطلق بنا رسول الله ﷺ - إلى رحله - ولآل محمد ثلاث أعنز يحتلبونها - فكان النبي ﷺ - يوزع (٢) اللبن بيننا وكنا نرفع لرسول الله ﷺ - نصيبه.

فيجيء فيسلم تسليمًا يسمع اليقظان ولا يوقظ النائم.

فقال لي الشيطان: لو شربت هذه الجرعة؟ (٣) فإن النبي ﷺ - يأتي الأنصار فيتحفونه، فما زال بي حتى شربتها.

فلما شربتها ندمني وقال: ما صنعت؟ يجيء محمد - ﷺ - فلا يجد شرابه فيدعو عليك فتهلك.

وأما صاحباي فشربا شرابهما وناما.

(١) سورة المائدة: ٢٤.

(٢) يوزع: يقسم.

(٣) أي: الجرعة المتبقية لرسول الله ﷺ -.

وأما أنا فلم يأخذني النوم وعلىَّ شملة لى إذا وضعتها على رأسى بدت (١) منها قدمائى، وإذا وضعتها على قدمى بدا رأسى .

وجاء النبىُّ - ﷺ - كما كان يجىء فصلى ما شاء الله أن يصلّى، ثم نظر إلى شرابه فلم ير شيئاً فرفع يده، فقالت: «يدعو علىَّ الآن فأهلك» .

فقال رسول الله - ﷺ - : «اللهم! أطعم من أطعمنى، واسق من سقانى» .

فأخذتُ الشفرة (٢) وأخذت الشملة وانطلقتُ إلى الأعنز أجسهن أيتهن أسمن كى أذبحه لرسول الله - ﷺ - .

فإذا حفّل (٣) كلهن أخذتُ إناء لآل محمد - ﷺ - كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه، فحلبته حتى علتته الرغبة .

ثم أتيتُ رسول الله - ﷺ - فشرّب، ثم ناولنى فشربتُ، ثم ناولته فشرّب، ثم ناولنى فشربت؛ ثم ضحكت حتى ألقيتُ على الأرض . فقال لى : «إحدى سواتك يا مقداد!» .

فأنشأتُ أحدثه بما صنعتُ .

فقال رسول الله - ﷺ - : «ما كانت إلا رحمة من الله عزّ وجلّ لو كنتَ أيقظتُ صاحبك فأصابا منها» .

قلت : «والذى بعثك بالحق! ما أبالى! إذا أصبتها أنت وأصبتُ فضلتك من أخطأت من الناس» (٤) .

(١) بدت : ظهرت .

(٢) الشفرة : السكين العريض .

(٣) حفّل : جمع حافل : أى ممتلئة الضروع .

(٤) صحيح : رواه أبو نعيم فى «الحلية» (١/١٧٣، ١٧٤) .

أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

● عن همام بن الحارث:

أن رجلاً جعل يمدح عثمان^(١)، فعمد المقداد فجثا على ركبتيه، وكان رجلاً ضخماً، فجعل يحثو في وجهه الحصباء!. فقال له عثمان: ما شأنك!.

فقال: إن رسول الله - ﷺ - قال:

«إذا رأيتم المداحين، فاحثوا في وجوههم التراب» رواه مسلم.

● عن الحارث بن سويد، قال:

«كان المقداد بن الأسود في سرية فحصرهم العدو، فعزم الأمير أن لا يجسر أحد دابته، فجسر رجل دابته لم تبلغه العزيمة، فضربه فرجع الرجل وهو يقول:

«ما رأيتُ كما لقيتُ اليوم قطّ».

فمرّ «المقداد» فقال: ما شأنك؟ فذكر له قصته، فتقلد السيف وانطلق معه حتى انتهى إلى الأمير فقال: أقده^(٢) من نفسك. فأقاده!، فعفا الرجل. فرجع المقداد وهو يقول: «لأموتن والإسلام عزيز».

مواظبه:

عن جبير بن نفيير - رضى الله عنه -، قال:

جلسنا إلى المقداد يوماً، فمرَّ به رجل، فقال:

طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله - ﷺ -، والله لو ددنا أنا رأينا ما رأيتَ.

فاستمعتُ، فجعلتُ أعجبُ، ما قال إلا خيراً، ثم أقبل عليه، فقال:

(١) أى: عثمان بن عفان - رضى الله عنه -.

(٢) القود: القصاص.

«ما يحمل أحدكم على أن يتمنى محضراً غيبه الله عنه، لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه».

والله لقد حضر رسول الله - ﷺ - أقوامٌ كبَّهم الله على مناخرهم في جهنم، لم يُجيبوه ولم يصدِّقوه، أو لا تحمَدُن الله، لا تعرفون إلا ربَّكم مُصدِّقين بما جاء به نبيِّكم، وقد كفيتم البلاءَ بغيركم؟

والله لقد بُعث النبيُّ - ﷺ - على أشدِّ حال بُعث عليه نبيٌّ في فترة وجاهلية، ما يرون ديناً أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفُرْقان حتى إن الرجل ليرى والده، أو ولده، أو أخاه كافراً، وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان، ليعلم أنه قد هلك من دخل النار، فلا تقرُّ عينُه وهو يعلم أن حميمه في النار، وأنها للتي قال الله تعالى:

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ (١).

جهاد إلى الموت!!:

كانت عزائم أصحاب النبيِّ - ﷺ - لا تعرف الكل . . ولا يتسرب إليها ملل . . فهم في جهاد إلى آخر نفس . . ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (٢) وها هو «المقداد» - رضى الله عنه - رغم تقدم سنِّه . . وثقل جسمه . . إذا سمع منادى الجهاد . . حمل سيفه ونهض لمقاتلة الأعداء!! .

يقول أبو راشد الخبراني:

وافيتُ «المقداد» فارس رسول الله - ﷺ - «بحمص» على تابوت من توابيت الصيَّارفة، قد أفضلَ عليها من عِظَمِه (٣)، يريد الغزو فقلت له: قد أعذر الله إليك.

(١) سورة الفرقان: ٧٤.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٦.

(٣) أى: من ثقل بدنه . . وكان - رضى الله عنه - كما تقدم «سميئاً».

فقال: أبت علينا سورة «البحوث» ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ (١).

وفاته - ﷺ -:

وبعد حياة حافلة بالجهاد.. ومليئة بالتقوى والورع.. حانت ساعة الزفاف إلى جنات النعيم.

ففى سنة «ثلاث و ثلاثين» نزلت رسلُ الله تعالى بالبشارة.. فلبى «المقداد» نداء مولاه.. وخرجت الروح الطيبة.. لتصعد إلى السماء «راضية مرضية»، ومات المجاهد العظيم الذى كان يُعد «بألف» رجل!!.

قال أهل السير:

شرب المقداد دهن الخروع فمات وذلك «بالجرف» على ثلاثة أميال من المدينة.. فحُمِلَ على رقاب الرجال.. وصلى عليه عثمان بن عفان - ﷺ - .. ودفن بالبقيع.. -رضى الله عن المقداد وأرضاه-.

[٣٢] وهب بن قابوس المزنى

«رضى الله عنك فأنى عنك راض» رسول الله - ﷺ -

كان «وهب بن قابوس» - رضى الله عنه - ممن عناهم النبي - ﷺ - بقوله: «ثلاثة يحبهم الله، ويضحك إليهم، ويستبشر بهم:

الذى إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل، فإما أن يقتل، وإما أن ينصره الله عز وجل ويكفيه فيقول:

انظروا إلى عبدى هذا كيف صبر لى بنفسه؟

والذى له امرأة حسنة، وفراش لين حسن، فيقوم من الليل فيقول: يذّر شهوته ويذكرنى، ولو شاء رقد.

والذى إذا كان فى سفر، وكان معه ركب فسهروا، ثم هجعوا فقام من السحر فى ضراء وسراء» (١).

وكان - أيضاً - ممن ذكرهم النبي - ﷺ - بقوله:

«عجب ربنا تعالى من رجلين:

رجل ثار من وطأته ولحافه من بين أهله وحبّه إلى صلاته، فيقول الله جل وعلا: انظروا إلى عبدى ثار عن فراشه ووطأته من بين حبّه وأهله إلى صلاته رغبةً فيما عندى، وشفقةً مما عندى.

ورجل غزا فى سبيل الله، وانهزم أصحابه وعلم ما عليه فى الانهزام، وما له فى الرجوع فرج حتى يهريق دمه فيقول الله:

انظروا إلى عبدى رجاء فيما عندى وشفقةً مما عندى حتى يهريق

دمه» (٢).

(١) إسناده حسن: رواه الطبرانى فى «الكبير». . انظر: الترغيب برقم (٩٤٠).

(٢) إسناده حسن: رواه أحمد، وقال الهيثمى: إسناده حسن. المجمع (٢/٢٥٥).

كان «وهب» - رضي الله عنه - من هذا النوع المبارك الذي يضحك الله إليه . . ويستبشر به . . ويعجب منه!! . . وهذا فضل عظيم . . ومقام لا يُداني .

فما قصته؟!:

يذكر الإمام ابن الجوزي - رحمه الله تعالى - في «المنتظم»:

أن «وهب بن قابوس» أقبل ومعه ابن أخته «الحارث بن عقبة» بغنم لهما من جبل «مُزينة» فوجدا المدينة خالية فسألا أين الناس؟

فقالوا: «بأحد» خرج رسول الله - صلى الله عليه - يقاتل المشركين .

فقالا: لا نسأل أثراً بعد عين .

فأسلما ثم خرجا فأتيا النبي - صلى الله عليه - «بأحد» فإذا الدولة للمسلمين فأغارا مع المسلمين في «النهب»^(١) وقاتلا أشد القتال، وكانت قد انفرت فرقة من المشركين .

فقال النبي - صلى الله عليه - : «من لهذه الفرقة؟» .

فقال وهب: أنا . فرماهم بالنبل حتى انصرفوا ثم رجع!! .

فانفرت أخرى .

فقال النبي - صلى الله عليه - : «من لهذه؟» .

فقال وهب: أنا . فقام فذبحها بالسيف حتى ولّوا ورجع .

ثم طلعت كتبية أخرى .

فقال: «من يقوم لهؤلاء؟» .

فقال وهب: أنا .

فقال - صلى الله عليه - : «قم وأبشر بالجنة» .

فقام وهب مسروراً يقول:

(١) النهب: جمع الغنائم .

«والله لا أقيـل ولا أستقيـل» .

فجعل يقوم فيهم فيضرب بالسيف حتى يخرج من أقصاهم . حتى قتلوه ومثّلوا به .

ثم قام ابن أخته «الحارث» فقاتل كـنحو قتاله حتى قُتل !! .

فوقف عليهما رسول الله - ﷺ - وهما مقتولان فقال :

«رضى الله عنك، فإنى عنك راض» يعنى وهباً .

ثم قام - ﷺ - على قدميه وقد نال ما ناله من الجراح، وإن القيام ليشق

عليه، فلم يزل قائماً حتى وضع «المزنى» فى لـحده !! .

وكان «عمر» و«سعد بن مالك» يقولان :

ما حال نموت عليها أحب إلينا من أن نلقى الله عزّ وجلّ على

«المزنى» يعنى : «وهب بن قابوس» - رضوان الله عليه - .

وهكذا يفعل الإسلام بأهله . . ويفعل الإخـلاص بذويه . . وما أحوج

الأمة الإسلامية فى هذا العصر الذى اجتمعت فيه كل قوى الشر ضدها إلى

رجال من هذا النوع . . وأبطال من هذا الطراز .

[٣٣] أسعد بن زرارة

«النقيب الشهيد»

من هو؟:

هو: أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار.

السيد نقيب بنى النجار، «أبو أمانة» الأنصارى الخزرجى، من كبراء الصحابة.

تُوفى - رضي الله عنه - شهيداً بالذبيحة^(١)، فلم يجعل النبي ﷺ - بعده نقيباً على بنى النجار وقال:
«أنا نقيبكم» فكانوا يفخرون بذلك.

إسلامه:

قال ابن سعد:

عن حبيب بن عبد الرحمن، قال:

«خرج أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس إلى مكة إلى عتبة بن ربيعة، فسمعا برسول الله - ﷺ -، فأتياه، فعرض عليهما الإسلام، وقرأ عليهما القرآن، فأسلما، فكانا أول من قدم المدينة بالإسلام».

وقيل:

إنه لقي النبي ﷺ - بمكة قبل العسبة الأولى بسنة مع خمسة نفرٍ من الخزرج، فأمنوا به.

فلما قدموا المدينة تكلموا بالإسلام في قومهم، فلما كان العام المقبل،

(١) الذبيحة: وجع الحلق، أو داء يأخذ بالحلق وربما قتل.

خرج منهم اثنا عشر رجلاً، فهي «العقبة الأولى» فانصرفوا معهم، وبعث النبي - ﷺ - «مصعب بن عمير» يقرئهم ويفقههم.

إمام المسلمين في الصلاة:

● عن «النَّوَّار» أم زيد بن ثابت:

«أنها رأت أسعد بن زرارة قبل مقدم النبي - ﷺ - يُصَلِّي بالناس الصلوات الخمس، يُجمَع بهم في مسجد بناه.

قالت: فأنظر إلى رسول الله - ﷺ - لَمَّا قدم صَلَّى في ذلك المسجد وبناه، فهو مسجده اليوم» أخرجه ابن سعد.

● وعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال:

كنتُ قائد أبي حين عمي؛ فإذا خرجتُ به إلى الجمعة، فسمع الأذان، صلى على «أبي أمامة»^(١)، واستغفر له.

فقلت: يا أبة! أرايت استغفارك لأبي أمامة كُلِّما سمعتَ أذان الجمعة ما هو؟

قال: أي بني! كان أول من جمع بنا بالمدينة في هزم «النبيت» من حرّة بني بياضة يقال له: «نقيع الخَضَمَات»^(٢).

قلت: فكم كنتم يومئذٍ؟

قال: أربعون رجلاً.

فكان أسعدٌ مقدّم النقباء الاثني عشر، فهو نقيبُ بني النجار، وأسيد بن الحُضير نقيبُ بني عبد الأشهل، وأبو الهيثم بن التيهان البلوي من حُلفاء بني عبد الأشهل، وسعد بن خيثمة الأوسى أحد بني غنم بن سلم، وسعد بن الربيع الخزرجي الحارثي قتل يوم «أُحد»، وعبد الله بن رواحة بن ثعلبة

(١) أبو أمامة: هو «أسعد بن زرارة» وليس الباهلي.

(٢) الهزم: ما اطمأن من الأرض. والنبيت: بطن من الأرض. وبنو بياضة: بطن من الأنصار.

الخرزجى الحارثى قتل يوم «مؤتة»، وعبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر السلمى نقيب بنى سلمة، وسعد بن عباد بن دليم الخزرجى الساعدى رئيس، نقيب، والمنذر بن عمرو الساعدى النقيب قتل يوم «بئر معونة»، والبراء بن معرور الخزرجى السلمى، وعباد بن الصامت الخزرجى من القواقلة^(١)، ورافع بن مالك الخزرجى الزرقى - رضي الله عنه -^(٢).

وفاته - رضي الله عنه :-

عن محمد بن عبد الرحمن، أن جده أسعد بن زرارة أصابه وجع الذبح فى حلقه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

«لأُبْلَغَنَّ أَوْ لِأُبَلِّغَنَّ فِي أَبِي أُمَامَةَ عُدْرًا» فكواه بيده فمات!! .

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «ميتة سوء لليهود. يقولون: هلاً دفع عن صاحبه، ولا أملك له ولا لنفسى من الله شيئاً»^(٣).

وقيل: أوصى أسعد - رضي الله عنه - بناته إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وكن ثلاثاً. فكن فى عيال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، يدرن معه فى بيوت نساءه، وهن: «فريعة، وكبشة، وحببية» .

فقدم على النبى - صلى الله عليه وسلم - حلى فيه ذهب ولؤلؤ، فحلاهن منه .

وعن أبى الرجال قال:

جاءت بنو النجار، فقالوا:

مات نقيبنا أسعد، فنقب علينا يا رسول الله .

قال: أنا نقيبكم .

قال ابن إسحاق:

«توفى والنبى - صلى الله عليه وسلم -، بينى مسجده قبل بدر» .

ودفن فى البقيع - رضي الله عنه - .

(١) القول: اسم أبى بطن من الأنصار .

(٢) إسناده حسن: رواه أبو داود (١٠٦٩) .

(٣) إسناده صحيح: أخرجه ابن ماجه (٣٤٩٢) فى «الطب»، وأحمد (٦٥/٤) .

[٣٤] عُبيدة بن الحارث

«صاحب أول قتال جرى في الإسلام»

من هو؟:

هو: عُبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قُصَيِّ القرشيُّ المطلبِي. وأمه من ثقيف.

وكان أحد السابقين الأولين. وهو أَسَنُّ من رسول الله - ﷺ - بعشر سنين وابن عمه.

هاجر هو وأخوه الطُّفَيْلُ وحُصَيْن. وكان رُبْعَةً من الرجال، مليحًا، كبير المنزلة عند رسول الله - ﷺ -.

جهاده:

كانت أول راية للجهاد عقدها النبي - ﷺ - هي راية «عبيدة بن الحارث» (١) - رَضِيَّيْنِ -.

قال ابن إسحاق:

«بعث رسول الله - ﷺ - في مقامه ذلك بالمدينة، «عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قُصَيِّ» في ستين أو ثمانين راكبًا من المهاجرين، ليس فيهم من الأنصار أحدٌ، فسار حتى بلغ ماءً بالحجاز بأسفل «ثنية الممر» فلقي بها جمعًا عظيمًا من قُرَيْش، فلم يكن بينهم قتال، إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم، فكان أول سهم رمى به في الإسلام. ثم انصرف القوم عن القوم، وللمسلمين حامية.

وفرّ من المشركين إلى المسلمين «المقداد بن عمرو البهْراني»، حليف

(١) كانت ضمن السرايا التي سبقت غزوة «بدر الكبرى».

بنى زهرة، و«عتبة بن غزوان بن جابر المازني» حليف بنى نوفل بن عبد مناف، وكانا مسلمين، ولكنهما خرّجا ليتوصّلا بالكفار. وكان على القوم «عكرمة بن أبي جهل»^(١).

استشهاده:

فى بداية غزوة «بدر» خرج ثلاثة من خيرة فرسان قريش، كانوا من عائلة واحدة وهم:

«عتبة» وأخوه «شيبه» ابنا ربيعة، و«الوليد بن عتبة» فلما انفصلوا عن الصف طلبوا المبارزة، فخرج إليهم من شباب الأنصار، «عوف» و«معوذ» ابنا الحارث، وأمهما عفراء، و«عبد الله بن رواحة»، فقالوا: «من أنتم؟».

قالوا: رهط من الأنصار.

قالوا: أكفاء كرام، ما لنا بكم حاجة، وإنما نريد بنى عمنا.

ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا.

فقال رسول الله - ﷺ -: «قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة، وقم يا على».

فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا:

«من أنتم؟».

فأخبروهم.

فقالوا: أنتم أكفاء كرام.

فبارز عبيدة - وكان أسن القوم - الوليد.

وبارز «حمزة» «عتبة».

وبارز «على» «شيبه»^(٢).

(١) قبل إسلامه. راجع السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٩٦، ١٩٧).

(٢) انظر: صحيح سنن أبي داود برقم (٢٣٢١).

فأما حمزة وعليّ، فلم يمهلا قرينهما أن قتلاههما.

وأما عبيدة فاختلف بينه وبين قرنه ضربتان، فأثخن كلُّ واحد منهما صاحبه، ثم كرّ عليّ وحمزة عليّ «الوليد» فقتلاه واحتملا «عبيدة» وقد قُطعت رجله، فجاءوا به إلى رسول الله - ﷺ - فأفرشه الرسول - ﷺ - قدمه فوضع خده عليّ قدمه الشريف.

فلم يزل صمّتا حتى مات «بالصفراء»^(١) بعد أربعة أو خمسة أيام من وقعة بدر، حينما كان المسلمون في طريقهم إلى المدينة، فدفنه رسول الله - ﷺ - هناك^(٢).

وكانت وفاته -رضى الله تعالى عنه- في العشر الأخير من رمضان سنة «اثنتين».

وقد قيل في رثاء «عبيدة»:

لقد ضمن الصفراء مجداً وسؤدداً
عبيدة فابكيه لأضياف غربة
وحلماً أصيلاً وافر اللب والعقل
وأرملة تهوى لأشعث كالجذل
-رضى الله تعالى عن عبيدة بن الحارث-

(١) الصفراء: قرية كثيرة النخل والمزارع، وماؤها عيون. وهي فوق ينبع مِمَّا يلي المدينة.

وماؤها يجري إلى ينبع.

(٢) إسناد حسن: أخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي. وقال الشيخ الألباني: سنده

حسن (فقه السيرة ص ٢٤٣).

[٣٥] أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ

«الصحابي الذي استمعت الملائكة لتلاوته!!»

ولا تزال نعم الله تعالى تترى على أصحاب النبي - ﷺ - . . رجل يقرأ القرآن على ظهر الأرض . . فتهبط ملائكة السماء عليه وتدنو لتستمع لقراءته!! .

يا للعجب . . ويا للفضل العظيم . . فيا ترى من هذا الصحابي الجليل الذي نال هذا التكريم؟

إنه: أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ بْنِ سَمَّاكِ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ، أَبُو يَحْيَى الْأَوْسِيُّ . أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة .

أسلم قديماً على يد «مصعب بن عمير» . وكان أبوه شريفاً مطاعاً يُدعى «حُضَيْرِ الْكُتَّابِ» .

وكان أسيد بعد أبيه شريفاً في قومه، يُعَدُّ من ذوى العقول والآراء، وكان يكتب بالعربية، ويحسن العوم والرمي، وكان في الجاهلية يُسمون من جمع فيه هذه الخصال «الكامل» .

فضائله:

تبوأ «أسيد بن حضير» مكاناً علياً بين أصحاب الرسول - ﷺ - . . فزِين صحائف أعماله بالطيبات الصالحات . . وبأعمال الخير . . وخصال البر . . وزين صفحات التاريخ بخصاله المحمودة . . ومناقبه المشهورة .

● عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال:

قال رسول الله - ﷺ - : «نعم الرجل أبو بكر . نعم الرجل عمر . نعم الرجل أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ» أخرجه الترمذى، وقال الذهبي: إسناده جيد .

● وعن عائشة - رضي الله عنها -، قالت:

«ثلاثة من الأنصار من بني عبد الأشهل لم يكن أحد يعتد عليهم فضلاً بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

«سعد بن معاذ، وأسيد بن حُضير، وعباد بن بشر - رضي الله عنهم -».

تعبده:

روى البخارى فى «صحيحه» عن محمد بن إبراهيم عن أسيد بن حُضير - رضي الله عنه - قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة - وفرسه مربوطة عنده - إذ جالت الفرس، فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف، وكان ابنه «يحيى» قريباً منها - فأشفق أن تصيبه، فلما أخذ رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال: «اقرأ يا بن حُضير».

قال: قد أشفقتُ يا رسول الله على «يحيى» وكان منها قريباً فرفعتُ رأسى وانصرفت إليه فرفعتُ رأسى إلى السماء فإذا مثل الظلَّةَ فيها أمثال المصابيح فخرجتُ حتى لا أراها.

قال: «وتدرى ما ذاك؟».

قال: لا.

قال: «تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم!!».

وهذه منقبة عظيمة لأسيد - رضي الله عنه -.

أسيد يمزح مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - !!:

كان فى أسيد - رضي الله عنه - مزاحٌ وطيب أخلاق.

فعن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن أسيد بن حُضير - وكان فيه مزاح -

أنه كان عند النبي ﷺ - قطعته النبي ﷺ - بعدد كان معه، فقال: أصبرني (١).

فقال - ﷺ -: «اصطبر» (٢).

قال: إن عليك قميصاً وليس علي قميص!!.

قال: فكشف النبي ﷺ - قميصه!!، قال:

فجعل يقبل كشحه ويقول:

«إنما أردتُ هذا يا رسول الله» (٣).

كرامة:

من صفة أولياء الله تعالى أن ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (٤).

لأنهم ﴿آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

والبدايات تحكى النهايات . . ومن البشرى فى الحياة الدنيا . . أن الله تعالى أجرى على أيديهم بعض الكرامات . . والإمام البخارى يروى لنا فى «صحيحه» كرامة أجراها الله تعالى على يدى أسيد بن حَضِير - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - !.

فعن أنس، قال:

«كان أسيد بن حَضِير وعباد بن بشر عند رسول الله - ﷺ - فى ليلة مظلمة حُندس، فتحدثا عنده حتى إذا خرجا أضاءت لهما عصا، فمشيا فى ضوئها، فلما تفرق بهما الطريق أضاءت لكل واحد منهما عصاه، فمشى فى ضوئها!!».

(١) يريد القصاص من رسول الله - ﷺ - !! . وأصبرني: أقدنى .

(٢) اصطبر: استقد .

(٣) إسناده قوى: أخرجه أبو داود (٥٢٢٤) فى «الأدب» باب فى قبلة الجسد، وصححه الحاكم (٣/٣٨٨) ووافقه الذهبى .

(٤) سورة يونس: ٦٤ .

وهذه منقبة عظيمة أخرى تضاف لسابقتها والله على كل شيء قدير .

جهاده:

لم يشهد أسيد - رضي الله عنه - بدرًا، وندم على تخلفه وقال:

«ظننتُ أنها العير، لو ظننت أنه غزو ما تخلفت» .

وشهد أحدًا وثبت يومئذ مع رسول الله - صلى الله عليه - وجرح بسبع جراحات،
وشهد الخندق والمشاهد بعده .

وفاته - رضي الله عنه :-

فى سنة «عشرين» . . انتقل المجاهد الأواب «أسيد بن حُضَيْر» إلى جوار
مولاه . . وفزع الناس بنبأ موته . . واجتمعوا لتشييع جنازته . . ولما خرج
نعشُه . . إذا بأمرير المؤمنين «عمر بن الخطاب» يخترق الصفوف . . ويحمل
النَّعش بنفسه حتى وضعه بالبقيع!! ثم صَلَّى عليه .

وفى حضن «البقيع» يرقد الجسد الطاهر . . لتبقى أعماله . . تبصرة
وذكرى للعابدين .

-رضى الله عن «أسيد بن حُضَيْر» وأرضاه- .

[٣٦] عبد الله بن سهيل بن عمرو

«الشاب القدوة»

من السابقين الأولين من المهاجرين.. هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى..

وقال ابن الجوزي: هاجر إلى الحبشة «الهجرة الثانية» فلماً قدم «مكة» أخذه أبوه^(١) فأوثقه.. وعذبه وفتنه، ولم يكن أبوه قد أسلم بعد.

وكانت له «قصة» يوم «بدر».

قال ابن سعد:

قال محمد بن عمر بن عطاء:

خرج عبد الله بن سهيل إلى نفي «بدر» مع المشركين، مع أبيه سهيل: ولا يشك أبوه أنه قد رجع إلى دينه.

فلماً التقوا انحاز «عبد الله» إلى المسلمين حتى جاء رسول الله - ﷺ - قبل القتال، فشهد بدرًا مسلمًا وهو ابن «سبع وعشرين» فغاض ذلك أباه غيظًا شديدًا.

قال: «عبد الله» فجعل الله لى وله فى ذلك خيرًا كثيرًا.

قال ابن سعد:

«وشهد عبد الله أحدًا والخنزق والمشاهد كلها وقتل باليمامة شهيدًا وهو ابن «ثمان وثلاثين سنة».

أسلم أبوه «سهيل» يوم الفتح - كما ستأتى ترجمته -.

(١) انظر ترجمة أبيه «سهيل بن عمرو» شخصية رقم «٥٥» من هذا الكتاب.

ولمّا حَجَّ أبو بكر في خلافته أتاه سهيل بن عمرو فعزّاه أبو بكر بعبد الله .

فقال سهيل: لقد بلغني أن رسول الله - ﷺ - قال: «يشفع الشهيد لسبعين من أهله»^(١). فأنا أرجو أن لا يبدأ ابني بأحد قبلي!! .

إن عبد الله بن سهيل وإخوانه أحد نماذج الفخر لأمتنا . وإن كان الموت حصدهم . . فإنهم قد زرعوها به الحياة! .

وهكذا الجندي المسلم دائماً . . ومن ثم . . كان سلاحاً من أسلحة القدر يعذب الله بيديه من طغى . . ثم يكون في حياته وبعد مماته رحمة وموعظة لمن اهتدى .

وهو نموذج للشباب القادر دائماً على نصر الإسلام والتمكين لأهله واليوم . . تتراعى الأنباء^(٢) مؤكدة قدرة الإسلام على تحقيق النصر . . ومع هذه الحقائق الناصعة . . فما زال المستشرقون الأوربيون كما يقول الشيخ «الغزالي»:

«ينظرون إلى سرايا الإسلام كأنها ضرب من قطع الطريق . . وهذه النظرة صورة للحقد الذي يُعمى عن الحقائق . ويتيح للهوى أن يتكلم ويحكم كيف يشاء» .

والله غالب على أمره .

(١) أخرجه أبو داود . وقد تقدم .

(٢) كما يحدث الآن في «الشيشان» .

[٣٧] جَلِيْبِيْب

«ذو المَعَدَن الصَّادِق»

البطولة الحقيقية . . قد تكون منا على مَرْمَى حَجَرٍ . . بل بين أيدينا . .
ولكننا لا نكتشفها . . لأنها في كيان رجل مغمور . . مثل «جلييب» - رضي الله عنه - .
وإذا كانوا في «العرب» يعمدون إلى «مثلة» داعرة . . فينظمون باسمها
نشيداً . . ويجعلون من يوم ميلادها عيداً . . بل ويعرضون عليها مئات الملايين
لتسمح بلصق صورتها على طائرة .
إذا كانوا يفعلون ذلك . . فما أحرانا أن نحفظ للبطولة بحقتها . . في
البحث عنها . . ثم استثمارها لحساب الحق .

وإذا كان من زعماء الدنيا من هو مشغول بمجده الشخصي . . بالسطو
على حق الآخرين في الكرامة التي ينهبها ليضيفها إلى حسابه ظلماً
وعدواناً . . ولو بقي الآخرون عرايا .
إذا كان من الزعماء من هم كذلك . . فقد كان رسولنا - صلى الله عليه وآله - طرازاً
آخر: يعيش مع الضعفاء .

يعيش معهم لا بمشاعر الإشفاق عليهم فقط . . وإنما بمشاعر التقدير التي
تفجر في قلوبهم معاني البطولة والوفاء .

قال - صلى الله عليه وآله - : «ابغوني في ضعفائكم: فإنما ترزقون وتنصرون
بضعفائكم» رواه الترمذى وغيره .

وهكذا . . لا ينزل الزعيم مع الصفوة هناك . . في غرفة العمليات . .
وإنما هو مع البسطاء الذين يذكرون الله تعالى . . والذين تعمّر قلوبهم بالخامة
التي تطلب الزعيم الحق . . ليكتشفها . . ثم يطلقها تسرى في مرافق الأمة
عملاً وابتكاراً وانتصاراً^(١) .

(١) شبابنا بين العلم الجامد والعلم الناقص (١٦٨ ، ١٦٩) .

هذا مدخل «هام» للحديث عن ضيف هذه الصفحات «جلييب» -رضي الله عنه - فلقد كان «جلييب» دميم الوجه.. قصير القامة.. رث الهيئة والثياب.. لا يملك من متاع الدنيا أى شىء!!.

إلا أنه كان يحمل بين جوانحه.. وفى حنايا صدره.. إيماناً أثقل من الجبال.. وهذا هو المراد.

فكم من بدن صحيح.. ووجه صحيح.. ولسان فصيح غداً بين أطباق النيران يصيح!!.

فما هي قصته؟:

يحكى لنا «أبو برزة الأسلمى» قصة جلييب -رضي الله عنه -، فيقول:
«إن جلييباً كان امرأً من الأنصار، وكان أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم - إذا كان لأحدهم «أيم» لم يزوجها حتى يعلم النبي -صلى الله عليه وسلم -: هل له فيها حاجة أم لا؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم - ذات يوم لرجل من الأنصار: «يا فلان زوجني ابنتك».

قال: نعم، ونعمة عين.

قال: «إني لست أريدها لنفسي».

قال: لمن؟

قال: «جلييب».

قال: يا رسول الله حتى أستأمر أمها.

فأتاها فقال: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - يخطب ابنتك.

قالت: نعم، ونعمة عين، زوج رسول الله.

قال: إنه ليس لنفسه يريدها.

قالت: فلمن؟

قال: جلييب.

قالت: أجلييب؟ لا لعمر الله لا أزوج جلييباً.

فلما قام أبوها ليأتي النبي - ﷺ - قالت الفتاة من خدرها لأبويها: من خطبني إليكما؟

قالا: رسول الله - ﷺ - .

قالت: أفتردون على رسول الله - ﷺ - أمره؟ ادفعوني إلى رسول الله فإنه لن يضيعني .

فذهب أبوها إلى النبي - ﷺ - فقال: شأنك بها، فزوجها جليبيبا .

قال إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة لثابت:

أتدرى ما دعا لها به النبي - ﷺ -؟

قال: وما دعا لها به النبي - ﷺ -؟

قال: «اللهم صبّ عليها الخير صباً ولا تجعل عيشها كدّاً» .

قال ثابت: فزوجها إياه، فبينما رسول الله - ﷺ - في مغزى له قال:

«هل تفقدون من أحد؟» .

قالوا: نفقد فلاناً ونفقد فلاناً .

ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟» .

قالوا: نفقد فلاناً وفلاناً .

ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟» .

قالوا: لا .

قال: «ولكني أفقد جليبيبا فاطلبوه في القتلى» .

فنظروا فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه .

فقال رسول الله - ﷺ - : «هذا مني وأنا منه، أقتل سبعة ثم قتلوه؟ هذا

مني وأنا منه، أقتل سبعة ثم قتلوه؟ هذا مني وأنا منه» .

فوضعه رسول الله - ﷺ - على ساعديه ثم حفروا له، ما له سرير إلا

ساعدي رسول الله - ﷺ - ، حتى وضعه في قبره .

قال ثابت: فما فى الأنصار أيم أنفق منها .

وفى رواية للبخارى: «فكأنما حلت عن أبويها عقلاً» .

يقول الدكتور/ محمود عمارة -معلقاً على القصة-:

«لقد بدا «جلييب» بمقياس العرف الاجتماعى السائد . . مسلاة ملهاة . .

بهذا القصير . . الدميم .

ولكن القيادة المؤمنة تستشعر من بعد ما وراء هذه القشرة المانعة . . وإذا يحاسبه مجتمعه على دمامته وقصره . . فالحساب ظالم لأنه أدانه بشيء لم يُستشَر فيه . . ولكن الحساب العادل . . ما يكون على شيء يدخل فى اختياره . . وهو ما سوف يسفر عنه الغد القريب وعندما يلتقى الجمعان .

وإذا يستشعر - ﷺ - ما فى قلب «جلييب» من عناصر الخير . . فإنه يستشعر فى نفس اللحظة حقه فى أن يعيش . . رب أسرة مكرماً . . من أجل ذلك يدخل طرفاً فى قضية زواجه . . لكن والد البنت وأمها محجوبان معاً عن رؤية ما فى باطن «العروس» من جنات وعيون . . من مكرمات دلّ عليها اختياره - ﷺ - لها . . لتكون له شريك حياة . . ورفيقة عمر .

ولكن المكرمات قليلة العشاق .

فقد رغب أبواها . . عنه . . وهو منعطف خطير وضع البنت فى مأزق تناوشها فيه عوامل من برها لهما . . ثم ما يفرضه الإسلام من اتباعها رسول الله - ﷺ - . . ولكنها لم تتردد طويلاً . . وآثرت أمر رسول الله - ﷺ - .

[لقد] علّمت الفتاة مجتمعها درساً لا ينساه .

لقد نسى المجتمع أن «جلييب» شاب فى قلبه بذرة التوحيد . .

وإذا بدا للناس معرى من الأوراق فى فصل الخريف . . وإذا كان مغموراً مقهوراً مدفوعاً بالأبواب . . فإن ذلك لا يخفى حقيقة صلاحيته ليكون قيادياً متى وجد العقل الذكى الذى يكتشفه . . والمجال الحيوى الذى يبرز مواهبه . .

وصدقت نبوءته - ﷺ - . وهو المؤيد بالوحي الأعلى : وما هو ذا الإيمان يعلن عن نفسه فى شخص «جلييب» الذى كان بالأمس مسلاة ملهأة! .

ها هو ذا ينقض كالصقر على صفوف المشركين فيقتل منهم سبعة!! وإذا كان قد قُتل . . فإنه يعلم الأمة كيف يضحى المسلم بروحه . . لتبقى الأمة عزيزة الجانب مرهوبة القوة . . ما دامت باذلة أموالها وأنفسها . .

سيبقى «جلييب» الذى فاجأ الأمة بحقيقته . . سيبقى عنوان الإيمان وما يمكن أن يفعله فى الواقع . . مؤكداً غفلة الأمة الإسلامية على مدار التاريخ عن مواهب كثيرة تغيب . . ولا يحاول أحد اكتشافها . . وهو يطالبها اليوم أن تفهم دور الإيمان بالله تعالى فى العودة بالأمة إلى سالف مجدها . . لتعتصم به فى معترك المذاهب . . وليكون أساس التربية . . وطوق النجاة . . حتى لا تتسول نظرية التربية . . ونحن بالإيمان أغنياء .

فلنفهم الدرس:

إننا مدعوون إلى البحث عن المواهب المطمورة فى زحمة الناس . . فما أكثر أمثال «جلييب» فينا . . فلنح القشرة البادية . . فقد يكون وراء الأكمة «أسود» . . لقد كان «جلييب» قصير القامة - لكنه أطل رقبة المسلمين . .

وكان دميم الخلق . . لكنه جَمَل وجه تاريخنا بإكليل النصر . . وكان نكرة فصار بانتمائهِ إلى دوحه النبوة . . من الخالدين . . ولقد انعكس من هذا الشرف قبس على زوجته الوفية . . فعاشت من بعده . . غنيّة . . أبيّة . . وهى من ذكراه فى قرار مكين .

ولئن سكت التاريخ لعن جلييب فلم يفسح له فى صفحاته مكاناً بارزاً فإن أمتنا جعلت من قلوبها مكاناً علياً . . يقتعده . .

ولئن لم تستمتع به زوجته كما استمتعت زميلات لها بأزواجهن . . فيكفيها شرفاً أنها أطاعت رسول الله - ﷺ - منحة رغائب نفسها كأنثى .

ويكفى أنها صارت . . زوجة البطل! وإلى الأبد»^(١) .

(١) شبابنا بين العلم الجامد والعلم الناقص «بتصرف» .

[٣٨] مُعَاوِيَةُ بْنُ حُدَيْجِ السَّكُونِيِّ

«قائد الكتائب»

من هو؟:

هو: معاوية بن حُديج بن جفنة بن قتيبة، الأمير، قائد الكتائب، أبو نعيم، وأبو عبد الرحمن الكندي ثم السكوني.

كان -رضي الله تعالى عنه- ملكًا مطاعًا من أشرف «كندة». له صحبة، ورواية قليلة عن النبي ﷺ.

ولى إمرة مصر لمعاوية بن أبي سفيان، وغزوَ المغرب، وشهد وقعة اليرموك.

وكانت نشأته -رضي الله تعالى عنه- فى «اليمن» حيث تقيم قبيلته «كندة».

إسلامه:

وفد على رسول الله ﷺ - عام الوفود - على الراجح - فأسلم وحسن إسلامه.

جهاده:

ولما تُوفّي الرسول ﷺ - وارتدت بعض القبائل عن الإسلام ثبتت قبيلته «كندة» على الإسلام. ثم تحركت من اليمن إلى المدينة ليجاهدوا المرتدين تحت ألوية القيادة التى عقدها «أبو بكر الصديق».

جهاده يوم اليرموك:

فى خضم المعارك التى دارت رحاها بين المسلمين والأعداء تجلّت عبقرية

«معاوية بن حُديج» وظهر نجمة في سماء الأبطال.. وأبلى يوم «اليرموك» بلاءً حسناً وأهله قدراته وملكاته ليصبح أميراً للكتائب المجاهدة بعد ذلك.

جهاده في «فتح مصر»:

لما تحركت الكتائب المجاهدة بقيادة «عمرو بن العاص» - رضي الله عنه - لفتح «مصر» وذلك في عهد «عمر بن الخطاب» - رضي الله عنه -.

كان «معاوية بن حُديج» مع الكتائب الزاحفة.. ولما نشب القتال بين المسلمين والرومان سطر «معاوية» آيات الجهاد.. ولما فُتحت الإسكندرية وظهرت من رجس الرومان.. انتدب «عمرو» «معاوية بن حُديج» ليكون رسوله إلى أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» ليبشره بهذا الفتح العظيم.
يقول «معاوية بن حُديج» - رضي الله عنه -.

بعثني عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب بفتح «الإسكندرية» فقدمتُ «المدينة» في الظهيرة، فأنختُ راحتي بباب المسجد، فبينما أنا قاعد فيه إذ خرَّجتُ جارية من منزل «عمر بن الخطاب» فرأنتني شاحباً، على ثياب السفر، فأتتني وقالت:

من أنت؟

قلت: أنا معاوية بن حديج رسول عمرو بن العاص.

فانصرفت عني، ثم أقبلت تشدد - أي تسرع - أسمع حفيف إزارها على ساقها، حتى دنت مني.

فقلت: قم فأجب أمير المؤمنين يدعوك.

فتبعتها، فلما دخلتُ فإذا بعمر بن الخطاب يتناول رداءه بإحدى يديه ويشدُّ إزاره بالأخرى.

فقال: «ما عندك؟».

قلت: خير يا أمير المؤمنين.. فتح الله الإسكندرية.

فخرج معى إلى «المسجد» فقال للمؤذن: أذّن فى الناس «الصلاة جامعة».

فاجتمع الناس، ثم قال لى: قم فأخبر أصحابك. ففقت فأخبرتهم، ثم صلى ودخل منزله واستقبل القبلة، فدعا بدعوات ثم جلس، فقال: يا جارية! «هل من طعام؟».

فأتت بخبز وزيت!!.

فقال: «كل». فأكلت على حياء. ثم قال:

«يا جارية! هل من تمر؟».

فأتت بتمر فى طبق.

فقال: «كل».

فأكلت على حياء...

ثم قال: ماذا قلت يا معاوية حين أتيت المسجد؟

فقلت: قلت أمير المؤمنين قائل (١)!!.

فقال: «لبئس ما قلت» أو «بئس ما ظننت» إن نمت النهار لأضيّع الرعية، وإن نمت الليل لأضيّع نفسى فكيف بالنوم مع هذين يا معاوية؟».

فتح «بنزرت»:

فى عهد «عثمان بن عفان» - رضي الله عنه - . . وبالتحديد فى سنة (٤١هـ) تولى «معاوية بن حديج» إمرة بعض الجيوش الفاتحة للشمال الإفريقى، واستطاع من خلال حملته على «تونس» فتح «بنزرت» (٢) ويعدُّ هذا من أشهر أعماله - رضي الله عنه - .

ومما تجدر الإشارة إليه أن «معاوية بن حديج» - رضي الله عنه - . قام بعدة حملات آخر فى الشمال الإفريقى استطاع من خلالها بسط نفوذه على أماكن

(١) أى نام وسط النهار.

(٢) «بنزرت»: ميناء بحرى، يعرف باسم «خليج بنزرت».

كثيرة مثل «سوسة» و«القرن» وبنى مساكن كثيرة وبيوتاً، واحتفر آباراً، وأقام هناك مدة.

ثناء السيدة عائشة عليه:

فى سنه (٤٤هـ) ولى «معاوية بن أبى سفيان» «معاوية بن حديج» على «مصر» فقام فى الرعية «بالقسط» وكان نعم الوالى .

عن عبد الرحمن بن شاسة، قال:

دخلتُ على عائشة - رضي الله عنها - فقالت:

«ممن أنت؟» .

قلتُ: من أهل مصر .

قالت: «كيف وجدتم ابن حديج فى غزاتكم هذه؟» .

قلت: خير أمير، ما يقفُ لرجل منّا فرس، ولا بعير، إلا أبدل مكانه بعيراً، ولا غلام، إلا أبدل مكانه غلاماً .

قالت: إنه لا يمنعنى قتله أخى^(١) أن أحدثكم ما سمعتُ من رسول الله

- صلى الله عليه -، إني سمعته يقول:

«اللهم من ولى من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فارفق به، ومن شق عليهم

فاشقق عليه» رواه مسلم .

وفاته - رضي الله عنه -:

مكث «معاوية بن حديج» والياً على «مصر» ما يقرب من سبع سنوات

وفى سنة (٥١هـ) عزله «معاوية بن أبى سفيان» .

فلم يمكث بعد عزله طويلاً فأدركته المنية سنة (٥٢هـ) ودفن بأرض

مصر - رضي الله عنه - .

(١) كان معاوية بن حديج قد قتل «محمد بن أبى بكر» فى الصراع السياسى الذى دار بعد قتل «عثمان بن عفان» - رضي الله عنه - . . ولم يكن على السلطة كما يهرف البعض ولكنه كان على تأويل . . وعلى كلِّ «فصيلنا الكف والاستغفار للصحابة، ولا نحب ما شجر بينهم» «سير أعلام النبلاء» (٣/٣٩) .

[٣٩] سلمة بن الأكوع

«خير فرساننا أبو قتادة، وخير رجالتنا سلمة» حديث شريف

هو: سلمة بن عمرو بن الأكوع، واسم الأكوع: سنان بن عبد الله، أبو عامر وأبو مسلم. ويقال: أبو إياس الأسلمي الحجازي المدني. قيل: شهد «مؤتة»، وهو من أهل بيعة الرضوان.

فضائله:

● عن إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه، قال:
«أردفني رسول الله - ﷺ - مراراً، ومسح على وجهي مراراً، واستغفر لي مراراً عدد ما في يدي من الأصابع» (١).

● وعن زياد بن ميناء، قال:

«كان ابن عباس، وأبو هريرة، وجابر، ورافع بن خديج، وسلمة بن الأكوع مع أشباه لهم يفتون بالمدينة، ويحدثون من لدن توفى عثمان إلى أن توفوا».

جهاده في سبيل الله:

يحدثنا سلمة بن الأكوع - رضيه - عن جهاده، فيقول:

«بايعت رسول الله - ﷺ - على الموت، وغزوت معه سبع غزوات».

وفي «الصحيحين» وغيرهما عن يزيد بن أبي عبيد قال:

قلت لسلمة: على أي شيء بايعتم رسول الله يوم الحديبية؟

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير علي بن يزيد بن أبي حكيمة، وهو ثقة. المجمع رقم (١٥٩٦٠).

قال: على الموت.

وفى «الصحيحين» -أيضاً- من طريق يزيد بن أبي عبيد قال:

سمعت سلمة يقول:

غزوت مع النبي ﷺ - سبع غزوات، فذكر «خير» و«الحديبية» و«يوم حنين» و«يوم القرد»، قال يزيد: ونسيت بقيتها.

● وعن سلمة بن الأكوع -رضي الله عنه-، قال:

«بيتنا «هوازن»، مع أبي بكر الصديق، فقتلتُ بيدي ليلتئذٍ سبعة أهل أبيات». أخرجه أحمد، وإسناده حسن.

غزوة «ذى قرد»^(١):

لما قدم النبي ﷺ - من غزوة «بنى لحيان» لم يبق بالمدينة إلا ليالي قلائل، حتى أغار «عبد الرحمن بن عيينة»^(٢) في خيل من غطفان، على لقاح^(٣) لرسول الله ﷺ - بالغابة^(٤)، وفيها رجل من بنى غفار وامرأة له^(٥)، فقتلوا الرجل، واحتملوا المرأة في اللقاح.

فماذا حدث؟:

يقصّ علينا «سلمة بن الأكوع» قصة إغارة عبد الرحمن بن عيينة وردّ فعل النبي ﷺ - ودوره - رضي الله عنه - في الأحداث التي جرت فيقول:

«قدمنا المدينة زمن الحديبية مع رسول الله ﷺ -؛ فخرجتُ أنا ورباح غلام النبي ﷺ - وخرجت بفرسٍ لطلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه - أريد أن أنديه^(٦) مع الإبل.

(١) ذو قرد: ماء على نحو بريد من المدينة مما يلي بلاد غطفان، وقيل على مسافة يوم منها.

(٢) قيل: الذي غار هو: «عيينة بن حصن الفزاري» «ابن هشام ٣/٢٥٤».

(٣) اللقاح: الإبل الحوامل ذوات الألبان.

(٤) الغابة: موضع قرب المدينة من ناحية الشام فيه أموال لأهل المدينة.

(٥) قال ابن سعد في «الطبقات»: إن هذا الرجل الغفاري هو ابن أبي ذر واسم امرأته «ليلى».

(٦) أنديه: التندية: أن تورد الإبل والخيل فتشرب ثم ترعى ثم تشرب.

فلما كان بغلس أغار «عبد الرحمن بن عيينة» على إبل رسول الله ﷺ - ، فقتل راعيها؛ وخرج يطردها هو وأناس معه في خيل .

فقلتُ: يا رباح اقعد على هذا الفرس ، فألقه بطلحة وأخبر رسول الله ﷺ - أنه قد أغير على سرحه .

قال : وقمتُ على قل^(١) فجعلتُ وجهي من قبل المدينة ، ثم ناديتُ - ثلاث مرات - يا صباحاه قال : ثم اتبعتُ القوم معي سيفي ونبلي ، فجعلتُ أرميهم وأعقر بهم^(٢) ، وذلك حين يكثر الشجر؛ فإذا رجع إلى فارس جلستُ له في أصل شجرة ثم رميتُ ، فلا يقبل إلى فارس إلا عقرتُ به ، فجعلتُ أرميهم وأنا أقول :

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع^(٣)

قال : فألق برجل منهم فأرميه وهو على راحلة ، فيقع سهمي في الرجل حتى أنتظم كتفه^(٤) فقلت :

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

فإذا كنتُ في الشجر أحرقتهم بالنبل ، فإذا تضايقت الثنايا^(٥) علوت الجبل فرديتهم بالحجارة!! فما زال ذلك شأنى وشأنهم أتبعتهم ، وأرتجز حتى ما خلق الله شيئاً من ظهر^(٦) رسول الله ﷺ - إلا خلفته وراء ظهري فاستنقذته من أيديهم ، ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحاً وأكثر من ثلاثين بردة يستخفون منها ، ولا يلقون من ذلك شيئاً إلا جعلتُ عليه حجارة ، وجمعته على طريق رسول الله ﷺ - حتى إذا امتد الضحى

(١) قل : رأس الجبل .

(٢) أعقر بهم : أقتل ركوبهم .

(٣) الرضع : جمع راضع أى : خذ الرمية منى واليوم يوم هلاك اللثام .

(٤) أنتظم كتفه : أصيبه .

(٥) الثنايا : جمع ثنية وهى العقبة أو الطريق فى الجبل .

(٦) ظهر رسول الله : ما يملكه من إبل - ﷺ - ومنها حديث : «من كان عنده فضل ظهر فليعد

به على من لا ظهر له» .

أتاهم «عبينة بن بدر الفزاري» مدداً لهم وهم في ثنية ضيقة، ثم علوتُ الجبل فأنا فوقهم.

فقال عبينة: ما هذا الذي أرى؟

قالوا: لقينا من هذا البرح^(١)!! ما فارقنا بسحر حتى الآن وأخذ كل شيء بأيدينا وجعله وراء ظهره.

فقال عبينة: لولا أن هذا يرى أن وراءه طلباً لقد ترككم، ليقيم إليه نفر منكم.

فصعد إلى أربعة، فلما أسمعتهم الصوت، قلتُ: أتعرفوني؟

قالوا: ومن أنت؟

قلتُ: أنا ابنُ الأكوح. والذي أكرم وجهه محمد - ﷺ - لا يطلبني رجل منكم فيدركني، ولا أطلبه فيفوتني.

فقال رجل منهم: إني أظنُّ.

فما برحتُ ثمَّ، حتى نظرتُ إلى فوارس رسول الله - ﷺ - يتخللون الشجر^(٢) وإذا أولهم «الأخرمُ الأسدي» و«أبو قتادة» و«المقداد»؛ فولِّي المشركون. فانزل، فأخذتُ بعنان فرس الأخرم، لا آمنُ أن يقطعوك، فاتتد حتى يلحقك المسلمون.

فقال: يا سلمة! إن كنتَ تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلمُ أن الجنة حقُّ والنار حقُّ، فلا تحلُ بيني وبين الشهادة، فخليتُ عنان فرسه، ولحق بعبد الرحمن بن عيينه، فاختلفا طعنتين، فعقر الأخرم بعبد الرحمن فرسه، ثم قتله عبدُ الرحمن، وتحوَّل عبدُ الرحمن على فرس الأخرم، فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن، فاختلفا طعنتين فعقر بأبي قتادة، فقتله أبو قتادة، وتحوَّل على فرسه.

(١) البرح: جمع البرحاء: الشدة.
يتخللون الشجر: يظهرون من خلال الشجر.

وخرجتُ أعدو في أثر القوم حتى ما أرى من غبار أصحابنا شيئاً، ويعرضون قبيل المغيب إلى شعب فيه ماء يقال له «ذو قرد»، فأبصروني أعدو وراءهم، فعطفوا عنه، وأسندوا في الثنية، وغربت الشمس، فألحق رجلاً، فأرميه، فقلت:

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

فقال: يا ثكل أمي أكوعي بكرة؟

قلت: نعم يا عدو نفسه. وكان الذي رميته بكرة، فأتبعته سهماً آخر، فعلق به سهمان. ويخلفون فرسين، فسقتهما إلى رسول الله - ﷺ - وهو على الماء الذي حليتهم (١) عنه - «ذو قرد» - وهو في خمسمائة، وإذا بلال نحر جزوراً مما خلفت، فهو يشوى لرسول الله - ﷺ -.

فقلت: يا رسول الله! خلني فانتخب من أصحابك مائة، فأخذ عليهم بالعشوة، فلا يبقى منهم مخبر.

قال: «أكنت فاعلاً يا سلمة؟».

قلت: نعم.

فضحك حتى رأيت نواجذه في ضوء النار. ثم قال:

«إنهم يقرؤون الآن بأرض غطفان».

قال: فجاء رجل، فأخبر أنهم مروا على فلان الغطفاني، فنحر لهم جزوراً، فلما أخذوا يكشطون جلدها، رأوا غبرة، فهربوا.

فلما أصبحنا، قال رسول الله - ﷺ -:

«خير فرساننا أبو قتادة، وخير رجالتنا سلمة» وأعطاني سهم الرجل والفارس جميعاً.

ثم أردفني وراءه على «العصباء» راجعين إلى المدينة.

(١) حليتهم: أي صددتهم عنه، ومنعتهم من وروده.

فلما كان بيننا وبينها قريباً من ضحوة، وفي القوم رجلٌ كان لا يُسَبِّقُ جعل ينادى:

ألا رجلٌ يُسابقُ إلى المدينة؟ فأعاد ذلك مراراً.

فقلتُ: ما تُكْرِمُ كريماً ولا تهابُ شريفاً؟

قال: لا، إلا رسول الله - ﷺ -.

فقلتُ: يا رسول الله بأبي وأمي، خلّني أسابقه.

قال: «إن شئت».

وقلتُ: امض.

وصبرتُ عليه شرفاً أو شرفين حتى استبقيتُ نفسي، ثم إنى عدوّتُ حتى ألحقه، فأصكُّ بين كتفيه، وقلتُ: سبقتُك والله، أو كلمةً نحوها، فضحك، وقال:

إن أظنُّ، حتى قدمنا المدينة». أخرجهُ مسلم مطولاً.

وفاته:

طالت الحياة بـ «سلمة» - رضي الله عنه - وكفّ بصره في أواخر حياته.

فعن عبادة بن الوليد أن الحسن بن محمد الحنفية، قال:

«أذهبُ بنا إلى «سلمة بن الكوع»، فلنسأله، فإنه من صالحى أصحاب

النبي - ﷺ - القُدَم، فخرجنا نريده، فلقينا يقوده قائده. وكان قد كُفَّ بصره».

ولمّا قُتل «عثمان بن عفان» - رضي الله عنه -، خرج «سلمة» إلى «الربذة» - في

المكان الذى سكن فيه أبو ذر الغفارى من قبل - وتزوج هناك امرأة، فولدت له أولاداً.

فعن عبد الرحمن بن رزين، قال:

[٤٠] تَمِيمُ الدَّارِيُّ

«الوليُّ الواعظُ»

صاحبُ رسولِ الله - ﷺ -، أبو رقيّة، تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة اللخمي، الفلسطيني.

وفد - ﷺ - سنة تسع على رسول الله - ﷺ - فأسلم. وكان عابداً، تلاءً لكتاب الله.

قال ابن سيرين: جمع القرآن على عهد رسول الله - ﷺ -: أبي، وعثمان، وزيد، وتميم الداري (١).

وقال عكرمة: لما أسلم تميم، قال:

يا رسول الله، إن الله مظهرُك على الأرض كلها، فهب لي قريتي من «بيت لحم».

قال: «هي لك» وكتب له بها.

قال: فجاء تميم بالكتاب إلى عمر، فقال: أنا شاهد ذلك فأمضاه وذكر الليث أن النبي - ﷺ - قال له: «ليس لك أن تبيع» قال: فهي في أيدي أهله إلى اليوم (٢).

وقال ابن سعد:

«لم يزل - أي تميم - بالمدينة حتى تحولَّ بعد قتل عثمان إلى الشام».

وهو أول من «قصَّ» - ﷺ -.

(١) رجاله ثقات: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢/٣٥٥).

(٢) أخرجه أبو عبيد في «الأموال» (٣٤٩، ٣٥٠).

أخرج أبو زرعة في «تاريخ دمشق» عن السائب بن يزيد: أنه لم يكن يقص على عهد رسول الله - ﷺ - ولا أبى بكر، وكان أول من قص تميم الدارى، استأذن عمر بن الخطاب أن يقص الناس قائماً، فأذن له عمر -رحمة الله عليه-.

وعن حميد بن عبد الرحمن:

«أن تميماً استأذن عمر في القصص سنين، ويأبى عليه، فلما أكثر عليه،

قال:

ما تقول؟

قال: أقرأ عليهم القرآن، وأمّهم بالخير، وأنهاهم عن الشر.

قال عمر: ذاك الربح.

ثم قال: عظ قبل أن أخرج للجمعة.

فكان يفعل ذلك فلما كان عثمان، استزاده، فزاده يوماً آخر^(١).

تعبه:

كان أصحاب النبي - ﷺ - يقرنون العلم بالعمل.. فصفت نفوسهم.. وطهرت قلوبهم.. واستقامت جوارحهم.. وظهرت بركات الاستقامة على وجوههم وأحوالهم.. وهذا شأن من تعبد لله سبحانه وتعالى.

وتميم الدارى -رضى الله تعالى عنه- بلغ من التعبد شأناً عظيماً، فظهرت ثمراته على أحواله.. وأجرى الله تعالى على يديه كرامات تعجب منها «عمر بن الخطاب» -رضي الله عنه-!!.

● عن معاوية بن حرملة^(٢)، قال:

قدمت المدينة، فلبثت في المسجد ثلاثاً لا أظعم، فأتيت عمر، فقلت:

(١) تهذيب ابن عساكر (٣/ ٣٦٠)، والطبراني (١٢٤٩).

(٢) معاوية بن حرملة: صهر مسيلمة الكذاب، له إدراك.. وكان مع مسيلمة في الردة، ثم قدم على عمر تائباً. «الإصابة ١٠/ ٣٥».

«تائبٌ من قبل أن تقدر عليه»^(١).

قال: مَنْ أَنْتَ؟

قلتُ: معاوية بن حرْمَل.

قال: اذهب إلى «خير المؤمنين» فانزل عليه.

قال: وكان تميم الدارى إذا صَلَّى، ضَرَبَ بيديه على يمينه وشماله، فذهب برجلين. فصليتُ إلى جنبه، فأخذني، فأتينا بطعام. فبينما نحن ذات ليلة، إذ خرجت نارٌ بالحرّة، فجاء عمرٌ إلى تميم.

فقال: قُمْ إلى هذه النار.

فقال: يا أمير المؤمنين، وَمَنْ أَنَا! وما أنا!

فلم يزلُ به حتى قام معه، وتبعتهما فانطلقا إلى النار. فجعل تميم يحوشها بيده حتى دخلت الشَّعْبَ، ودخل تميم، خلفها!! فجعل عمرٌ يقول: «ليس مَنْ رَأَى كمن لم يَرَ! قالها ثلاثاً».

● وكان تميم - رضي الله عنه - من قوَّام الليل.. وكان يُعظَّم المقام بين يدي الله

تعالى.

- عن مسروق: قال لى رجلٌ من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الدارى: صلى ليلة حتى أصبح أو كاد، يقرأ آيةً يُردِّدها، ويكيى: ﴿أَمْ حَسِبِ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٢).

- وعن صفوان بن سليم، قال:

قام تميم الدارى فى المسجد بعد أن صَلَّى العشاء، فمرَّ بهذه الآية: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾^(٣). فما خرج منها حتى سمع أذان الصبح.

- وعن محمد بن أبى بكر عن أبيه، قال:

(١) الإصابة (٣٥ / ١٠). والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية.

(٢) سورة الحائية: ٢١.

(٣) سورة المؤمنون: ١٠٤.

زارتنا «عمرة» فباتت عندنا فقمتم من الليل -أى للصلاة- فلم أرفع صوتى بالقراءة فقالت:

يا ابن أخى ما منعك أن ترفع صوتك بالقراءة؟ فما كان يوقظنا إلا صوتُ معاذ القارىء وتميم الدارى.

- وعن أنس: أن تميمًا الدارى اشترى رداءً بألف درهم، يخرج فيه إلى الصلاة^(١).

وعن ثابت: أن تميمًا أخذ حُلَّةً بألف، يلبسها فى الليلة التى تُرجى فيها ليلةُ القدر.

ومع هذا، فقد كان -رضي الله عنه- يجتهد فى إخفاء عمله الصالح.

عن يزيد بن عبد الله، قال:

قال رجل لتميم الدارى: ما صلاتك بالليل؟

فغضب غضباً شديداً، ثم قال:

«والله لركعة، أصليها فى جوف الليل فى سرٍّ أحبُّ إلىَّ من أن أُصلى الليل كله ثم أقصه على الناس».

فغضب الرجل فقال: الله أعلم بكم يا أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، إن سألناكم عنفتُمونا، وإن سألكم حفيتمونا.

فأقبل عليه تميم فقال:

«أرأيتك لو كنتَ مؤمناً قوياً وأنا مؤمن ضعيف سأعطيك أنا على ما أعطاك الله؟ ولكن خذ من دينك لنفسك، ومن نفسك لدينك حتى تستقيم على عبادة تطيقها».

وفاته:

يقال: وُجد على بلاطة قبر تميم: مات سنة أربعين -رضي الله عنه-.

(١) قال الهيثمى فى «المجمع» (١٣٥/٥) أخرجه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

[٤١] هشام بن العاص

«رمز من رموز الفداء»

من هو؟:

هو: الرجل الصالح المجاهد هشام بن العاص السهمي، احتل في نفس رسول الله - ﷺ - هو وأخوه «عمرو بن العاص» مكانة كبرى فقال: «ابنا العاص مؤمنان»^(١).

كانت حياته نموذجاً فريداً للمؤمن الأواب.. واستشهاده صورة نادرة للمجاهد الذي يبحث عن رضوان الله!!.

أسلم «هشام بن العاص» في بداية الدعوة الإسلامية.. ولما علم أن أباه سيضيق عليه الخناق.. ويقف أمام إيمانه.. خشى أن يفتن في دينه فهاجر إلى الحبشة «الهجرة الثانية».. ومكث هناك.. إلى أن ترامت الأنباء بهجرة الرسول - ﷺ - من مكة إلى المدينة.. ففضل «هشام» عائداً إلى مكة.. استعداداً للحاق بالنبى - ﷺ - وأصحابه في المدينة.

ولكن والده «العاص» أمسك به.. وحبسه في مكة بضع سنوات.. في محاولات يائسة للنيل من إسلامه عساه أن يرجع عن دينه ليعبد الأصنام!!.

ووقف «هشام» يستقبل أمواج البلاء كالطود العظيم.. فما وهن لما أصابه في سبيل الله، وما ضعف، وما استكان.

ثم تحين «هشام» الفرصة.. واستل من وسط المشركين.. وخرج مهاجراً إلى الله ورسوله.

كان المسلمون قد خاضوا عدداً من الغزوات آخرها غزوة الخندق..

(١) إسناده حسن: ولفظه: «ابنا العاص مؤمنان، عمرو وهشام» أخرجه أحمد (٣٠٤/٢) وغيره.

وكانت أنباء هذه الغزوات تروى بتفاصيلها في كل مكان بمكة، وسمع ما جرى بين المسلمين وبين المشركين.. فتأقت نفسه إلى الجهاد.. وتطلعت إلى الشهادة..

وشارك «هشام» -رضي الله عنه- في باقي الغزوات.. وسطر فيها آيات البطولة والغداء.

قال ابن عيينة:

قالوا لعمر بن العاص: أنت خير أم أخوك هشام؟
قال: أخبركم عنى وعنه، عرضنا أنفسنا على الله^(١)، فقبله وتركنى.

استشهاده:

استشهد -رضي الله عنه- بـ«أجنادين».. وكانت له في هذه الموقعة «قصة» تدل على فدائته وشجاعته..

عن أم بكر بنت المسور بن مخزومة، قالت:

«كان هشام بن العاص رجلاً صالحاً، لما كان يوم «أجنادين» رأى من المسلمين بعض النكوص من عدوهم، فألقى المغفر عن وجهه، وجعل يتقدم في نحر العدو، وهو يصيح:

«يا معشر المسلمين إلىّ إلىّ، أنا هشام بن العاص، أمن الجنة نفرون؟»
حتى قتل.

وعن خلف بن معدان، قال:

«لما انهزمت الروم يوم «أجنادين» انتهوا إلى موضع^(٢) لا يعبره إلا إنسانٌ إنسان، فجعلت الروم تقاتل عليه وقد تقدموه وعبروه، وتقدم هشام بن العاص، فقاتلهم عليه حتى قُتل، ووقع على تلك «الثلمة» فسدها، فلما انتهى المسلمون إليها هابوا أن يوطئوه الخيل.

(١) أى: أنهما سألا الله تعالى الشهادة. وكان هشام أصغر سنّاً من عمرو -رضي الله عنه-.

(٢) أخطود في الأرض.

فقال عمرو بن العاص (أخوه):

«أيها الناس، إن الله قد استشهده ورفع روحه، وإنما هو جثة، فأوطئوه الخيل».

فأوطئوه الخيل، ثم أوطأه هو وتبعه الناس حتى قطعوه، فلما انتهت المعركة} ورجع المسلمون إلى العسكر، كرَّ إليه «عمرو بن العاص»، فجعل يجمع لحمه وأعضاءه وعظامه، ثم حمله في نطع فواراه.

وكانت وقعة «أجنادين» أول وقعة بين المسلمين والروم، وكانت في «جمادى الأولى» سنة ثلاث عشرة في خلافة «أبي بكر» - رضي الله عنه -، وكان على الناس يومئذٍ - أي قائد الجيش - «عمرو بن العاص».

فبأى قلم نصف هذه الشجاعة أيها المسلمون؟!

إن الكلمات لتقف عاجزة واجمة لا تستطيع أن تُعطي صورة لهذه المغامرة المثيرة وهذا الموقف العجيب.

إن التاريخ ليحنى جبينه أمام هذا الجليل الرائد.. فهل يتعظ المسلمون اليوم؟!.

[٤٢] عمير بن أبي وقاص

«الشهيد المشتاق!»

من حق الشباب اليوم أن يمدوا أيديهم إلى ما فى هذه الحياة من صور المتاع الحسن . . ولا تثريب عليهم إذا هم تقلبوا فى البلاد سياحة تجدد نشاطهم . . تجديداً يعينهم على أداء دورهم فى دنياهم .

فالتبيعة من حولنا مآدبة حافلة، بأطياب الطعام . . ولا بأس على العين أن ترى . . ولا على القلب أن يخفق . . ولا على الأعصاب أن تحس فى غير معصية الله تعالى . . وذلك شىء مهم فى حياة الشباب . . وأهم منه أن تعود بهم ذاكرتهم إلى تاريخهم المجيد عودة يعمق بها اعتزازهم بأنفسهم . . وتفتح أبصارهم على ما فى تراثهم من مواقف مشرفة . . قام بها شباب أمثالهم . . فكانوا شاهد صدق على ما فى شبابنا من طاقة . . تمكنه من الصعود إلى أعلى . . فلا تقف به همته عند الخضرة . . والماء . . لكنها تجعل منه سلاحاً من أسلحة القدر . . يُعلم الناس فن الحياة^(١) .

وضيفنا على هذه السطور: صحابى غلام من أصحاب الرسول - ﷺ - . . أشرب قلبه حب «الإسلام» . . وتطلعت نفسه إلى المعالى وإذا كانت النفوس كباراً . . تعبت فى مرادها الأجسام . .

فمن هو؟

هو: عمير بن أبى وقاص، أخو سعد بن أبى وقاص - رضيه الله عنه - .

من السابقين الأولين من المهاجرين ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (٢) .

(١) تأملات فى السيرة النبوية .

(٢) سورة الحشر: ٨ .

وهو أحد شباب هذه الأمة.. الذين قَدَّموا أنفسهم لله في مرحلة الزهور.. ليستقبل بعدها حياة أبقى وأفضل.. في جنات ونهر ﴿ أَكُلُّهَا دَائِمٌ وَظَلُّهَا تِلْكَ عَقَبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعَقَبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ (١).. وإن كان عمير بن أبي وقاص - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - لم يأخذ بحظه من متاع الحياة الدنيا.. فهناك ﴿ مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾ (٢) هناك النعيم في انتظاره.. والحوار العين تترين له.

استشهاده:

كان القائد الأعظم محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يسوّى الصفوف ويتفقد أحوال الجنود ويبويء المؤمنين مقاعد للقتال.. وكان إذا رأى غلاماً صغيراً لا يتحمل مشاق الجهاد.. ولا يقوى على مجالدة الأعداء.. رده.. حتى يشتد عوده.. فإذا بلغ أشده واستوى أذن له في جهاد الأعداء.. كان عمير بن أبي وقاص على علم بذلك.

فماذا حدث؟:

يقول سعد بن أبي وقاص - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -:

«رأيت أخى عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - للخروج إلى بدر يتواري!!».

فقلت: ما لك يا أخى؟

فقال: إنى أخاف أن يرانى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيستصغرنى، فيردنى، وأنا أحبّ الخروج لعل الله يرزقنى الشهادة.

قال: فعرض على رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فاستصغره.

فقال: «ارجع».

فبكى عمير فأجازه رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

(١) سورة الرعد: ٣٥.

(٢) سورة الزخرف: ٧١.

قال سعد: وكنتُ أعقدُ له حمائل سيفه من صغره، فقتلُ بيدر، وهو ابن ست عشرة سنة، قتله عمرو بن عبد ودّ.

هكذا ربّى الإسلام أهله، شاباً وشيئاً.. فمتى نسترد هذا المجد التليد؟! .

«إن الجيل الصاعد المتطلع إلى المجد يتطلب إعداداً صالحاً متدرجاً متيناً ليستطيع سدّ الثغرات وحمل الأعباء التي وضعها القدر على كاهله الفتى.

فلا بد لنا من إنارة جوانب الإيمان الواعي في نفسه؛ لأن العقيدة السديدة هي حجر الزاوية في كل عمل مثمر بناءً.

والدعوات التي تحاول خلخلة الدين القيم في نفوس الناشئة دعوات استعمارية مدسوسة هدامة.

إن الإسلام اليوم مظلوم في حياتنا الخاصة والعامّة يكاد يضع بين المتظاهرين باعتناقه البعيدين عن حقيقته، وبين المتنكرين له عن جهل أو غرض»^(١).

وهكذا اختصر عمير بن أبي وقاص الطريق نحو المعالي.. ليتنظم في الصف ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٢).

(١) معركة المصحف (٥٠).

(٢) سورة النساء: ٦٩.

[٤٣] شماس بن عثمان

«ما وجدت لشماس بن عثمان شبيهاً إلا الجنة» حديث شريف

البطل الشهيد، الشاب: شماس بن عثمان بن الشريد المهاجرى من السابقين الأولين من المهاجرين. وهو ابن عم «أم سلمة» - رضي الله عنها - . كان اسمه «عثمان» فسُمي شماساً لوضاءته.

يقول: كأنه شمس، فغلب على اسمه.

هاجر - رضي الله عنه - الهجرة الثانية في بعض الأقوال.

واشترك في غزوة «بدر» وقاتل فيها قتال الأبطال.

ولما جاءت «غزوة أحد» كان من الشجعان الذين ثبتوا حول رسول الله - صلى الله عليه وآله - حين فرّ الناس.

فعندما تغير ميزان المعركة.. ومالت الكفة لقريش.. وكانت لهم الدولة على جيش المسلمين.. تكالبت شراذم المشركين على رسول الله - صلى الله عليه وآله - في محاولة للنيل منه - صلوات ربي وسلامه عليه -.. فهبّ رهط من شباب الإسلام وشبيهه يدافعون بسيوفهم دونه - صلى الله عليه وآله -.

ومن أولئك «الرهط» من شباب الإسلام «شماس بن عثمان» الذي أحاط بمن معه حول رسول الله - صلى الله عليه وآله -.. يصدون هجمات الأعداء بصدورهم وظهورهم.. وظلت هذه الكوكبة تدافع عن نبيها دفاع الأبطال حتى كسروا الهجوم ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ (١).

وينظر النبي - صلى الله عليه وآله - يمينا فيرى شماساً.. وينظر شمالاً فيرى شماساً يصول ويجول في أرض المعركة.. يضرب ويطنع بسيفه في كل اتجاه..

وَيَنْقُضُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ كَالصَّاعِقَةِ فَيَقُولُ - ﷺ -: «مَا وَجَدْتُ لَشَّمَّاسِ بْنِ عَثْمَانَ شَبِيهَاً إِلَّا الْجَنَّةَ!!».

وَيَيْنَمَا الْقِتَالُ دَائِرٌ عَلَى قَدَمِ وَسَاقٍ.. إِذَا بَغَاشِيَةَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ تَنْقُضُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -. فَيَلْمَحُهَا شَّمَّاسٌ.. فَيَنْدَفِعُ يَقَاتِلُ فِي بَسَالَةٍ لَيْسَ لَهَا نَظِيرٌ.. وَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا بِهِ يَلْمَحُ سَيْفًا مُشْرِكًا يُوْشِكُ أَنْ يَنْقُضَ غَدْرًا عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -. فَيَنْدَفِعُ «شَّمَّاسٌ» كَالْبَرْقِ يَتَصَدَّى لِلسَيْفِ الْمُشْرِكِ بِجَسَدِهِ هُوَ، لِيَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَصُولِ إِلَى جَسَدِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -. فَيَخِرُ صَرِيحًا وَبِهِ رَمَقٌ.. وَبَعْدَ أَنْ انْجَلَى غِبَارُ الْمَعْرَكَةِ.. حَمَلُوا شَّمَّاسًا إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ لِيُعَالَجَ مِنْ آلامِهِ.. فَأَدْخَلَ عَلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلْمَةَ:

«ابْنِ عَمِي يَدْخُلُ عَلَى غَيْرِي؟».

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «أَحْمَلُوهُ إِلَى أُمِّ سَلْمَةَ».

فَحَمَلَ إِلَيْهَا فَمَاتَ عِنْدَهَا؛ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - أَنْ يُرَدَّ إِلَى «أَحُدٍ» فَيُدْفَنَ هُنَاكَ كَمَا هُوَ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا. وَقَدْ مَكَثَ يَوْمًا وَلَيْلَةً لَمْ يَذُقْ شَيْئًا، وَلَمْ يَصِلْ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -، وَلَمْ يَغْسَلْهُ، وَكَانَ يَوْمَ قَتْلِ ابْنِ «أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ» سَنَةً، وَلَيْسَ لَهُ عَقَبٌ. - رَحِمَهُ اللَّهُ - (١).

هَكَذَا كَانَ شَبَابُ الْإِسْلَامِ.. فَكُنْ عَلَى طَرِيقِ الْقَوْمِ فَإِنَّ أَمِيرَ الْقَوْمِ يَرَعَى الْقَافِلَةَ.. عَلَّكَ تَسْمَعُ صَوْتَ حَادِيهِمْ:

مَلَكْنَا هَذِهِ الدُّنْيَا الْقُرُونَا	وَأَخْضَعَهَا جَدُودٌ خَالِدُونَا
وَسَطَّرْنَا صَحَائِفَ مِنْ ضِيَاءٍ	فَمَا نَسَى الزَّمَانَ وَلَا نَسِينَا
وَكُنَّا حِينَ يَأْخُذُنَا وَكَلِيٌّ	بَطْغِيَانٌ نَدُوسٌ لَهُ الْجُبِينَا
تَفِيضُ قَلُوبُنَا بِالْهُدَى بِأَسَا	فَمَا نَغْضِي عَنِ الظُّلْمِ الْجُفُونَا
بَيْنَنَا حُقْبَةً فِي الْأَرْضِ مُلْكًا	يُدْعِمُهُ شَبَابٌ طَامِحُونَا
شَبَابٌ ذَلَّلُوا سَبِيلَ الْمَعَالِي	وَمَا عَرَفُوا سِوَى الْإِسْلَامِ دِينَا
تَعَهَّدَهُمْ فَأَبْتَهُمْ نَبَاتًا	كَرِيمًا طَابَ فِي الدُّنْيَا غُصُونَا

يدكون المعازل والحصونا
ولم يسلم إلى الخضم العرينا
من الإشفاق إلا ساجديننا
شباباً مخلصاً حراً أميناً
فيأبى أن يقيد أو يهونا
مضى بالمجد قوم آخروننا
وقد عاشوا أئمتة سنينا
سؤال الدهر أين المسلمونا
أذوب لذلك الماضي حيننا
فلم أجيد المنى ظنونا
وقووا بين جنبى اليقيننا
وأبنى المجد مؤتلفاً مكينا^(١)

إذا شهدوا الوغى كانوا كماً
شباباً لم تحطمه الليالى
وإن جن المساء فلا تراهم
كذلك أخرج الإسلام قومي
وعلمه الكرامة كيف تبنى
وما فتى الزمان يدور حتى
وأصبح لا يرى في الركب قومي
وآلمنى وآلم كل حُر
ترى هل يرجع الماضي فإنى
دعونى من أمان كاذبات
وهأتوا لى من الإيمان نوراً
أمد يدي فانتزع الرواسى

-رضى الله تعالى عن شماس بن عثمان وأرضاه-.

[٤٤] عمير بن الحمام

«إِخْلَاصٌ يُعْلَنُ عَنْ نَفْسِهِ!»

لم تكن الغزوات في الإسلام مجرد مواجهة عسكرية تتلاقى فيها السيوف.. فتتطاير الرؤوس.

بيد أنها كانت مجالات كشفت عن المعادن النفيسة التي صنعها الإسلام على عينه وبدت فيها معادن في:

الرغبة في الشهادة - التجرد... العزم الصادق.. الثبات على المبدأ... الصبر الجميل... العدل... التسامح... الإيثار.

الشوق إلى الجنة:

وعمير بن الحمام -رضى الله تعالى عنه-.. من عباد الرحمن المجاهدين.. الذين صاغهم الإسلام.. فاشتاقوا أرواحهم للقاء الله.. وتعلقت هممهم بالملأ الأعلى.. ورجل هذا حاله.. لا بد أن ينتظر أى فرصة فيها تضحية لدينه ليقدم نفسه فيها لله تعالى.

لَمَّا التَقَى الْجَمْعَانِ يَوْمَ «بَدْر» خَرَجَ الرَّسُولُ -ﷺ- مِنْ مَكَانِهِ إِلَى النَّاسِ فَحَرَّضَهُمْ قَائِلًا:

«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يِقَاتِلُهُمُ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيَقْتُلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا. مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ».

إن التأمل في الآخرة هو بضاعة الأنبياء، وهل لأصحاب العقائد وفداه الحق من راحة إلا هناك؟

وعمل هذا التحريض عمله في القلوب المؤمنة.

روى الإمام أحمد^(١): أن المشركين لما دنوا، قال رسول الله - ﷺ -: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض»، فقال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟! .

قال: «نعم» .

قال: بخ بخ .

قال رسول الله - ﷺ -: «وما يحملك على قول بخ بخ؟» .

قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها! .

قال: «فإنك من أهلها» .

فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهنّ .، ثم قال: لئن أنا حييتُ حتى أكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة، فرمى ما كان معه من التمر ثم قاتلهم وهو يقول:

ركضًا إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكلّ زاد عرضة للنفاد

غير التقى والبر والرشاد

فما زال يقاتل حتى قُتل!! .

ووهت صفوف المشركين تحت مطارق هذا الإيمان الزاهد في متاع الحياة الدنيا .

وراعهم محمد - ﷺ - وقد نزل بنفسه إلى الميدان . يقاتل أشد القتال . ومعه أصحابه يشتدون نحو العدو لا يبالون شيئًا . فانكسرت قريش وأخذها الفرع .

وصاح النبي - ﷺ - وهو يرى كبرياء الكفر تمرغ في التراب: «شاهت الوجوه...»^(٢) .

(١) في «المسند» (٣/١٣٦-١٣٧) بدون الأبيات . . والأبيات عزاها ابن كثير لابن جرير .

(٢) إسناده حسن: انظر تخريج الشيخ الألباني لأحاديث «فقه السيرة» ص ٢٤٥ .

فانهزمت قريش .

وبعد أن انجلى غبارُ المعركة . . كان جسد بطلنا «عمير بن الحمام» هناك على أرض المعركة . . أما روحه فهناك في جنة عرضها السموات والأرض . . تسبح في أنهارها . . وتأكل من ثمارها . . وكان وعد ربي حقاً .

[٤٥] أبو طلحة الأنصاري

«صَوْتُ أَرَعَبِ الْعَدُوِّ!!»

فدائية عجيبة.. وبطولة ليس لها نظير.. وأستاذية يقف التاريخ لها
مُعجِبًا مشدودًا ومشدوهاً.. لا يملك إلا أن ينحني لها إجلالاً واحترامًا.
حقًا يا رجال.. إن الإسلام يصنع المعجزات.

مَنْ ضيفنا على هذه الصفحات؟

ضيفنا على هذه الصفحات هو:

زيد بن سهل بن الأسود بن حرام.. الخزرجي النَّجَارِيُّ. كان -رضي
الله تعالى عنه- جلدًا، صَيِّتًا، آدم، مربوعًا، لا يُغَيِّرُ شَيْبَهُ، شهد بدرًا،
وكان أحد النقباء ويسمى «أبو طلحة».

وهو الذي قال فيه النبي -ﷺ-: «صوت أبي طلحة في الجيش خير
من ألف رجل» أخرجه ابن سعد، وإسناده حسن.

إسلامه:

تزوج أبو طلحة -رضي الله عنه- السيدة «أم سليم» أم أنس بن مالك وكان
لزواجه منها قصة.

كانت أم سليم قد تزوجت مالك بن النضر.. فلما أسلمت رفض
«مالك» الإسلام.. ومات كافرًا!! فتزوجت من أبي طلحة وندع المجال
لإسحاق بن إبراهيم، يحدثنا عن جدته أم سليم، فيقول:

«إنها آمنت برسول الله -ﷺ-، قالت: فجاء أبو أنس، وكان غائبًا.

فقال: أصبوت؟

«ما مثلك يرُدّ، ولكنك امرؤ كافر، ولا أريد مهراً إلا الإسلام». قال:
فمن لى بذلك؟

قالت: النبي - ﷺ - . فانطلق يريده .

فقال النبي - ﷺ - : «جاءكم أبو طلحة وغيرة الإسلام بين عينيه» . . .
الحديث: رواه الطيالسي .

إنفاقه في سبيل الله:

روى البخارى ومسلم عن أنس بن مالك - رضِيَ اللهُ عنه - قال: «كان أبو طلحة
أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل وكان أحب أمواله إليه «بِيرحاء» وكانت
مستقبلة المسجد، وكان رسول الله - ﷺ - يدخلها ويشرب من ماء فيها
طيب .

قال أنس:

فلما أنزلت هذه الآية ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (١) . قام أبو
طلحة إلى رسول الله - ﷺ - فقال يا رسول الله: إن الله تبارك وتعالى يقول:
﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالى إلى «بِيرحاء»، وإنها
صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله .

قال: فقال رسول الله - ﷺ - : «بخ بخ، ذلك مال رابح، وقد سمعتُ
ما قلت، وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين» .

فقال أبو طلحة: أفعلى يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى
عمه» .

تعبده:

● عن أنس، قال:

«كان أبو طلحة بعد النبى - ﷺ - لا يفطر إلا فى سفر أو مرض» .

● وفي «الإحياء» (١/١٦٤):

«أن أبا طلحة صَلَّى في حائط وفيه شجر فأعجبه دبسى طار (١) في الشجر يلتمس مخرجاً فأتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صَلَّى؟ فذكر لرسول الله - ﷺ - ما أصابه من الفتنة!! ثم قال: يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت!!» (٢).

جهاده في سبيل الله:

شهد أبو طلحة المشاهد.. وأبلى بلاءً حسناً.. ومن المعارك التي خاضها.

موقعة «بدر»:

وكان ممن غشيهم النعاس قبل القتال: ﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ﴾ (٣).

قال أنس: «قال أبو طلحة لقد سقط السيف مني يوم بدر، لما غشينا من النعاس» أخرجه أحمد وإسناده صحيح. وأبلى فيها بلاءً حسناً.

موقعة «أحد»:

عن أنس: أن أبا طلحة كان يرمى بين يدي رسول الله - ﷺ - يوم أحد، وكان رجلاً رامياً. وكان رسول الله - ﷺ - إذا رمى أبو طلحة، رفع بصره ينظر أين يقع سهمه. وكان يدفع صدر رسول الله بيده، ويقول: يا رسول الله، هكذا، لا يصيبك سهم. وعن أنس - أيضاً - خبرته، قال:

(١) الدبسى: طائر جميل الشكل.

(٢) قال الحافظ العراقي: أخرجه في سهوه في الصلاة وتصدقته بالحائط «مالك».

(٣) سورة الأنفال: ١١.

«لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، انْهَزَمَ نَاسٌ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُجَوِّبًا عَلَيْهِ (١) بِحِجْفَةٍ (٢)، وَكَانَ رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ، كَسَرَ يَوْمئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الْجُعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ، فَيَقُولُ - ﷺ -: «انْثَرَهَا لِأَبِي طَلْحَةَ». ثُمَّ يُشْرَفُ إِلَى الْقَوْمِ.

فيقول أبو طلحة: يا نبي الله، بأبي أنت، لا تُشرف، لا يُصيبك سهم، نحري دون نحرك» رواه البخاري.

وكان - ﷺ - إذا بقى مع النبي - ﷺ -، جثا بين يديه، وقال: نفسي لنفسك الفداء، ووجهي لوجهك الوقاء!! «الله أكبر» أى فداء بعد هذا الفداء.. هذا ورب الكعبة هو الحب الصادق، فأين حبنا من حبهم؟!.

وفى غزوة «حنين» كان - ﷺ - من المائة الصابرة حول الرسول - ﷺ - عن أنس - ﷺ - أن رسول الله - ﷺ - قال يوم حنين: «من قتل قتيلًا فله سَلْبُهُ». فقتل أبو طلحة يومئذٍ عشرين رجلاً، وأخذ أسلابهم!! . أخرجه أبو داود وإسناده صحيح.

جزاء الصابرين:

قال أنس بن مالك - ﷺ -:

ثَقُلَ ابْنُ لَأْمٍ سُلَيْمٍ، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَتَوَقَّى الْغِلَامَ، فَهَيَّاتُ أُمَّ سُلَيْمٍ أَمْرَهُ.. وَقَالَتْ: لَا تَخْبِرُوهُ. فَرَجَعَ، وَقَدْ سِيرَتْ لَهُ عِشَاءَهُ، فَتَعَشَّى، ثُمَّ أَصَابَ مِنْ أَهْلِهِ (٣).

فلما كان من آخر الليل، قالت:

«يا أبا طلحة، ألم تر إلى آل أبي فلان استعاروا عارية، فمنعوها، وَطَلَبْتُ مِنْهُمْ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ.

(١) مجوِّبًا: أى مترسًا عليه.

(٢) والحِجْفَةُ: الترس.

(٣) أى: أتى منها ما يأتى الرجل من زوجته.

فقال: ما أنصفوا.

قالت: فإن ابنك كان عاريةً من الله، فقبضه. فاسترجع، وحمد الله. فلما أصبح غداً إلى رسول الله - ﷺ -، فلما رآه، قال: «بارك الله لكما في ليلتكما».

فحملتُ بعبد الله بن أبي طلحة، فولدتُ ليلاً، فأرسلتُ به معي، وأخذتُ تمراتُ عجوة، فانتهيتُ به إلى النبي - ﷺ -، وهو يهناً أباعر له، ويسمها، فقلتُ: يا رسول الله، ولدتُ أم سليم الليلة.

فمضغ بعض التمرات بريقه، فأوجره إياه، فتلمظ الصبي، فقال: «حب الأنصار التمر».

فقلت: سمّه يا رسول الله.

قال: «هو عبد الله»^(١).

وأخرج ابن سعد في «الطبقات» (٤٣٤ / ٨) بإسناد رجاله ثقات: قال عباية:

«فلقد رأيتُ لذلك الغلام سبع بنين، كلهم قد ختم القرآن!!» وذلك جزاء الصابرين.

وفاته:

كرت السنون.. وكبرت سن أبي طلحة.. وقبل إحدى الغزوات.. قال له بنوه:

قد غزوت على عهد رسول الله - ﷺ - وأبي بكر وعمر، فنحن نغزو عنك، فأبى، فغزا في البحر، فمات.

وعن أنس: أن أبا طلحة قرأ سورة «براءة» فأتى على هذه الآية ﴿انفروا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾^(٢).

(١) إسناده صحيح: متفق عليه.

(٢) سورة التوبة: ٤١.

فقال: ألا أرى ربي يستنفرني شاباً وشيخاً، جهّزوني، فقال له بنوه: قد غزوت مع رسول الله - ﷺ - حتى قبض، وغزوت مع أبي بكر حتى مات، وغزوت مع عمر، فنحن نغزو عنك.

فقال: جهّزوني، فركب البحر فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير!!^(١).

وهكذا يصنع الإيمان الرجال.. إنه صان دين الله تعالى في حال حياته.. فسان الله جسده بعد مماته.. وهكذا تتجلى بركات الله تعالى على عبده الصالح حياً وميتاً. -رضى الله عن أبي طلحة وأرضاه-.

(١) قال الهيثمي في المجمع (١٥٧٣٠): رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

[٤٦] عوف بن الحارث

«مثل أعلى في حب الله تعالى»

من هو:

هو: عوف بن الحارث بن رفاعة، ابن عفراء .
شهد العقبة . وبعضهم عدّه أحد الستة النّفر الذين لقوا رسول الله
- ﷺ - أولاً .

واستشهد -رضى الله تعالى عنه- يوم بدر .
وتجولتُ في كتب السيرة باحثاً عن ترجمة كاملة لحياته . فلم أظفر بأى
شئ اللهم إلا بموقف واحد له يوم «بدر» كان سبباً في تخليد ذكره!! .
والحق أقول:

إن هذا الموقف العظيم . . يغنى عن مواقف كثيرة . . فلقد كشف لنا
بوضوح قيمة هذا الشاب الصالح ونفاسة معدن هذا المجاهد الشهيد .

فما هو هذا الموقف الخالد؟

لما خرج النبي - ﷺ - إلى الناس يوم بدر يحرضهم على القتال
ويقول: «والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجلٌ فيُقتل صابراً
محتسباً، مقبلاً غير مُدبر إلا أدخله الله الجنة» .

قال ابن إسحاق:

«وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عوف بن الحارث، وهو ابن
عفراء، قال: يا رسول الله، ما يُضحك الرب من عبده؟
قال: «غَمْسُهُ يَدُهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِراً» .

فنزح درعاً كانت عليه فقدفها، ثم أخذ بسيفه فقاتل القوم حتى قُتل (١).
وعلى هذه الفدائية رباهم - ﷺ - .. فصاغ الجندى المثالى المسبوك
بقانون الإسلام لا ينفصل عنه ..

فهذا هو الرجل الربانى الذى: لا يتنى .. لأنه الحق .. ولا ينحرف
لأنه العدل ... ولا يخاف .. لأنه البأس ... ولا يضعف لأنه القوة .. ولا
يحيف لأنه الإنصاف ...

ولو تعلق به أهل الأرض جميعاً لمشى بهم مطمئناً .. لأنه فى نفسه
كقطعة من نظام السماء الذى يجذب الأرض فى فضائها.

إن «عوف بن الحارث» وأمثاله من الشباب هم كما يقول ابن الجوزى -
رحمه الله-:

«يحفظ الله بهم الأرض .. بواطنهم كظواهرهم .. بل أجلى .
وسرائرهم كعلانيتهم .. بل أحلى .. وهممهم عند الثريا .. بل أعلى .. إن
عرفوا تنكروا .. وإن رُئيت لهم كرامة .. أنكروا.

فالناس فى غفلاتهم . وهم فى قطع فلاتهم . تحبهم بقاع الأرض وتفرح
بهم أملاك السماء» .

-رضى الله عن عوف بن الحارث وعن الصحابة أجمعين- .

[٤٧] عبد الله بن مسعود

«أشبهه الناس هدياً بالنبى - ﷺ -»

ضيفنا على هذه الصفحات هو:

الإمام الفقيه المَعْلَم: عبد الله بن مسعود الهذلى المكي المهاجرى البدرى، حليفُ بنى زهرة. ويكنى أبا عبد الرحمن، أمّه «أمّ عبد».

أسلم قبل دخول رسول الله - ﷺ - دار الأرقم بن أبى الأرقم ويقال: كان سادساً فى الإسلام، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين، وشهد بدرًا، والمشاهد كلها.

وكان يشبهه بالنبى - ﷺ - فى هديه ودلّه وسمته.

وكان خفيف اللحم قصيراً شديد الأدمة، طيبّ الريح.

وولى قضاء الكوفة وبيت المال لعمر بن الخطاب - رضى الله عنه -، وصدرًا من خلافة عثمان - رضى الله عنه - ثم صار إلى المدينة فمات بها.

بداية الهداية:

يقصُّ علينا ابن مسعود - رضى الله عنه - قصة إسلامه فيقول: «كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبى معيط^(١)، فجاء النبى - ﷺ - وأبو بكر وقد نفرا من المشركين فقالا: يا غلام هل عندك من لبنٍ تُسقيننا؟ فقلت: إني مؤتمن ولستُ ساقيكما.

فقال النبى - ﷺ -: «هل عندك من جذعة^(٢) لم ينز^(٣) عليها

الفحل؟».

(١) وقع أسيراً فى بدر، وقتل صبوراً - لعنه الله - وأبعده وأخزاه.

(٢) الأثنى من المعز.

(٣) لم ينز عليها الفحل: لم يثب عليها الفحل.

قلت: نعم، فأتيتُهما بها فاعتقلها النبي ﷺ - ومسح الضرع ودعا فحفلَ الضرعُ، ثم أتاه أبو بكر بصخرة منقعة فاحتلب فيها فشرب أبو بكر ثم شربتُ . .

ثم قال للضرع: «اقلص»^(١) فقلص!!

قال: فأتيته بعد ذلك فقلت: علمنى من هذا القول.

قال: «إنك غلامٌ معلّم».

فأخذت من فيه^(٢) سبعين سورة لا ينازعنى فيها أحد^(٣).

قلت: فكانت أمانته - ﷺ - ثم المعجزة التى رآها أمام عينيه من رسول الله - ﷺ - من أسباب إسلامه.

مكانته فى الإسلام:

شرح الله تعالى صدر عبد الله بن مسعود فدخل فى دين الله عز وجل . . وترقى . . فعَلتْ منزلته . . وارتفعت مكانته . . وبلغ شأواً عظيماً عند الله تعالى ثم عند رسوله والمؤمنين .

● فعن قُرّة بن إياس: أن عبد الله بن مسعود - ﷺ - رقى - أى صعد - شجرة يجتنى منها سواكاً، فوضع رجله عليها، فضحك أصحاب رسول الله - ﷺ - من دقة ساقيه - وفى رواية: «فضحكوا من حُموشة ساقيه» - فقال رسول الله - ﷺ -:

«لهما أثقل فى الميزان من أحد»^(٤).

وفى رواية: فقال رسول الله - ﷺ -: «مِمَّ تضحكون؟».

قالوا: يا رسول الله من دقة ساقيه.

(١) قلص الضرع: ارتفع، وتقلص.

(٢) فيه: فمه الشريف.

(٣) رواه أبو داود وإسناده حسن.

(٤) رواه البزار والطبرانى ورجالهما رجال الصحيح. المجمع برقم (١٥٥٦٣).

فقال: «والذي نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من أحد» رواه أحمد.

● وعن علقمة، قال:

جاء رجلٌ إلى عمر، فقال: إني جئتكَ من عند رجلٍ يُملى المصاحف عن ظهر قلب. ففزع عمر، فقال: ويحك انظر ما تقول. وغضب.
فقال: ما جئتكَ إلا بالحق.

قال: من هو؟

قال: عبد الله بن مسعود.

فقال: ما أعلم أحداً أحقَّ بذلك منه، وسأحدثك عن عبد الله: إنا سَمَرنا ليلةً فى بيت أبى بكر فى بعض ما يكون من حاجة النبىِّ - ﷺ -، ثم خرجنا ورسولُ الله - ﷺ -، بينى وبين أبى بكر، فلما انتهينا إلى المسجد إذا رجلٌ يقرأ، فقام النبى - ﷺ - يستمعُ إليه.

فقلت: يا رسول الله! أَعْتَمْتُ، فغمزنى بيده: «اسكت».

قال: فقرأُ وركع وسجد، وجلس يدعو ويستغفر، فقال النبىُّ - ﷺ -: «سَلْ تُعْطَهُ» ثم قال: «من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل، فليقرأ قراءة ابن أمِّ عبد».

فعلمتُ أنا وصاحبى أنه «عبدُ الله».

فلما أصبحتُ غدوتُ إليه لأبشِّره، فقال: سبقك بها أبو بكر، وما سابقتهُ إلى خيرٍ قط إلا سبقنى إليه»^(٣).

● وروى مسلم فى «صحيحه» عن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال:

قال لى رسول الله - ﷺ -: «اقرأ علىَّ القرآن».

قلت: يا رسول الله اقرأُ عليك وعليك أنزل؟

قال: «إني أشتهى أن أسمعهُ من غيرى».

(١) إسناده صحيح: رواه أبو نعيم فى «الحلية» (١/١٢٤).

(٢) رواه البزار والطبرانى ورجالهما رجال الصحيح. المجمع برقم (١٥٥٦٣).

(٣) إسناده صحيح: رواه أبو نعيم فى «الحلية» (١/١٢٤).

فقرأت عليه سورة «النساء» حتى بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (١) فغمزني برجله، فإذا عيناه تَدْرَفَان!! .

وفى رواية: فبكى رسول الله - ﷺ - وقال: «حَسْبُكَ» .

● وعن حذيفة، قال:

قال رسول الله - ﷺ -: «اقتدوا باللذنين من بعدى أبى بكر وعمر، واهتدوا بهدى عمار، وتمسكوا بعهد ابن أمّ عبد» (٢) .

● وعن الشعبي، قال:

ذكروا أن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - لقي ركباً فى سفر له فيهم «عبد الله ابن مسعود» (٣) فأمر عمر رجلاً يناديهم:

من أين القوم؟

فأجابه عبد الله: أقبلنا من الفج العميق .

فقال عمر: أين تريدون؟

فقال عبد الله: البيت العتيق .

فقال عمر: إن فيهم عالماً . وأمر رجلاً فناداهم: أى القرآن أعظم؟

فأجابه عبد الله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (٤) حتى ختم الآية .

قال -عمر-: نادهم أى القرآن أحكم؟

فقال ابن مسعود: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (٥) الآية .

فقال عمر: نادهم أى القرآن أجمع؟

(١) سورة النساء: ٤١ .

(٢) أخرجه الحاكم (٧٥/٣) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي .

(٣) ولم يكن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قد علم أنه فيهم .

(٤) سورة البقرة: ٢٥٥ .

(٥) سورة النحل: ٩٠ .

فقال ابن مسعود: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (١).

فقال عمر: نادهم أى القرآن أخوف؟

فقال ابن مسعود: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ (٢) الْآيَةَ.

فقال عمر: نادهم أى القرآن أرجى؟

فقال ابن مسعود: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ (٣).

فقال عمر: نادهم: أفياكم ابن مسعود؟

قالوا: اللهم نعم!!

● وعن أبى البحتري قال: سئل علىؓ - رضي الله عنه - عن أصحاب محمد - رضي الله عنهم - فقال: عن أيهم تسألون؟

قالوا: أخبرنا عن عبد الله بن مسعود.

قال: علّم القرآن، وعلّم السنّة ثم انتهى، وكفى به علماً.

● وعن شقيق قال:

«كنت قاعداً مع حذيفة، فأقبل عبد الله بن مسعود فقال حذيفة: إن أشبه الناس هدياً ودلاً برسول الله - من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع ولا أدري ما يصنع فى أهله لعبد الله بن مسعود، والله لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد - رضي الله عنهم - أنه من أقربهم عند الله وسيلة يوم القيامة» أخرج به البخارى بنحوه.

● وعن مسروق، قال:

(١) سورة الزلزلة: ٧، ٨.

(٢) سورة النساء: ١٢٣.

(٣) سورة الزمر: ٥٣.

شَامَمْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ - ﷺ - فوجدتُ علمهم انتهى إلى ستة نفر: عمر، وعليّ، وعبد الله - أي ابن مسعود -، وأبي بن كعب، وأبو الدرداء، وزيد بن ثابت. ثم شامتُ هؤلاء الستة فوجدتُ علمهم انتهى إلى رجلين: عليّ، وعبد الله (١).

● وعن سعد بن أبي وقاص، قال:

كنا مع رسول الله - ﷺ - ستة نفر، فقال المشركون: اطرده هؤلاء عنك فلا يجترئون علينا، وكنت أنا وابن مسعود وبلال ورجل من هذيل وآخران، فأنزل الله ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ... ﴾ (٢) رواه مسلم.

افتراءات الحجاج الثقفي وجراته عليه:

وبالرغم من هذه الفضائل التي ذكرناها، والتي لم نذكرها لابن مسعود - ﷺ - إلا أنه لم ينج من السنة السوء.. وخصوصاً «الحجاج الثقفي».. الذي وقف على «المنبر» يوماً فقال: «... وما عذيري من عبد هذيل!!» «يقصد ابن مسعود!!» يزعم أن قرآنه من عند الله، والله ما هي إلا رجز من زجر الأعراب وما أنزلها الله على نبيه - ﷺ - «!!!...».

وعن عاصم بن أبي النجود والأعمش أنهما سمعا الحجاج «قبحه الله» يقول ذلك، وفيه: «والله لو أمرتكم أن تخرجوا من هذا الباب فخرجتم من هذا الباب لَحَلَّتْ لِي دِمَاؤُكُمْ، وَلَا أَجِدُ أَحَدًا يَقْرَأُ عَلَيَّ قِرَاءَةَ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ إِلَّا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ!! وَلَا أَحْكَنُهَا مِنَ الْمُصْحَفِ وَلَوْ بَضَلَعُ خَنْزِيرًا!!».

فانظر رحمك الله إلى هذا الطاغية الذي لم يرتض قراءة ارتضاها رسول الله - ﷺ -.. وترداد وقاحته عندما قال كما في بعض الروايات: «والله لو أدركت عبد هذيل لأضربن عنقه!!».

قال ابن كثير -رحمه الله تعالى-: «وهذا من جراءة الحجاج قبحه الله، وإقدامه على الكلام السيئ، والدماء الحرام. وإنما نقم على قراءة ابن مسعود

(١) صفة الصفوة (١/٢١٢).

(٢) سورة الأنعام: ٥٢، ٥٣.

- رُوِيَ - لكونه خالف القراءة على المصحف الإمام الذي جمع الناس عليه عثمان، والظاهر أن عبد الله بن مسعود رجع إلى قول عثمان وموافقته والله أعلم^(١) اهـ.

جهاده في سبيل الله تعالى:

من اللحظة الأولى التي دخل ابن مسعود - رُوِيَ - فيها الإسلام بدأ رحلة جهاد طويلة مع نفسه أولاً.. فأصلح من شأنها يقول - رُوِيَ -: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن»^(٢).

وهذه نقطة الانطلاق الأولى نحو المعالي..

ثم بدأ يجهز بعقيدته أمام الملأ من قريش.. لا يخشى إلا الله يقول الزبير بن العوام - رُوِيَ -: أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عبد الله بن مسعود^(٣).

قتله لأبي جهل:

اشترك ابن مسعود - رُوِيَ - في غزوة بدر.. وأبلى فيها بلاءً حسناً.. وأطاح برأس «أبي جهل» وحملها إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -!! وكان أبو جهل - لعنه الله - قد سقط صريعاً في أرض المعركة إثر ضربات موجعة.. نفذها غلامان من الأنصار!!

يقول عبد الرحمن بن عوف - رُوِيَ -: إنى لواقف يوم بدر في الصف فنظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثه أسنانهما،

(١) البداية والنهاية (٦/٢٥٩).

(٢) إسناده حسن: أخرجه الطبري (١/٣٥) في «تفسيره».

(٣) رجاله ثقات: أخرجه ابن حجر في «الإصابة» (٦/٢١٥)، وفي «البداية»: كان أول من جهر بالقرآن بمكة، بعد النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عند البيت، وقريش في أندية قرأ سورة ﴿الرَّحْمَنُ﴾ فقاموا إليه فضربوه.

فتمنيتُ أن أكون بين أضلعٍ منهما فغمزني أحدهما فقال: يا عمّ أتعرف أبا جهل؟

فقلت: نعم وما حاجتك إليه؟

قال: أُخبرتُ أنه يُسبُّ رسولَ الله - ﷺ - والذي نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأَعجلُ منّا!! فتعجبتُ لذلك، فغمزني الآخر، فقال لى أيضاً مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبى جهل وهو يجول فى الناس فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذى تسألان عنه، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه، ثم انصرفا إلى النبىِّ - ﷺ - فأخبراه فقال: «أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟».

قال كل منهما: أنا قتلتُهُ.

قال - ﷺ -: «هل مسحتما سيفيكمَا؟».

قالا: لا.

قال: فنظر النبىُّ - ﷺ - فى السيفين فقال: «كلاكما قتله!».

وفى رواية البخارى: «فأشرتُ لهما إليه فشدَّ عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء». هكذا كان الشباب. . ويا حسرتاه على شباب اليوم!

وفى «الصحيحين» عن أنس قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من ينظر ماذا صنع أبو جهل؟».

قال ابن مسعود: أنا يا رسول الله، فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد. قال: فأخذ بلحيته قال: قلت: أنت أبو جهل؟ فقال: وهو فوق رجل قتلتموه - أو قال: قتله قومه -.

وفى رواية للإمام أحمد عن ابن مسعود قال: انتهيتُ إلى أبى جهل يوم بدر، وقد ضربتُ رجله، وهو يذبُّ الناس عنه بسيف له، فقلت الحمد لله الذى أخزأك الله يا عدوَّ الله.

قال: هل هو إلا رجل قتله قومه، فجعلتُ أتناوله بسيف لى غير طائل، فأصبتُ يده فندر^(١) سيفه، فأخذته فضربته حتى قتلته.

وفى رواية: أنه - رضي الله عنه - قال: فوجدته بأخر رمق فعرفته، فوضعتُ رجلى على عنقه، قال: وقد كان ضبث بى^(٢) مرةً بمكة فأذانى ولكزنى ثم قلت له: هل أخزاك الله يا عدو الله؟

قال: وبماذا أخزاني؟... أخبرنى لمن الدائرة اليوم؟

قال: قلت: لله ولرسوله.

وفى رواية: أنه قال لابن مسعود: لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا روى الغنم، قال ابن مسعود: ثم احتزرت رأسه، ثم جئتُ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت: يا رسول الله هذا رأس عدو الله فقال: «الله الذى لا إله غيره؟» وكان يمين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقلت: نعم! والله الذى لا إله غيره، ثم ألقيت رأسه بين يدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فحمد الله^(٣).

وروى البيهقى: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقف على مصرع ابني عفراء - وكانا قد استشهدا فى المعركة - فقال:

«رحم الله ابني عفراء فهما شركاء فى قتل فرعون هذه الأمة، ورأس أئمة الكفر» فقيل: يا رسول الله، ومن قتله معهما؟ قال: «الملائكة وابن مسعود قد شرك فى قتله».

وروى ابن ماجه عن عبد الله بن أبى أوفى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلى يوم بُشّر برأس أبى جهل ركعتين^(٤).

وقد شهد ابن مسعود بعد النبى - صلى الله عليه وسلم - مواقف كثيرة منها اليرموك وغيرها.

(١) ندر: أى سقط.

(٢) ضبث: قبض عليه ولزمه.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٣٦).

(٤) ضعيف: ضعيف سنن ابن ماجه (٢٦٣).

تعبده وشدة خوفه:

يصف الواصفون ابن مسعود -رضي الله عنه- بأنه كان: «لطيف الجسم، ضعيف اللحم، قصير القامة!». . . والإنسان لا يوزن عند الله يوم القيامة بشحمه ولحمه! فكم من رجل سمين لا يزن عند الله يوم القيامة جناح بعوضة. . . لقد كان ابن مسعود ضعيف اللحم. . . ولكنه مليء علمًا. . . ففي هذا الجسد الناحل كانت تسكن العظمة. . . وتستوطن الخشية.

● فعن زيد بن وهب، قال:

رأيتُ بعيني عبد الله أثرين أسودين من البكاء.

● ويقول أخوه عبید الله بن مسعود: كان عبد الله إذا هدأت العيون، قام فسمعتُ له دويًا كدوي النحل.

● ويقول بعض أصحابه: مررت بابن مسعود بسحر^(١) وهو يقول:

«اللهم دعوتني فأجبتك، وأمرتني فأطعتك، وهذا سحر فاغفر لي». فلما أصبحتُ غدوتُ عليه فقلت له: فقال: إن يعقوب -عليه السلام- لما قال لبنيه ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ...﴾^(٢) أخرهم إلى السحر.

● ومع هذا الفضل العظيم، والمقام العالي. . . الذي بلغه ابن مسعود ووصل إليه. . . إلا أنه كان يقول:

«والله الذي لا إله غيره لو تعلمون. . . علمي -أى علمه من نفسه-، لحيثم التراب على رأسي!!».

وفي رواية «للحاكم»: لو تعلمون ذنوبي، ما وطئ عقبي اثنان، ولحيثم التراب على رأسي، ولوددت أن الله غفر لي ذنبًا من ذنوبي، وأني دُعيت عبد الله بن روثة!!.

● وخرج -رضي الله عنه- ذات يوم فاتبعه ناس، فقال لهم: ألكم حاجة؟

قالوا: لا، ولكن أردنا أن نمشي معك.

(١) سورة يوسف: ٩٨.

(٢) السحر: قبيل الصبح.

قال: ارجعوا فإنه ذلّة للتابع وفتنة للمتبع!! .

وكان -رضي الله عنه- يؤثر ثواب الآخرة على كل متاع الحياة الدنيا، فعن الأحموص الجُشمي قال: دخلنا على ابن مسعود وعنده بنون له، ثلاثة غلمان، كأنهم الدنانير حسناً، فجعلنا نتعجب من حسنهم.

فقال لنا: كأنكم تغبطوني بهم؟! .

قلنا: إي والله بمثل هؤلاء يُغبط المرء المسلم. فرفع رأسه إلى سقف بيت له صغير، قد عشش فيه خُطّاف وباض، فقال: والذي نفسى بيده لأن أكون قد نفضت يدي من تراب قبورهم أحبُّ إليَّ أن يسقط عشّ هذا الخُطّاف وينكسر بيضه!! .

لألى من كلامه ومواعظه:

● عن عبد الرحمن بن عابس، قال: قال عبد الله بن مسعود:

«إن أصدق الحديث كتاب الله عزّ وجلّ، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملّة إبراهيم، وأحسن السنن سنّة محمد -صلى الله عليه وسلم-، وخير الهدى هدى الأنبياء، وأشرف الحديث ذكر الله، وخير القصص القرآن، وخير الأمور عواقبها، وشرّ الأمور محدثاتها، وما قل وكفى خير مما كثروا وألهى، ونفسٌ تُتجها خير من إمارة لا تحصيها وشرّ المعذرة حين يحضر الموت، وشرّ الندامة ندامة يوم القيامة، وشرّ الضلالة الضلالة بعد الهدى، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، وخير ما ألقى في القلب اليقين، والريب من الكفر، وشرّ العمى عمى القلب، والخمر جماع الإثم، والنساء حباله الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، والنوح من عمل الجاهلية، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دُبْرًا^(١)، ولا يذكر الله إلا هَجْرًا^(٢)، وأعظم الخطايا الكذب، وسباب المسلم فسوق، وقتاله كفر، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يَعْفُ يَعْفُ اللهُ عنه، وشرّ المكاسب كسب الربا، وشرّ المآكل أكل مال اليتيم،

(١) أى فى آخر وقتها.

(٢) الحلية (١/١٣٣، ١٣٤).

والسعيد من وَعُظَ بغيره، والشقى من شقى فى بطن أمه، وإنما يكفى أحدهم ما قنعت به نفسه، وإنما يصير إلى أربعة أذرع والأمر إلى آخره، وملاك العمل خواتمه، وشرّ الرويا روايا الكذب، وأشرف الموت قتل الشهداء، ومن يعرف البلاء يصبر عليه ومن لا يعرفه ينكره، ومن يستكبر يضعه الله، ومن يتولّ الدنيا تعجز عنه، ومن يطع الشيطان يعص الله، ومن يعص الله يعذبه.

● وعن عبد الرحمن بن حجيرة، عن ابن مسعود أنه كان يقول إذا

قعد:

«إنكم فى مَمَرٍ الليل والنهار فى آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، والموتُ يأتى بغتة، من زرع خيراً يوشكُ أن يحصدَ رغبة، ومن زرع شراً يوشكُ أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع، لا يسبقُ بطيء بحظه، ولا يدركُ حريص ما لم يُقدّر له، فمن أعطى خيراً، فالله أعطاه، ومن وقى شراً، فالله وقاه، المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة»^(١).

● ومن أقواله:

لو سَخِرْتُ من كلب لخشيتُ أن أكون كلباً، وإنى لأكره أن أرى الرجل فارغاً ليس فى عمل آخرة ولا دنيا.

● وقال: جاهدوا المنافقين بأيديكم، فإن لم تستطيعوا، فبالستكم، فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفّروا فى وجوههم، فافعلوا.

● وعن أبى إياس البجليّ، قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول:

«من تناول تعظماً خفضه الله، ومن تواضع تخشعاً رفعه الله، وإن للملك لمة وللشيطان لمة، فلمّة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق، فإذا رأيتم ذلك فاحمدوا الله عزّ وجلّ، ولمّة الشيطان إيعاد بالشرّ وتكذيب بالحق، فإذا رأيتم ذلك فتعوذوا بالله».

● وعن المسيب بن رافع، عن عبد الله بن مسعود قال:

«ينبغي لحامل القرآن أن يُعرف بليته إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس فرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون. وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا محزونًا حليمًا حكيمًا سَكِينًا^(١)، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جفيا ولا غافلاً ولا سخابًا ولا صيَّاحًا ولا حديدًا» رواه أحمد.

● وعن القاسم بن عبد الرحمن أن ابن مسعود كان يقول في دعائه: «خائف، مستجير، تائب، مستغفر، راغب، راهب».

● ومن أقواله - رضي الله عنه -: «ما منكم إلا ضيف وماله عارية، فالضيف مرتحل، والعارية مؤداة إلى أهلها».

● وكان يقول: «كونوا ينابيع العلم، مصابيح الهدى، أحلاس^(٢) البيوت، سرج الليل، جدد القلوب خلُقان الثياب^(٣)، تعرفون في أهل السماء وتحفون في أهل الأرض».

● وعن منذر، قال:

جاء ناس من الدهاقين^(٤) إلى عبد الله بن مسعود، فتعجب الناس من غلظ رقابهم وصحتهم، فقال عبد الله:

«إنكم ترون الكافر من أصحَّ الناس جسمًا وأمراضه قلبًا، وتلقون المؤمن من أصحَّ الناس قلبًا وأمراضه جسمًا، وإيم الله لو مَرِضَتْ قلوبكم وصحَّت أجسامكم لكنتم أهون على الله من الجُعْلان»^(٥).

● وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه قال: أتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن علمني كلمات جوامع نوافع. فقال عبد الله:

«لا تشرك بالله شيئًا، وزل مع القرآن حيث زال، ومن جاءك بالحق

(١) سَكِينًا: أى دائم السكوت.

(٢) حُلْسُ البيت: كساء ييسط تحت حر الثياب. والمعنى: لا تبرح بيتك.

(٣) يُقَالُ: ثوب خلق، أى بال.

(٤) يُقَالُ: أدھق الكأس: ملاًها، وكأس دھاقٌ: أى ممتلئة.

(٥) الجُعْل: الدويبة.

فاقبل منه وإن كان بعيداً بغيضاً، ومن جاءك بالباطل فاردده عليه وإن كان حبيباً قريباً».

● وعن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود قال:

«لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً فإن آمن آمن وإن كفر كفر، وإن كنتم لأبد مقتدين فاقتدوا بالميت فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة».

● ومن أقواله: «الحق ثقيل مرىء، والباطل خفيف وبيء، ورب شهوة تورث حزناً طويلاً».

● ومن أقواله -أيضاً-: «لا تكونن إمعة، قالوا: وما الإمعة؟ قال: يقول أنا مع الناس، إن اهتدوا اهتديت وإن ضلّوا ضللت، ألا ليوطن أحدكم نفسه على أنه إن كفر الناس أن لا يكفر».

إلى الرفيق الأعلى:

وبعد رحلة من الجهاد طويلة.. آن للجسد الناحل أن يستريح من تعب الدنيا ووصبها إلى دار المتقين ونعيمها.

كان عبد الله قد قدم من «العراق» حاجاً فمرَّ «بالربذة» فشهد وفاة أبي ذر ودفنه ثم قدم المدينة فمرض مرضاً هزم بقية العافية في بدنه.. وألزمه الفراش ليعالج سكرات الموت.. وينظر رسل الله تعالى.. لتقبض الروح الطيبة.. لتخرج من سجن الدنيا.. إلى حيث الحرية الحقيقية.. والنعيم الذي لا يزول.. وعلم أمير المؤمنين «عثمان بن عفان» بمرضه.. فدخل عليه عائداً ودار بينهما هذا الحوار:

قال عثمان: ما تشتكى؟

قال عبد الله: ذنوبي!

قال عثمان: فما تشتهي؟

قال عبد الله: رحمة ربي.

قال عثمان: ألا أمر لك بطيب؟

فقال: الطيب أمرضني (١).

قال عثمان: يكون لبناتك من بعدك.

قال: أتخشى علي بناتي الفقرا؟ إني أمرت بناتي أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، وإني سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً» (٢).

وأوصى عبد الله إلى الزبير بن العوام أن يُصلِّي عليه.

فيقال: إنه صلَّى عليه ليلاً، ثم عاتب عثمان الزبير على ذلك، وقيل: بل صلى عليه عثمان، وقيل: عمَّار، فالله أعلم.

ودفن - رضي الله عنه - «بالبقيع» عن بضع وستين سنة، سنة اثنتين وثلاثين.

وجاء نَعْيُ عبد الله إلى أبي الدرداء، فقال: ما ترك بعده مثله.

-رحمه الله تعالى ورضى عنه-.

(١) وفي الحديث: «الله الطيب» رواه أحمد، وصححه الشيخ الألباني.

(٢) ضعيف: أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» ص ٣٢٠ وغيره.

[٤٨] أنس بن مالك

«خَادِمُ الرَّسُولِ - ﷺ -»

من هو؟:

هو الإمام، المفتي، المقرئ، المحدث، راوية الإسلام أنس بن مالك ابن النضر بن ضمضم، أبو حمزة الأنصاري الخزرجي البخاري المدني، خادم رسول الله - ﷺ -، وتلميذه، وتبعه، وآخر أصحابه موتاً.

وأمه أم سليم بنت ملحان «الرُميصاء» الصحابية الجليلة.

أسلمت ورسول الله - ﷺ - بمكة، وبايعته حين مقدمه المدينة، وكان إسلامها مراغمة لزوجها «مالك بن النضر» والد أنس - الذي كان غائباً وقتذاك فقال لها: أصبوت؟! .

ف قالت: ما صبوتُ ولكني آمنتُ.

وجعلت تُلقنُ أنساً - وكان صغيراً - وتقول له: قُلْ: لا إله إلا الله، قل: أشهد أن محمداً رسولُ الله، فجعل أنس ينطقُ بذلك، فكان هذا التصرف السليم من أم سليم يثير الغضبُ في نفس مالك فيقول لها: لا تفسدي عليَّ ابني!! فتقول: إنني لا أفسده ولما أيأسه أمرها، خرج عنها إلى الشام فلقية عدو له فقتله، فلما بلغها قتله قالت: لا جرمَ لا أفطمُ أنساً حتى يدع الثدى، ولا أتزوج حتى يأمرني أنس!! .

ولمَّا شب أنس تقدَّم لخطبتها أبو طلحة الأنصاري^(١) - وكان مشركاً - فأبَت، ولمَّا عاودها ثانيةً تفرست في وجهه وتوسمت فيه الخير، فقالت له: إنه لا ينبغي أن أتزوج مشركاً، أما تعلم يا أبا طلحة أن أهلكم ينحتها عبدُ آل فلان، ولو أشعلتم فيها النار لاحتقرت، هل تنفعك هذه الآلهة؟! .

وأكثرت أمُّ سليم من أشباه ذلك الكلام، فانصرف أبو طلحة ووقع في

(١) انظر ترجمته برقم ٤٥ ص ٢٤٠ من هذا الكتاب.

قلبه كلامها، ثم أتاهما - وغرة الإسلام بين عينيه - وقال: لقد وقع في قلبي الذي قلت؛ وأعلن إسلامه، عندها، قالت: إنى أتزوجك ولا أريد صداقاً غير الإسلام!! «الله أكبر».

يقول ثابت البناني (١) - رحمه الله تعالى - فما سمعنا بمهرٍ قطٍّ أكرم من مهر أم سليم: الإسلام!! (٢).

قلت: فأين نساء اليوم من نساء الأمس؟! إلى الله المشتكى.

يوم مبارك:

يحدثنا أنس بن مالك عن يوم مبارك حدث في حياته فيقول: قدم رسول الله - ﷺ - المدينة وأنا ابنُ ثمان سنين، فأخذتُ أُمِّي بيدي، فانطلقت بي إليه فقالت: يا رسول الله لم يبقَ رجلٌ ولا امرأة من الأنصار إلا وقد أتخفك بتخفة، وإنى لا أقدرُ على ما أتخفك به إلا ابني هذا، فخذهُ، فليخدمك ما بدا لك.

وفي رواية لمسلم: «قالت: يا رسول الله! هذا «أنيس» ابني أيتك به يخدمك، فادع الله له. فقال:

«اللهم أكثرْ ماله وولده». فوالله إن مالى لكثير، وإن ولدى وولد ولدى يتعادون على نحو من مائة اليوم!!.

وفي رواية: دعا لى رسول الله - ﷺ - فقال:

«اللهم أكثر ماله وولده، وأطل حياته»، فالله أكثر مالى حتى إن كرمًا لى لتحملُ فى السنة «مرتين»!! ووُلِدَ لصلبى مائة وستة (٣).

وفي رواية أنه قال: جاءت بى أُمى إلى رسول الله - ﷺ - وأنا غلام فقالت: يا رسول الله خويدمك أنيس فادع الله له.

(١) راجع ترجمته فى كتابنا: «صور ومواقف من حياة التابعين».

(٢) نساء من عصر النبوة (١/٤٨ - ٥٠).

(٣) إسناده حسن: أخرجه ابن عساكر (٣/٨٠ب)، والبخارى فى «الأدب المفرد» بنحوه.

فقال: «اللهم أكثر ماله وولده وأدخله الجنة».

قال: فقد رأيت اثنتين وأنا أرجو الثالثة.

قال أبو العالية: كان له - أى لأنس - رضي الله عنه - بستان، يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيها ريحان، يجيء منه ريح المسك!!^(١).

لازم أنس بن مالك رسول الله - صلى الله عليه وآله - تسع سنوات أو عشر سنوات.. فحمل علماً كثيراً.. ونقل إلينا أدباً وفيراً عن رسول الله - صلى الله عليه وآله -.

ففي «صحيح مسلم» عن أنس قال:

لما قدم رسول الله - صلى الله عليه وآله - المدينة أخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بي إلى رسول الله فقال: يا رسول الله إن أنساً غلامٌ، كَيْسٌ، فليخدمك.

قال: فخدمته في السفر والحضر، والله ما قال لى لشيء صنعتُه لم صنعتَ هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه لم لم تصنع هذا هكذا؟

قلت: ولا تعارض بين هذه الرواية وما سبق فلعل أم أنس ذهبت بأنس ومعها زوجها.. وفي هذه الرواية دليل على أن أبا طلحة تزوج بأم سليم قبل خدمة أنس لرسول الله - صلى الله عليه وآله -.

الرسول - صلى الله عليه وآله - يداعبه!!:

● قال أنس: كان رسول الله - صلى الله عليه وآله - من أحسن الناس خلقاً فأرسلني يوماً لحاجة فقلت: والله لا أذهب - وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به رسول الله - صلى الله عليه وآله - فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق فإذا رسول الله - صلى الله عليه وآله - قد قبض بقفاي من ورائي قال: فنظرت إليه وهو يضحك فقال: «يا أنيس ذهبتَ حيثُ أمرتُك؟».

فقلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله.

وفي رواية لأحمد عن أنس قال:

«خدمتُ النبي - صلى الله عليه وآله - عشر سنين فما أمرني بأمر فتوانيتُ عنه أو ضيعتُه

(١) رجاله ثقات: أخرجه «الطيالسي»، والترمذي (٣٨٣٣) وحسنه.

فلامنى، وإن لامنى أحدٌ من أهله إلا قال: «دَعُوهُ فلو قُدِّرَ - أو قال قُضِيَ - أن يكون كان».

● وروى الإمام أحمد عن أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: كان رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أحسن الناس خلقًا، وكان لى أخ يقال له: أبو عمير، قال: أحسبُهُ قال: فَطِيمًا، قال: فكان إذا جاء رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فرآه قال: «أبا عمير ما فعل النغير»^(١)، قال: نغرٌ كان يلعب به، قال: فربما تحضر الصلاة وهو في بيتنا فيأمر بالبساط الذى تحته فيكنس ثم ينضح^(٢) ثم يقوم رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ونقوم خلفه يصلّى بنا، قال: وكان بساطهم من جريد النخل!!.

قلت: هذه كانت أخلاق نبينا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فهل يتأسى المسلمون بأخلاقه التى اندرست فى حياة الناس اليوم؟! نسأل الله تعالى الهداية.

جهاده وتعبده:

● عن محمد بن عبد الله الأنصارى عن أبيه عن ثمامة قال: قيل لأنس: أشهدتَ بدرًا؟

فقال: وأين أغيبُ عن بدر لا أمّ لك؟

قال الأنصارى: شهدها يخدم رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

قال الحافظ أبو الحجاج المزى: لم يذكر ذلك أحد من أصحاب المغازى.

قال الإمام الذهبي: لم يعدّه أصحابُ المغازى فى البدرين لكونه حضرها صبيًا ما قاتل، بل بقى فى رحال الجيش. فهذا وجهُ الجمع.

ثم شهد - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ما بعد ذلك من المشاهد.

هذا، وكان أنس بن مالك - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قد أوتى حظًا وافرًا من العبادة.

● فعن ثمامة، قال: كان أنسٌ يصلّى حتى تفتّر قدماه دمًا، مما يطيل القيام - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -.

(١) النغير: طائر.

(٢) ينضح: يرش بالماء عليه من أثر بول «أبي عمير»!

● وعن ابن سيرين - رحمه الله تعالى - قال: كان أنس أحسن الناس صلاة في الحضر والسفر.

● وعن الحريري، قال: أحرم أنس من «ذات عرق» فما سمعناه متكلماً إلا بذكر الله عز وجل حتى أحل^(١)، فقال لى: يا ابن أخى هكذا يكون الإحرام.

● وعن ثابت البناني، قال:

كان أنس بن مالك إذا ختم القرآن جمع ولده وأهل بيته فدعا لهم.

● وعن ثمامة بن عبد الله بن أنس قال:

كان لأنس «ثوبان» على المشجب كل يوم، فإذا صَلَّى المغرب لبسهما فلم نقدر عليه ما بين المغرب والعشاء قائماً يُصَلِّي.

وكان - رضي الله عنه - من أشد الناس حرصاً على تطبيق السنة.

فعن يزيد بن خصيفة، قال: تنخم أنس بن مالك في «المسجد» ونسى، أن يدفنها^(٢)، ثم خرج حتى جاء إلى أهله فذكرها فجاء بشعلة من نار فطلبها حتى وجدها، ثم حفر لها فأعمق فدفنها!!.

دعاء وإجابة:

كان أنس بن مالك - رضي الله عنه - مجاب الدعوة.

فعن ثابت البناني، قال:

كنت مع أنس فجاءت قهرمانة فقالت: يا أبا حمزة عطشت أرضنا، قال: فقام أنس فتوضأ وخرج إلى البرية فصلَّى ركعتين ثم دعا فرأيتُ السحاب يلتئم ثم أمطرت حتى خيل إلينا أنها ملأت كل شيء، فلما سكن المطر بعث أنس بعض أهله فقال:

انظر أين بلغت السماء، فنظر فلم تعد أرضه إلا يسيراً!!.

(١) أى: تحلل من إحرامه.

(٢) ففى الحديث: «البصاق فى المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها» متفق عليه.

رواه ابن أبي الدنيا، والذهبي من طريق ثابت البناني بلفظ مقارب.
قال الإمام الذهبي: «قلت: هذه كرامةٌ بيَّنةٌ ثبتت بإسنادين»^(١).

أمانته:

● عن موسى بن أنس؛ أن أبا بكر الصديق بعث إلى أنس ليُوجههُ على البحرين ساعياً، فدخل عليه عمر، فقال: إني أردتُ أن أبعث هذا على البحرين وهو فتىٌ شابٌ.

قال: ابعثه فإنه لبيبٌ، كاتبٌ، فبعثه.

فلما قبض أبو بكر، قدم أنسٌ على عمر، فقال عمر: هاتِ ما جئتُ

به.

قال: يا أمير المؤمنين، البيعةُ أولاً، فبسط يده.

● وعن أنس، قال:

استعملني أبو بكر على الصدقة، فقدمتُ، وقد مات.

فقال عمر: يا أنس! أجمتُنا بظهِرٍ؟

قلت: نعم.

قال: جئنا به، والمال لك.

قلت: هو أكثرُ من ذلك.

قال: وإن كان، فهو لك. وكان أربعةَ آلاف.

الحنينُ إلى رسول الله - ﷺ -:

استجاب الله تعالى دعاء نبيه - ﷺ - لأنس. فكثر ماله وأولاده وطالت

به الحياة.

وها هو يقول - ﷺ -: لقد دفنتُ من صلبي مائةً غير اثنين، أو قال:

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٤٠١).

مائة واثنين، وإن ثمرتي لتحمل في السنة مرتين، ولقد بقيت حتى سئمت الحياة.

وكان يقول: ما بقي أحدٌ صلَّى القبلتين غيري^(١).

وكلما ازداد عمره وطالت به الحياة ازداد شوقاً إلى رسول الله - ﷺ - وتطلعت نفسه ليوم اللقاء.

روى الإمام أحمد عن أنس، قال: سألت رسول الله - ﷺ - أن يشفع لي يوم القيامة: قال: «أنا فاعل».

قلت: فأين أطلبك يوم القيامة يا نبيَّ الله؟

قال: «اطلِّبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبْنِي عَلَى الصِّرَاطِ».

قلت: فإذا لم ألقك؟

قال: «فَأَنَا عِنْدَ الْمِيزَانِ».

قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟

قال: «فَأَنَا عِنْدَ الْحَوْضِ لَا أَخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ مَوَاطِنَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وهاجت أشواق أنس للقاء حبيبه، وتاق شوقاً لرؤياه.

روى أبو داود عن أنس قال: «إني لأرجو أن ألقى رسول الله - ﷺ - فأقول: يا رسول الله خويدمك».

أرأيت أخي القارئ حُبًّا يداني هذا الحُبُّ؟! إيه يا أصحاب رسول الله . . بارك الله في دين علمكم، ونبيِّ أدبكم.

أنسٌ يبكي على حال المسلمين!!:

قال الزهري: دخلتُ على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي.

فقلت: ما يبكيك؟

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٨/١٣١)، وقوله: «صلى القبلتين» يعنى الصلاة إلى بيت المقدس، وإلى الكعبة.

فقال: لا أعرف مما كان عليه رسول الله - ﷺ - وأصحابه إلا هذه الصلاة، وقد ضيعتم فيها ما ضيعتم!!!.

أقول: هذا يقوله في زمانه، فكيف لو رأى أهل زماننا؟! الذي نخشى أن يكون أهله ممن عناهم النبي - ﷺ - بقوله:

«سيجيء أقوام في آخر الزمان، تكون وجوههم وجوه الأدميين، وقلوبهم قلوب الشياطين، أمثال الذئاب الضواري، ليس في قلوبهم شيء من الرحمة، سفاكون للدماء، لا يرعون عن قبيح، إن تابعتهم واربوك، وإن تواريت عنهم اغتابوك، وإن حدثوك كذبوك، وإن ائتمتكم خانوك، صبيهم عارم، وشابهم شاطر، وشيخهم لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر، الاعتزاز بهم ذل، وطلب ما في أيديهم فقر، الحليم فيهم غاو، والأمر فيهم بالمعروف متهم، والمؤمن فيهم مستضعف، والفاسق فيهم مشرف، السنة فيهم بدعة، والبدعة فيهم سنة، فعند ذلك يسلط الله عليهم شرارهم، فيدعو خيارهم، فلا يستجاب لهم»^(١).

وفاته - ﷺ -:

قلنا إن العمر امتد بأنس بن مالك - ﷺ - .. وكان في أواخر حياته قد ضعف عن الصوم، فكان يطعم المساكين.

روى البخارى: «أطعم أنس بن مالك بعد ما كبر عاماً أو عامين كل يوم مسكيناً خبزاً ولحماً وأفطر».

قال الحافظ: وروى عبد بن حميد من طريق النضر بن أنس، عن أنس أنه أفطر في رمضان وكان قد كبر، فأطعم مسكيناً كل يوم وكان - ﷺ - يرى رسول الله - ﷺ - كل ليلة في منامه!!!.

(١) رواه الطبراني، وقال الشيخ: التوجيه: وهو حديث ضعيف، ومع ذلك فهو مطابق لحال كثير من المنتسبين إلى الإسلام في زماننا غاية المطابقة. إتحاف الجماعة: (٣٨/٢). ومعنى «لا يرعون عن قبيح»: لا يتخرجون من إتيانه. وقوله: «واربوك»: «أى خادعوك» وقوله «صبيهم عارم»: أى خبيث شرير. وقوله: «شابهم شاطر»: الذى أعياهم خبثاً.

قال المثني بن سعيد: سمعتُ أنساً يقول:

«ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي .. ثم يبكي»^(١).

ومرض - رضي الله عنه - ولما اشتد مرضه .. ودخل في سياق الموت، جعل يقول وهو يحتضر: لقنوني «لا إله إلا الله» فلم يزل يقولها حتى قبض. وكانت عنده «عصية» من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأمر بها فدفت معه. وغسله الإمام محمد بن سيرين.

واختلف المؤرخون في سنة وفاته والأصح: أنه مات سنة ثلاث وتسعين، فيكون عمره على هذا مائة وثلاث سنين. وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة - رضي الله تعالى عنه -.

(١) رجاله ثقات: أخرجه ابن سعد (٧/ ٢٠).

قال: «هو ما أقول لك، فإذا وضعته فأتيني به».

فلما وضعته أتيتُ به النبي ﷺ - فسمّاه عبد الله وألباه^(١) بريقه، قال: «أذهبي به، فلتجدنه كيّساً».

قال: فأتيت العباس فأخبرته، فتبسّم، ثم أتى النبي ﷺ -، وكان رجلاً جميلاً، مديد القامة، فلما رآه النبي ﷺ - قام إليه فقبل ما بين عينيه وأقعده عن يمينه، ثم قال: «هذا عمّي، فمن شاء فليباه بعمه».

فقال العباس: بعض القول يا رسول الله، قال:

«ولم لا أقول وأنت عمّي وبقيّة آبائي، والعمُّ والدُّ»^(٢).

صفته:

كان ابن عباس -رضي الله عنهما- أبيض، طويلًا، مُشربًا صُفرة، جسيمًا، وسيماً، صبيح الوجه، له وَفْرَةٌ، يخضبُ بالحناء.

وقال ابن جريج: كنا جلوساً مع عطاء في المسجد الحرام، فتذاكرنا ابن عباس؛ فقال عطاء: ما رأيتُ القمر ليلة أربع عشرة إلا ذكرتُ وجهَ ابنِ عباس.

وعن عكرمة قال:

كان ابن عباس إذا مرَّ في الطريق، قُلنُ النساءُ على الحيطان: أَمَرَ الْمِسْكَ، أَمْ مَرَّ ابْنُ عَبَّاسٍ؟

فضائله:

بلغ ابن عباس -رضي الله عنهما- مكاناً علياً بين أصحاب النبي ﷺ - . . فظهر نجمه، وتعددت فضائله . . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . . ومن فضائله:

١- عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال:

(١) ألباه: حنكه.

(٢) قال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن. المجمع برقم (١٥٥١٤).

بت في بيت خالتي ميمونة، فوضعتُ للنبيِّ - ﷺ - غُسلًا، فقال: «من وضع هذا؟».

قالوا: عبدُ الله.

فقال: «اللهم علِّمه التأويلَ وفقههُ في الدين» (١).

٢- وعن أبي وائل قال:

قرأ ابنُ عباس سورة «النور» ثم جعل يفسرها، فقال رجل: «لو سمعت هذا الديلِم، لأسلمت» (٢).

٣- عن طاوس، قال:

جالست سبعين أو ثمانين شيخاً من أصحاب رسول الله - ﷺ -، ما أحدٌ منهم خالف ابن عباس، فيلتقيان إلا قال: القول كما قلت، أو قال: صدقت (٣).

٤- روى البخارى في «صحيحه» عن ابن عباس - رضيهما - قال: «ضمّنى النبيُّ - ﷺ - إلى صدره، وقال: «اللهم علِّمه الحكمة».

همته في طلب العلم:

كان ابن عباس - رضيهما - ذو همّة عالية في العلم والعمل... وداعية إلى الله تعالى بغير علم كقوس بلا وتر... وها هو ابن عباس... قدوة للاقتداء والاهتداء... يخبرنا عن نفسه فيقول:

«لَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - قَلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ:

هَلُمَّ نَسْأَلُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ -، فَإِنَّهُمْ الْيَوْمَ كَثِيرٌ؛ فَسَقَالَ: وَاعْجَبًا لَكَ يَا بَنَ عَبَّاسٍ! أَتَرَى النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ، وَفِي النَّاسِ مِنْ

(١) إسناده صحيح: رواه أحمد في «المسند» (٢٦٦/١).

(٢) إسناده صحيح: رواه أبو يعقوب بن سفيان في «تاريخه» (٤٩٥/١) ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٣٢٤/١) من وجه آخر بلفظ «سورة البقرة».

(٣) قال الهيثمي في «المجمع»: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح برقم (١٥٥٢٢).

أصحاب النبي - ﷺ - مَنْ ترى؟ فترك ذلك. وأقبلتُ على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديثُ عن الرجل، فأتيه وهو قائلٌ (١)، فأتوسدُ رداي على بابه، فتسفي الريحُ على التراب، فيخرجُ، فيراني، فيقول: يا بنَ عم رسول الله! ألا أرسلتَ إليَّ فأتيك؟ فأقول: أنا أحقُّ أن أتيك، فأسألك. قال: فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناسُ عليَّ، فقال: هذا الفتى أعقلُ مني» (٢).

وبلغت درجة تحريه في تحصيل العلم إلى أنه كان يسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي - ﷺ - قال الذهبي: إسناده صحيح. قلت: وهذا غاية الإتقان.

وظل ابن عباس - رضِيَ اللهُ عنهما - ينهل من العلم إلى أن رسخت قدمه، وعلا كعبه، واشتهر أمره، وظهرت عليه بركات دعاء الرسول. يقول أبو صالح:

«لقد رأيتُ من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها به الفخر؛ لقد رأيت الناس اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر أن يجيء ولا أن يذهب، قال: فدخلتُ عليه فأخبرته بمكانهم على بابه.

فقال لي: ضع لي وضوءاً، قال: فتوضأ وجلس وقال: اخرج فقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل. قال: فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة!!.

فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم عنه وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر، ثم قال: إخوانكم، قال: فخرجوا. ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقهاء فليدخل، قال: فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله أو أكثر، ثم قال: إخوانكم قال: فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها، فليدخل، قال: فخرجت فآذنتهم فدخلوا

(١) قائل: القيلولة: النوم وقت الظهيرة.

(٢) إسناده صحيح: رواه الحاكم وقال: صحيح، ووافقه الذهبي.

حتى ملؤوا البيت والحجرة، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم وزادهم مثله أو أكثر، ثم قال: إخوانكم فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل فخرجت فأذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال: إخوانكم، فخرجوا!! قال أبو صالح: فلو أن قريشاً كلها فخرت بذلك لكان فخراً، فما رأيتُ مثل هذا لأحد من الناس»^(١).

رؤيته لجبريل - ﷺ - !!:

● عن ابن عباس، قال:

كنت مع أبي عند النبي - ﷺ -، وكان كالمُعْرِضِ عن أبي، فخرجنا من عنده..

فقال: ألم تر ابنَ عمِّك كالمُعْرِضِ عنى؟

فقلتُ: إنه كان عنده رجلٌ يُناجيه.

قال: أو كان عنده أحدٌ؟

قلتُ: نعم. فرجع إليه، فقال: يا رسول الله، هل كان عندك أحدٌ؟

فقال لى: «هل رأيتَه يا عبد الله؟».

قال: نعم.

قال: «ذاك جبريلُ فهو الذى شغلنى عنك»^(٢).

● وعن موسى بن ميسرة؛ أن العباسَ بعث ابنه عبد الله إلى رسول الله

- ﷺ - فى حاجة، فوجد عنده رجلاً، فرجع، ولم يكلمه.

فلقى العباسُ رسولَ الله - ﷺ - بعدَ ذلك، فقال: أرسلتُ إليك ابنى،

فوجد عندك رجلاً، فلم يستطع أن يكلمه.

(١) البداية والنهاية (٦٠/٦، ٦١).

(٢) رجاله ثقات: رواه أحمد (٢٩٣/١) فى «المسند».

فقال: «يا عم! تدرى من ذاك الرجل؟».

قال: لا.

قال: «ذاك جبريلٌ لقيني، لن يموت ابنك حتى يذهبَ بصره، ويؤتى علماً»^(١).

الأدب الكامل:

● عن ابن عباس، قال:

«أتيتُ رسولَ الله - ﷺ - في آخر الليل، فصليتُ خلفه، فأخذ بيدي فجرّني حتى جعلني حذاءه، فلما أقبل رسول الله - ﷺ - على صلاته خنستُ^(٢)، فصلّى رسول الله - ﷺ -، فلما انصرف قال: «ما شأنك أجعلك حدائي فتخنس؟».

فقلت: يا رسول الله، وينبغي لأحد أن يصلّي بحدائك، وأنت رسول الله - ﷺ - الذي أعطاك الله؟

قال: فأعجبه، فدعا لي أن يزيدني الله علماً وفقهاً» رواه أحمد.

● وعن الشعبيّ، قال:

ركب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه فقال: لا تفعل يا بن عم رسول الله - ﷺ -، قال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا! فقال زيد: أتى يداك؟ فأخرج يديه فقبلهما فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا!!.

● وعن ابن بريدة الأسلمي، قال:

«شتم رجلٌ ابنَ عباس، فقال ابنُ عباس: إنك لتشتمني وأنا في ثلاثِ خصال».

(١) أورده الهيثمي في «المجمع» برقم (١٥٥٢٠) وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» بأسانيد ورجاله ثقات.

(٢) خنس: انقبض وتأخر للوراء.

إني لآتي على الآية في كتاب الله فلوددتُ أن جميع الناس يعلمون ما أعلم.

وإني لأسمع بالحاكم من حُكَّام المسلمين يعدل في حُكْمه فأفرح ولعلني لا أقاضى إليه أبداً.

وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح ومالي به سائمة»^(١).

خوفه وتعبده:

● قال ابن أبي مليكة: صحبتُ ابن عباس من المدينة إلى مكة، وكان يصلي ركعتين فإذا نزل قام شطر الليل ويرتل القرآن يقرأ حرفاً حرفاً، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب ويقرأ ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾^(٢).

● وعن شعيب بن درهم، قال:

كان في هذا المكان -وأوماً إلى مجرى الدموع من خديه- يعني خدى ابن عباس، مثل الشراك البالي من البكاء!!.

مأثورات من مواعظه ووصاياهم:

● كان -ﷺ- يقول: يا لسان قل خيراً تغنم، واسكت عن شرٍّ تسلم، فإنك إن لا تفعل تندم.

● وجاء إليه رجل يقال له: «جندب» فقال له: أوصني؟

فقال: أوصيك بتوحيد الله والعمل له، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإن كل خير آتيه أنت بعد ذلك منك مقبول، وإلى الله مرفوع، يا جندب: إنك لن تزدد من موتك إلا قُرْباً، فصلِّ صلاة مودِّع. وأصبح في الدنيا كأنك غريب

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح «المجمع» برقم (١٥٥٢٨).

(٢) سورة ق: ١٩.

مسافر، فإنك من أهل القبور، وابك على ذنبك وتبّ من خطيئتك، ولتكن الدنيا عليك أهون من شمع نعلك، فكأن قد فارقتها وصرت إلى عدل الله، ولن تنتفع بما خلفت، ولن ينفعك إلا عملك.

● وقال بعضهم: أوصى ابن عباس بكلمات خير من الخيل الدهم، قال: لا تكلمن فيما لا يعينك حتى ترى له موضعاً.

ولا تمار سفيهاً ولا حليماً، فإن الحليم يغلبك، والسّفيفه يزدريك. ولا تذكر أخاك إذا توارى عنك إلا بمثل الذي تحب أن يتكلم فيك إذا تواريت عنه.

واعمل عمل من يعلم أنه مجزى بالإحسان مأخوذ بالإجرام.

فقال رجل عنده: يابن عباس! هذا خير من عشرة آلاف.

فقال ابن عباس: كلمة منه خير من عشرة آلاف.

● ومن أقواله:

تمام المعروف تعجيله وتصغيره وستره (يعنى أن تعجل العطية للمُعطى، وأن تصغر في عين المُعطى، وأن تسترها عن الناس فلا تظهرها فإن في إظهارها فتح باب الرياء، وكسر قلب المُعطى، واستحياءه من الناس).

● وقال -رضي الله عنه-: أعزّ الناس علىّ جليسى لو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت!!

● وقال -رضي الله عنه-:

لا يكافئ من أتاني يطلب حاجة فرآني لها موضعاً إلا الله عزّ وجلّ. وكذا رجل بدأني بالسلام أو أوسع لي في مجلسي أو قام لي عن المجلس. أو رجل سقاني شربة ماء على ظمأ. ورجل حفظني بظهر الغيب.

تولى ابن عباس -رضي الله عنه- إمامة الحج سنة خمس وثلاثين بأمر عثمان بن عفان -رضي الله عنه- له وهو محصور، وفي غيبته هذه قتل عثمان وحضر ابن عباس مع عليّ -رضي الله عنه- «موقعة الجمل»، وكان علىّ الميسرة يوم «صفين»، وشهد

وكانت وفاته بالطائف، وكان عمره يوم مات اثنتين وسبعين سنة - كما رجَّح ابن كثير - ولَمَّا حُمِلَ على نعشه حدثت آية، عجيبة.

يقول الإمام سعيد بن جبير:

«مات ابن عباس بالطائف، فجاء طائرٌ لم يرَ على خلقته، فدخل نعشه، ثم لم يرَ خارجاً منه، فلَمَّا دُفِنَ، تَلَيْتُ هذه الآية على شفير القبر لا يدري من تلاها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾ (١) الآية (٢).

قال ابن كثير: «هذا القول في وفاته هو الذى صححه غير واحد من الأئمة، ونص عليه أحمد بن حنبل والواقدي وابن عساكر، وهو المشهور عند الحفاظ».

وقال الذهبي: بعد أن ساق هذه الكرامة: «فهذه قضية متواترة».

وقال أبو الزبير: «لَمَّا مات ابن عباس جاء طائرٌ أبيض، فدخل فى أكفانه، فكانوا يرون أنه علمه».

ثناء الناس عليه بعد موته:

● عن أبى كلثوم، أن ابنَ الحنفية لَمَّا دُفِنَ ابنَ عباس، قال: «اليوم مات ربَّانى هذه الأمة».

● ولما بلغ جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - وفاة ابن عباس صفق بإحدى يديه على الأخرى وقال: مات أعلم الناس وأحلم الناس، ولقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا تُرتق (٣).

● وقال رافع بن خديج - رضي الله عنه -: مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب فى العلم - رضى الله عن ابن عباس -.

(١) سورة الفجر: ٢٧.

(٢) قال الهيثمى: رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح. المجمع برقم (١٥٥٣٥).

(٣) لا تُرتق: لا ترقع، ولا تلتتم.

[٥٠] أبو العاص بن الربيع

«حَدَّثَنِي فَصَدَّقَنِي، وَوَعَدَنِي، فَأَوْفَى لِي» حديث شريف

من هو؟

هو: أبو العاص بن الربيع بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي .

صهر رسول الله - ﷺ - ، وزوج بنته زينب ، وهو والد أمانة التي كان يحملها النبي - ﷺ - في صلاته .

ففي «الصحيحين» عن أبي قتادة - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - كان يُصلى وهو حامل أمانة بنت زينب بنت رسول الله - ﷺ - ، ولأبي العاص ابن الربيع ، فإذا قام حملها ، وإذا سجد وضعها!! .

وأبو العاص بن الربيع - رضى الله عنه - هو آخر أصحاب الرسول - ﷺ - إسلاماً ، فقد أسلم قبل الحديبية بخمسة أشهر .

وهو ابن أخت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ، أمّه هي : هالة بنت خويلد ، وكان أبو العاص يدعى جرو البطحاء .

قال ابن إسحاق: وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالاً ، وأمانة ، وتجارة .

الزوج الوفي:

تزوج أبو العاص بن الربيع بالسيدة زينب ، وكانت السيدة خديجة هي التي سألت رسول الله - ﷺ - أن يزوجه بابنتها زينب ، وذلك قبل الوحي .

وكان - ﷺ - قد زوج ابنته «رقية» من عتبة بن أبي لهب . فلما جاء الوحي . . وبعث النبي - ﷺ - .

قال أبو لهب: اشغلوا محمداً بنفسه، وأمر ابنه عتبة فطلق ابنة رسول الله - ﷺ - قبل الدخول بها..

ومشوا إلى أبي العاص فقالوا: فارق صاحبك، ونحن نزوجك بأى امرأة من قريش شئت.

فقال: لا والله لا أفارق صاحبتي، وما أحب أن لى بامرأتى امرأة من قريش!!

وخاب مسعى قريش.. وظل حبل الزوجية متصلًا وثيقًا، وإن كانت الزوجة مؤمنة، والزوج مشرکًا.. فقد كان أبو العاص يرى فى زينب زوجة مثالية لا ترقى إلى أخلاقها واحدة من نساء قريش.. ولا تبلغ امرأة فى مكة ما بلغته زينب من أدب وسلوك طيب وشمائل رقيقة.. ولذلك رفض أن ينفصل عنها. وإن كان فى نفس الوقت رفض أن ينفصل عن شركه ووثنيته.

أبو العاص يحارب المسلمين فى بدر!!

ظل أبو العاص على شركه.. وهاجر النبى - ﷺ - إلى المدينة.. وخلف زينب فى بيت زوجها بمكة.. ثم دارت عجلة الزمن.. وجاءت «غزوة بدر الكبرى» التى دارت رحاها بين المسلمين والمشرکين.. وقف أبو العاص مع المشرکين يحارب النبى - ﷺ - وأصحابه!! وانتهت المعركة بهزيمة ساحقة ماحقة للمشرکين.. حيث لقي بعضهم مصرعه، ووقع البعض أسرى فى يد المسلمين.. وكان من بين الأسرى: «أبو العاص بن الربيع!!».

وفاء الرسول - ﷺ -:

اشتراط النبى - ﷺ - لکى يُطلق سراح الأسرى.. أن يُقدم كل منهم فدية.. أو يعلم عشرة من المسلمين.. وقبلت قريش هذا الشرط.

فماذا حدث؟:

تقول السيدة عائشة - رضی اللہ عنہا -: «لَمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِى فِدَاءِ أَسْرَاهِمُ،

بعثت زينب بنت رسول الله في فداء أبي العاص بمال، وبعثت فيه «بقلادة لها» كانت خديجة^(١) أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها، قالت: فلما رآها رسول الله - ﷺ - رَقَّ لها رقة شديدة، وقال: «إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا».

قالوا: نعم! يا رسول الله، فأطلقوه وردوا عليها الذي لها^(٢).

فكان ممن من عليه رسول الله - ﷺ - من الأسرى بغير فداء وقد كان رسول الله - ﷺ - قد أخذ عليه أن يخلّى سبيل زينب لتهاجر إلى المدينة فوعده أبو العاص، ووفى بوعده، وفارقها مع شدة حبه لها!! واستكتمه النبي - ﷺ - ذلك، وبعث زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار، فقال: «كونا يبطن بأجج، حتى تمرّ بكما زينب، فتصحبانها».

وذلك بعد «بدر» بشهر، فلما قدم أبو العاص مكة، أمرها باللحوق بأبيها، فتجهزت، فقدم أخو زوجها «كنانة»^(٣) بعيراً، فركبت، وأخذ قوسه وكنانته نهاراً يقود بها، وهى فى هودج لها، فخرج المشركون فى طلبها حتى أدركوها «بذى طوى» وكان أول من سبق إليها «هبار بن الأسود بن المطلب» فروّعها هبار بالرمح، وهى فى الهودج، وكانت حاملاً فطرحت جنينها.

وفى «الاستيعاب لابن عبد البر»: أن هبار نخس الراحلة فسقطت على صخرة فهلك جنينها، ولم تزل تنزف دمًا حتى ماتت بالمدينة^(٤). أما كنانة فلما رأى ذلك برك ونثر كنانته ثم قال:

والله لا يدنو منى رجل إلا وضعت فيه سهمًا، فتكركر الناس عنه، وأتى أبو سفيان فى جلّة من قريش، فقال: يا أيها الرجل كفّ عنا نبلك حتى نكلّمك، فكفّ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه، فقال: إنك لم تصب،

(١) كانت السيدة خديجة قد توفيت قبل هجرة النبي - ﷺ - إلى المدينة.

(٢) إسناده صحيح: أخرجه الحاكم (٢٣٦/٣) وقال: صحيح، ووافقه الذهبى.

(٣) هو: كنانة بن الربيع.

(٤) الظاهر أنها لم تمت فور وصولها.. بل عاشت سنين عدداً.. ولعلها ماتت بعد ذلك متأثرة به، والله أعلم.

خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا - يعني على بدر- وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس إذ خرجت بابتسه إليه علانية على رؤوس الناس من بين أظهرنا، أن ذلك عن ذل أصابنا، وأن ذلك ضعف منا ووهن، ولعمري ما لنا بحبسها من أيها من حاجة، وما لنا من ثورة، ولكن ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات وتحدث الناس أن قد رددناها، فسلها سراً والحقها بأبيها، قال: ففعل.

قال ابن إسحاق:

«فأقامت ليال حتى إذا هدأت الأصوات خرج بها ليلاً حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه، فقدما بها ليلاً على رسول الله - ﷺ -». فكان رسول الله - ﷺ - يشي على أبي العاص ويقول: «حدثني فصدقني، ووعدني، فأوفى لي» متفق عليه.

أما عن هبار بن الأسود الذي تسبب في موت زينب فقد أمر الرسول بقتله.

يقول أبو هريرة - رضي الله عنه -: بعث النبي - ﷺ - سرية أنا فيها فقال:

«إن ظفرتم بهبار بن الأسود والرجل الذي سبق معه إلى زينب فحرقوهما بالنار» فلما كان الغد بعث إلينا فقال:

«إني قد كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يحرق بالنار إلا الله عز وجل، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما» أخرجه ابن إسحاق وهو على شرط السنن ولم يخرجوه.

وفي رواية البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: قال: بعثنا رسول الله - ﷺ - في بعث فقال:

«إن وجدتم فلاناً وفلاناً فأحرقوهما بالنار» ثم قال حين أردنا الخروج: «إني أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً، وإن النار لا يعذبها إلا الله، فإن وجدتموهما فاقتلوهما».

قال أبو نجيح: فلم تصبه السرية^(١)، وأصابه الإسلام، فهاجر، فذكر قصة إسلامه. رواه سعيد بن منصور في «سننه».

إسلامه - ﷺ -:

أقام أبو العاص بمكة على كفره، واستمرت زينب عند أبيها بالمدينة حتى إذا كان قبيل فتح مكة، خرج أبو العاص في تجارة لقريش، فلما قفل من الشام لقيته سرية - من سرايا المسلمين - فأخذوا ما معه، وأعجزهم هرباً، وجاء تحت الليل إلى زوجته زينب - ﷺ - فاستجار بها فأجارته، فلما خرج رسول الله - ﷺ - لصلاة الصبح وكبر وكبر الناس، صرخت من صفة^(٢) النساء: أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فلما سلم رسول الله - ﷺ - أقبل على الناس فقال:

«أيها الناس هل سمعتم الذي سمعت؟».

قالوا: نعم!

قال: «أما والذي نفس محمد بيده ما علمتُ بشيء حتى سمعتُ ما سمعتم، وإنه يجير على المسلمين أدناهم».

ثم انصرف النبي - ﷺ - فدخل على ابنته زينب فقال:

«أى بُنية أكرمى متواه، ولا يخلصنَّ إليك فإنك لا تحلين له»^(٣).

وبعث رسول الله - ﷺ - فحثهم على ردِّ ما كان معه، فردَّوه بأسره لا يفقد منه شيئاً، فأخذه أبو العاص فرجع به إلى مكة فأعطى كل إنسان ما كان له، ثم قال: يا معشر قریش هل بقى لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟

قالوا: لا فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفياً كريماً، قال: «فإني أشهد

(١) أي: هبار بن الأسود. قال الحافظ: «ولم أقف لرفيقه على ذكر في الصحابة، فلعله مات قبل أن يسلم».

(٢) الصفة: السقيفة.

(٣) رجاله ثقات: أخرجه الحاكم (٤/٤٥)، وكان الله تعالى قد حرّم المسلمات على المشركين عام الحديبية سنة ست من الهجرة.

أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعني عن الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنني إنما أردت أن أكل أموالكم، فلما أداها الله إليكم وفرغت منها أسلمت».

ثم خرج حتى قدم على رسول الله - ﷺ - في المحرم سنة سبع .

قال ابن إسحاق:

عن ابن عباس: أن رسول الله - ﷺ - ردَّ ابنته إلى أبي العاص بعد سنين بنكاحها الأول ولم يحدث صداقاً (١).

قال الحافظ ابن كثير: والصواب حديث ابن عباس أن رسول الله - ﷺ - ردَّها بالنكاح الأول. وقال الترمذي: هذا حديث في إسناده مقال، والعمل عليه عند أهل العلم، وأن المرأة إذا أسلمت قبل زوجها، ثم أسلم زوجها أنه أحق بها ما كانت في العدة، وهو قول مالك والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق. وقال آخرون: بل الظاهر انقضاء عدتها، ومن روى أنه جدَّد لها نكاحاً ضعيف، ففي قضية زينب والحالة هذه دليل على أن المرأة إذا أسلمت وتأخر إسلام زوجها حتى انقضت عدتها، فنكاحها لا يفسخ بمجرد ذلك، بل يبقى بالخيار، إن شاءت تزوجت غيره، وإن شاءت تربصت وانتظرت إسلام زوجها، أي وقت كان، وهي امرأته ما لم تتزوج، وهذا القول فيه قوة وله حظٌّ من جهة الفقه والله أعلم (٢) اهـ.

وانضوى أبو العاص بن الربيع - رُوِيَ عَنْهُ - تحت راية التوحيد. عابداً ومجاهداً. . واستأنف حياته الزوجية مع زوجته الوفية «زينب» من جديد.

ولم تدم حياة زينب - رُوِيَ عَنْهَا - كثيراً في ظل زوجها. . ففي سنة ثمان من الهجرة. . لَبَّت نداء ربها وطارت روحها إلى الملاء الأعلى، وغسلتها السيدة «أم عطية». وكان النبي - ﷺ - يُحِبُّهَا، ويشنى عليها، وعاشت - رُوِيَ عَنْهَا - نحو ثلاثين سنة.

(١) صحيح: أخرجه ابن هشام، وأحمد، والترمذي، وابن ماجه وغيرهم.

(٢) البداية والنهاية (٣/١٠٥، ١٠٦).

ولازم أبو العاص النبي - ﷺ - إلى أن لحق النبي بالرفيق الأعلى .
وفي شهر ذى الحجة سنة اثنتى عشرة فى خلافة أبى بكر الصديق
- رضى الله عنه - . . انتقل أبو العاص إلى جوار ربه راضياً مرضياً .

[٥١] ثابت بن الدحداح

«أقرض الله كلَّ ما يملك ومات شهيداً في أحد»

تعالوا نقف ساعة في فيض غامر من الحب الإلهي مع تاريخ هذا العظيم.. هلمّوا نعش في معارج بطولته.. نتملى جلالها.. ونستشرف آياتها.. ونزجي إليه تحية إعظام وإكبار.. كما أزجي إليه الله تحية الرحمة والمغفرة والرضوان.. إن نفسه الخيرة المعطاءة جعلت من حياته نهراً دافقاً بالبر، وأسطورة باهرة للبذل، وأحدوثة في فم الأيام والليالي تتناقلها عصراً بعد عصر.. لم تكن تعنيه الحياة بكل ما فيها من زخرف ومتاع.. وإنما كانت تعنيه الباقيات الصالحات بكل ما فيها من شفافية وطهر.. ولذلك عاش عازقاً عن الدنيا.. صادقاً عن بهجتها.. متجهاً إلى الله في حلّة وترحاله.. وحين نتهدى إلى سيرته الطيبة العابقة بالفضل والفضائل.. نجدّه من الأنصار الذين أووا النبيّ ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه..

ونجدّه أيضاً تلميذاً نابغاً في مدرسة النبوة.. لا يتخلف عن مجلس من مجالس معلم الإنسانية وأستاذ البشرية -صلوات الله وسلامه عليه-.

ونجدّه كذلك فارساً شجاعاً يخوض الغمرات.. ويقتحم المنايا.. ويجابه الأخطار.. ويواجه الشدائد.. ويصارع المكاره.. وإلى جانب هذا يسارع إلى إغاثة الملهوف ونجدة المظلوم ومواساة المحزون.. وفوق هذا كله يقف في الدوابة العليا من حب الله ورسوله.. يستعذب نداء الجهاد.. ويستمرئ مشاق القتال، ويشم رائحة الجنة تحت ظلال السيوف^(١).

إنفاقه في سبيل الله تعالى:

عرف أصحاب النبيّ -ﷺ- حقيقة الدنيا فزهّدوا فيها ووظّفوا كلَّ

متاعها ونعيمها لخدمة دينهم . . ولبناء آخرتهم . . ولمرضاة ربهم . . وجادوا بالنفس والنفيس ابتغاء رضوان الله .

قال الإمام الحسن: مرَّ أعرابيٌّ على رسول الله - ﷺ - وهو يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ (١).

فقال «الأعرابي»: كلام من هذا؟

فقال «النبي» - ﷺ - : «كلام الله».

فقال: بَيْعٌ وَاللَّهِ مُرِيحٌ لَا نُقِيلُهُ وَلَا نَسْتَقِيلُهُ. فخرج إلى الغزوة واستشهد.

قال الإمام القرطبي - في تفسيره لهذه الآية -:

«أصل الشراء بين الخلق أن يعوضوا عما خرج من أيديهم ما كان أنفع لهم أو مثل ما خرج عنهم في النفع؛ فاشترى الله سبحانه من العباد إتلاف أنفسهم وأموالهم في طاعته، وإهلاكها في مرضاته، وأعطاهم سبحانه الجنة عوضاً عنها إذا فعلوا ذلك. وهو عوضٌ عظيم لا يدانيه المعوض ولا يقاس به، فأجرى ذلك على مجاز ما يتعارفونه في البيع والشراء فمن العبد تسليم النفس والمال، ومن الله الثواب والنوال فسمى هذا شراء» اهـ.

كان ثابت بن الدحداح يعلم هذا جيداً . . فقدم ماله أمامه لله أولاً!! .

يقول زيد بن أسلم:

«لَمَّا نَزَلَ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ (٢) قال أبو الدحداح:

فذاك أبي وأمي يا رسول الله! إن الله يستقرضنا وهو غنيّ عن القرض؟

قال: «نعم يريد أن يدخلكم الجنة به».

قال: فإنني إن أقرضتُ ربي قرضاً يضمن لي به ولصبيتي الدحداحة

معي الجنة؟ .

(١) سورة التوبة: ١١١ .

(٢) سورة البقرة: ٢٤٥ .

قال: «نعم».

قال: فناولني يدك؛ فناوله رسول الله - ﷺ - يده. فقال: إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما، قد جعلتهما قرصاً لله تعالى.

قال رسول الله - ﷺ - : «اجعل إحداهما لله، والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك».

قال: فأشهدك يا رسول الله أني قد جعلتُ خيرهما لله تعالى، وهو حائط فيه ستمائة نخلة!!.

قال: «إدأ يجزيك الله به الجنة».

فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح وهي مع صبيانها في الحديقة تدور تحت النخل فأنشأ يقول:

هداك ربِّي سُبُلَ الرَّشَادِ	إلى سبيل الخير والسَّدَادِ
بينى من الحائط بالودادِ	فقد مضى قرصاً إلى التَّنَادِ
أقرضته الله على اعتمادى	بالطَّوْعِ لا مَنْ ولا ارتدادِ
إلا رجاءَ الضَّعْفِ فى المعادِ	فارتحلى بالنفس والأولادِ
والبرِّ لاشكَّ فخيرُ زادِ	قدمه المرءُ إلى المعادِ

قالت أم الدحداح: رُبَّ بَيْعِكَ! بارك الله لك فيما اشتريت، ثم أجابته أم الدحداح وأنشأت تقول:

بشرك الله بخير وفرح	مثلك أدى ما لديه ونصح
قد متع الله عيالى ومنح	بالعجوة السوداء والزَّهْوِ البَلْحُ
والعبدُ يسعى وله ما قد كدح	طول الليالى وعليه ما أجترح

ثم أقبلت أم الدحداح على صبيانها تُخرج ما فى أفواههم وتنفض ما

فى أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر؛ فقال النبى - ﷺ -: «كم من عذق ردّاح^(١)، ودار فيّاح^(٢) لأبى الدحداح».

وفى رواية:

عن ابن مسعود - رضيه - قال:

لما نزلت: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال أبو الدحداح: يا رسول الله، إن الله يريد منا القرض؟

قال: «نعم يا أبا الدحداح».

قال: أرنا يدك.

قال: فناوله يده.

قال: قد أقرضت ربي حائطى - وحائطه فيه ستمائة نخلة -.

فجاء يمشى حتى أتى الحائط، وأم الدحداح فيه وعيالها، فنادى: يا أم الدحداح.

قالت: لبيك.

قال: اخرجى فقد أقرضته ربي^(٣).

فانظر رحمك الله تعالى إلى كيفية تعاون المرأة مع الرجل على طاعة الله والوصول إلى مرضاته!! فأين هذه النماذج اليوم!!.

استشهاده - رضيه -:

يقال: «إن فوق كل برٍّ برٌّ حتى يبذل العبدُ دمه فإذا فعل ذلك فلا برٌّ فوق ذلك».

وقال الشاعر فى معنى البر:

(١) العذق (بالكسر): هو الغصن من النخلة، والردّاح: الثقل.

(٢) دار فيّاح: أى واسع.

(٣) قال الهيثمى: رواه أبو يعلى والطبرانى ورجالهما ثقات، ورجال أبى يعلى رجال الصحيح. المجمع برقم (١٥٧٩٢).

الجُودُ بالماءِ جُودٌ فيه مَكْرُمَةٌ والجودُ بالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الجُودِ
«وكما قدم ثابت بن الدحداح ما يملك لله . . فقد جاء يوم قدم فيه نفسه
لله أيضاً . .» .

وقصة استشهاده في يوم أُحُدٍ تكشف عن مدى استعداده دائماً
للتضحية . . للبذل . . لإعطاء حياته وهي أعلى ما يملك . .

كان يوم «أُحُدٍ» مزدحمًا بالدروس الإلهية . . الرسول القائد أعد خطة
الدفاع والهجوم . . وعهده برجال له ألا يخالفوا له أمراً . . ولكن لحكمة عليا
خالف الرماة الخمسون الذين صفهم الرسول - ﷺ - في ثغرة بالجبل أمره . .
فأصيب أصحاب الرسول بهزيمة مفاجئة . . غير متوقعة . . وحاول بعض
المشركين قتل الرسول . . رماه عبد الله بن قميئة فدخلت حلقتان من المغفر في
وجنته، ووقع الرسول - ﷺ - في حفرة حفرها المشركون فأخذ علي بن أبي
طالب بيده ورفع طلحة بن عبيد الله . . حدث كل هذا للرسول في يوم أُحُدٍ
حتى ظن المشركون أنه قُتِلَ وأشاعوا ذلك بين المسلمين لينالوا من عزائمهم،
وليثبطوا من هممهم، وليردوهم عن دينهم إن استطاعوا . . ولكن المسلمين
كانوا أثبت جنائاً رغم مرارة الهزيمة، ورغم كثرة الشهداء، ورغم ما حاق بهم
من اضطراب . . فوقف ثابت بن الدحداح ينادى بصوت جليجل في كل أرجاء
الجبل:

يا معشر الأنصار . . إلى . . إلى . . إن كان محمد قد قتل، فإن الله حيٌّ
لا يموت . فقاتلوا عن دينكم . . قوموا وموتوا على ما مات عليه الرسول . .
وما إن فرغ من ندائه حتى نهض إليه نفر من الأنصار وراحوا يقاتلون المشركين
في استماتة واستبسال . . ولكنهم كانوا في مواجهة جيش كثيف السلاح
يتقدمه خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبي جهل - قبل
إسلامهم - فدار قتال عنيف بين الأنصار والمشركين . . بيد أن خالد بن الوليد
تمكّن بكفائه القتالية من أن يطعن ثابت بن الدحداح بالرمح طعنة نافذة، وقع
على أثرها شهيداً .

وعندما قام المسلمون بدفن الشهداء . . قال رسول الله - ﷺ -:

«ما من جريح يجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى اللون لون الدم، والريح ريح المسك»^(١).

وتحت ثرى جبل أحد ترقد أجساد الأبطال، ويقف التاريخ خاشعاً على كل قبر... يتمم بعبارات الشاء والإطراء... وإن كان ما فعله هؤلاء الشهداء فوق الشاء والإطراء.

(١) هذا الحديث ثابت في «الصحیحین» من غير هذا الوجه.

[٥٢] سَعْدُ بْنُ عَبَّادَةَ

«سَيِّدُ الْخَزْرَجِ»

السيد الكبير الشريف، أبو قيس الأنصاريُّ الخزرجيُّ الساعديُّ المدنيُّ النقيب سيِّدُ الخزرجِ .

أمه «عمرة بنت مسعود» من المبايعات . وهو أحد النقباء . شهد العقبة مع السبعين والمشاهد كلها خلا بَدْرًا فإنه تهيأ للخروج فلُدغ فأقام^(١) . وكان جواداً سخياً .

وكان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يكتب في الجاهلية ويحسن الرمي والعموم . . وكانت العرب تسمى من اجتمعت هذه الأشياء فيه : الكامل .

جوده:

كان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يضرب به المثل في الجود والكرم .

وكانت له جَفَنَةٌ تدور مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في بيوت أزواجه .

وعن محمد بن سيرين ، قال :

كان أهل الصَّفَّةِ إذا أمسوا انطلق الرجل بالرجل ، والرجلين بالرجلين ، والرجل بالخمسة . فأما سعد بن عبادة فكان ينطلق بثمانين كل ليلة .

وعن يحيى بن أبي كثير ، قال :

كانت لرسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من سعد بن عبادة جَفَنَةٌ من ثريد في كل يوم ، تدور معه أينما دار من نسائه .

وكان إذا انصرف من صلاة مكتوبة قال :

(١) قال البخاري في «تاريخه» : إنه شهد بَدْرًا . وتبعه ابن منده .

«اللهم ارزقنى مالاً أستعين به على فعالى فإنه لا يصلح الفعال إلا المال» .

وعن عروة، عن أبيه أن سعد بن عبادة كان يدعو:

«اللهم هب لى حمداً، وهب لى مجداً، لا مجد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال، اللهم لا يصلحنى القليل ولا أصلح عليه» .

وعن ابن سيرين:

أن سعد بن عبادة كان يبسط ثوبه ويقول: اللهم وسّع علىّ، فإنه لا يسعنى إلا الكثير .

قلت: وطلب السعة فى المعيشة لإصلاح المعاش والمعاد . . ليس أمراً منكراً . . بل حض الإسلام عليه . . وفى الدعاء المأثور:

«اللهم اغفر لى ذنبى، ووسّع لى فى دارى، وبارك لى فى رزقى» .

غيرته:

كان سعد بن عبادة - رضي الله عنه - شديد الغيرة . . لما أنزل الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلَدُوهُنَّ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ (١) .

قال سعد: يا رسول الله لو وجدت مع أهلى رجلاً لم أمسّه حتى آتى بأربعة شهداء؟

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «نعم» .

قال: كلا، والذى بعثك بالحق: إن كنت لأعاجله بالسيف قبل ذلك .

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «اسمعوا إلى ما يقول صاحبكم: إنه لغيرور، وأنا أغير منه، والله أغير منى» (٢) .

(١) سورة النور: ٤، ٥ .

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٤٩٨) (١٦) فى «اللعان» دون سبب نزول .

فجاءت الآيات بعدها: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ...﴾ (١).

قلت: وما أحوجنا في هذا العصر إلى هذه النخوة التي ماتت!!.. لقد نفشت «الدياثة» في عصرنا بصورة لم يسبق لها مثيل.. وفقد كثير من الناس حاسة الشم وألفوا العادات الغربية.. وتابعوا الأمم الكافرة في مظاهرهم.. وأحوالهم حذو القذة بالقذة. وحذو النعل بالنعل!!.

ومن صور الدياثة في عصرنا:

الإغضاء عن البيت أو المرأة في البيت وهي تتصل بالرجل الأجنبي بحادثتها وتحادثه بما يسمى بالمغازلات.

وأن يرضى بخلوة إحدى نساء بيته مع رجل أجنبي.

وكذا ترك إحدى النساء من أهل البيت تترك بمفردها مع أجنبي كالسائق ونحوه - مسافات طويلة -.

وأن يرضى بخروجهن دون حجاب يتفرج عليهن الغادى والرائح. وكذا جلب الأفلام والمجلات التي تنشر الفساد والمجون وإدخالها البيت، أو السماح لزوجته بمراقبة الرجال!!.

فمتى تستيقظ فينا الغيرة.. وتصحو فينا النخوة.

قال - ﷺ -: «ثلاثة حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقرّ في أهله الخبث» (٢).

وكان الحسن البصرى - رحمه الله تعالى - يقول:

«أتدعون نساءكم ليزاحمن العلوج في الأسواق!! قبّح الله من لا يغار».

ولو نظر المرء منا إلى حيوان ضعيف أليف وديع مثل الحمام فإنه يجد أن أتى الحمام لا تسمح لغير ذكرها أن يعلوها، وكذلك لا يسمح لغيره أن

(١) سورة النور: ٦ - ٩.

(٢) صحيح: رواه أحمد، صحيح الجامع (٣٠٤٧).

يمتطيها، بل لا يفكر أصلاً أيُّ ذَكَرٍ أن ينزو على غير أليفته، بما فطره الله عليه، فحافظ على هذه الفطرة بلا اختلال، فأين الشهامة يا رجال؟!

وفاته:

تُوفى سعد بن عبادة - رضي الله عنه - «بحوران» من أرض الشام. وقد أجمع علماء السير وكتب التاريخ - تقريباً - على أن «الجن» كان سبباً في موته ^(١)!! .

قال ابن سيرين:

إن سعداً بال قائماً، فمات!! فَسَمِعَ قَائِلٌ يَقُولُ:

قد قتلنا سيِّد الخزرج سعد بن عبادة
ورميناه بسهمين فلم نُخط فؤاده
وروى سعيد بن أبي عروبة:

عن ابن سيرين: أن سعد بن عبادة بال قائماً، وقال: إني أجد ديبياً. وعن أبي رجاء، قال:

«قتل سعد بن عبادة بالشام، رمته الجنُّ بِحوران».

وقالوا: جلس يبول في نَقَقٍ، فمات من ساعته. ووجدوه قد اخضرَّ جلده. والله أعلم. - رضي الله عنه - .

(١) راجع: السير (٢٧٨/١)، طبقات ابن سعد (١٤٥/٢/٣)، أسد الغابة (٣٥٨/٢) وغيرهم. قلت: وثبت في «صحيح مسلم» قصة الشاب الذي كان يحفر الخندق.. وكان حديث عرس.. فاستأذن من النبي - صلى الله عليه وسلم - في الذهاب لأهله.. فرأى حية في بيته فضربها بالسيف فقتلها وقُتل هو في الحال! .

[٥٣] عَبَادُ بْنُ بَشْرٍ

«الوليّ الشهيد»

من هو؟

هو: عباد بن بشر بن وقش الأنصاري.

كان من سادة الأوس، عاش - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - خمساً وأربعين سنة، أسلم على يد مصعب بن عمير، وكان أحد من قَتَلَ كعب بن الأشرف اليهودي، واستعمله النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على صدقات مُزِينَةَ، وبنى سُليم، وجعله على حرسه في غزوة تبوك، وكان كبير القَدْرِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، أبلى يوم اليمامة بلاءً حسناً، وكان أحد الشجعان الموصوفين.

تعبده:

● عن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا -، قالت:

تهجد رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في بيتي، فسمع صوتَ عَبَادِ بْنِ بَشْرٍ.
 فقال: «يا عائشة! هذا صوتُ عَبَادِ بْنِ بَشْرٍ؟».

قلت: نعم.

قال: «اللهم اغفر له» أخرج البخاري معلقاً ووصله أبو يعلى.

● وفي غزوة ذات الرِّقَاع^(١).. نزل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - منزلاً.

فقال: «من رجل يكلؤنا^(٢) ليلتنا هذه؟».

(١) روى البخاري عن أبي موسى الأشعري قال: خرجنا مع النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في غزاة ونحن ستة بيننا بغير نعتبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدمائنا وسقطت أظفارنا فكننا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرِّقَاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا.

(٢) يكلؤنا: يحفظنا.

قال: فانتدب رجلٌ من المهاجرين، ورجل آخر من الأنصار، فقالا:
نحن يا رسول الله.

قال: «فكونا بفم الشعب».

قال: وكان رسول الله - ﷺ - وأصحابه قد نزلوا إلى شعب من
الوادي، وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر، فيما قال ابن هشام.
فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب.

قال عباد بن بشر لعمار بن ياسر: أيّ الليل تحبّ أن أكفيك: أوّله أم
آخره؟

قال: بل اكفني أوّله.

قال فاضطجع عمار بن ياسر فنام، وقام عباد بن بشر يصليّ.

فأتى رجل من العدو، فلما رأى عبّاداً عَرَفَ أنه يحرس القوم، فرمى
بسهم، فوضعه فيه.. فنزعه عبّاد فوضعه وثبت قائماً!!.. فرماه الرجل
بسهم آخر، فوضعه فيه.. فنزعه فوضعه، وثبت قائماً!!.. ثم عاد له
بالثالث، فوضعه فيه.. فنزعه عباد فوضعه ثم ركع وسجد ثم أيقظ صاحبه
فقال:

اجلس فقد أثبت^(١).

فوثب عمار.. فلما رآهما الرجلُ عرف أن قد نذرا به، فهرب ولما
رأى عمار ما بعبّاد من الدماء، قال:

سبحان الله! أفلا أهببتني أوّل ما رماك؟

فقال عبّاد: كنتُ في سورة أقرؤها فلم أحبّ أن أقطعها حتى
أنفذها^(٢)، فلما تابع على الرمي ركعتُ فأذنتك، وإيمُ الله لولا أن أُضيع ثغراً
أمرني رسول الله - ﷺ - لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها!!.

(١) أثبت: أي جرحتُ جرحاً لا يمكن التحرك منه.

(٢) أي: انتهى من قراءتها.

هكذا كان أصحاب رسول الله - ﷺ - يتفاعلون مع القرآن . . فأين نحن من هذا الإيمان؟!!

كرامة:

الكرامة ثابتة لأولياء الله الصالحين . . لا يمارى فى ذلك عاقل . . وعباد ابن بشر - ﷺ - كان من هؤلاء الأولياء الذين جرت على أيديهم كرامات .
فعن أنس بن مالك - ﷺ - : أن أُسَيْدَ بن حُضَيْرٍ وَعَبَّادَ بن بشر كانا عند النبي - ﷺ - فى ليلة مظلمة فخرجا من عنده، فأضاءت عصا أحدهما، فكانا يمشيان بضوئها. فلما افترقا أضاءت عصا هذا وعصا هذا!!»^(١).

الشهادة:

وفى يوم «اليمامة» لما دارت رحى الحرب بين جيش المسلمين وجيش مسيلمة الكذاب . . أبلى عَبَّادُ بن بشر بلاءً حسنًا. وجاهد فى الله حق جهاده . . وكان يصيح فى أرض المعركة:
«احْطَمُوا جفونَ السيفِ» .
وقاتل حتى قُتِلَ بضربات فى وجهه، - ﷺ - .

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣/١٣٨)، والحاكم فى «المستدرک» (٣/٢٨٨).

[٥٤] سعيد بن عامر

«الأمير الزاهد!»

التعريف به:

هو: سعيد بن عامر بن حذيم بن سلامان بن ربيعة الجمحيّ .
 أسلم - رضي الله عنه - قبل خيبر وشهداها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما بعدها .
 وهو أحد الزهاد العبّاد . . الذين تعلقت قلوبهم بالآخرة . . فكان
 - رضي الله عنه - ممن عناهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافاً،
 وقنعه الله بما آتاه» رواه مسلم .
 وكان -رضى الله تعالى عنه- شديد المحاسبة لنفسه . . يكره الإمارة . .
 خشية الحساب .

وكان خفيف الحمل من متاع الحياة، إلا أنه كان يحمل إيماناً أثقل من
 الجبال!! وبلا شك فهذه المؤهلات تُرقيّه إلى مصاف القادة الذين ترشحهم
 قدراتهم إلى عز الدارين .

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في عهده - ينتقى ولاته من هذا النوع
 الفريد . . فسقطت عينه عليه . . فأرسل إليه ودار بينهما هذا الحوار العجيب:

قال له عمر: إني مستعملك على أرض كذا وكذا [بحمص] .

فقال سعيد: لا تفتنى يا أمير المؤمنين .

فقال عمر: والله لا أدعك، قلدتموها في عنقي وتركتموني؟!!

وقبل أن يخرج سعيد إلى «حمص» قال له عمر: ألا نفرض لك رزقاً؟

قال سعيد: قد جعل الله تعالى في عطائى ما يكفينى دونه أو فضلاً

على ما أريد!!!

وخرج سعيد بن عامر -رضي الله عنه- ومعه زوجته متجهاً إلى «حمص» والياً عليها.

فما لبث إلا يسيراً حتى أصابته حاجة شديدة.. فبلغ ذلك عمر فبعث إليه بألف دينار.

فدخل سعيد بها على امرأته فقال: إن عمر بعث إلينا بما ترين.

فقالت: لو أنك اشتريت أدمًا وطعاماً وادّخرت سائرهما.

فقال لها: أو لا أدلك على أفضل من ذلك؟ نعطي هذا المال من يتجر لنا فيه فنأكل من ربحها وضمّانها عليه.

قالت: فنعّم إذًا.

فاشترى أدمًا وطعاماً واشترى غلامين وبعيرين يمتاران عليهما حوائجهم وفرقها على المساكين وأهل الحاجة!!

فما لبث إلا يسيراً حتى قالت له امرأته:

إنه قد نفذ كذا وكذا فلو أتيت ذلك الرجل فأخذت لنا من الربح فاشتريت لنا مكانه^(١)؟

فسكت سعيد -رضي الله عنه-.. ثم عاودته فسكت عنها حتى آذته ولم يدخل بيته إلا من ليلٍ إلى ليلٍ.

وكان رجل من أهل بيته ممن يدخل بدخوله.

فقال لها: ما تصنعين؟ إنك قد آذيتَه وإنه تصدق بذلك.

قال: فبكت أسفاً على ذلك المال.

فقال لها سعيد:

«على رسلك إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب ما أحب أني صدقت عنهم وإن لي الدنيا وما فيها، ولو أن خيرة من خيرات الجنان اطلعت

(١) لم تعلم أنه تصدق بالمال.

صور ومواقف من حياة الصحابة

من السماء لأضاءت لأهل الأرض ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر،
ولنصيف تكسى به خير من الدنيا وما فيها فلأنتِ في نفسى أدعك لهنّ من أن
أدعهنّ لك . فسَمَحَتْ وَرَضِيَتْ .

وتمرُّ الأيام . . ويقوم «عمر بن الخطاب» - رضي الله عنه - بزيارة لأهل حمص
ليتفقد أحوال أهلها . . ويطمئن على خط سير واليه عليها «سعيد بن عامر»
ويفاجأ عمر بما لم يتوقعه! .

ماذا حدث؟

عن مالك بن دينار، قال:

«لما أتى عمر - رضي الله عنه - الشام طاف بكورها . قال:

فنزل بحضرة حمص فأمر أن يكتبوا له فقراءهم .

قال: فرفع إليه الكتاب فإذا فيه «سعيد بن عامر بن حذيم» أميرها!!

فقال: من سعيد بن عامر؟

قالوا: أميرنا .

قال: أميركم؟

قالوا: نعم .

فعجب عمر ثم قال: كيف يكون أميركم فقيراً . أين عطاؤه؟ أين رزقه؟

قالوا: يا أمير المؤمنين لا يمك شيئاً!!

فبكى عمر ثم عمد إلى ألف دينار فصرّها ثم بعث بها إليه .

وقال: أقرئوه مني السلام وقولوا بعث بهذه إليك أمير المؤمنين تستعين

بها على حاجتك .

قال: فجاء بها إليه الرسول فنظر فإذا هي دنانير .

قال: فجعل يسترجع .

قال: تقول له امرأته: ما شأنك يا فلان أمت أمير المؤمنين؟

قال: بل أعظم من ذلك.

قالت: فما شأنك؟

قال: الدنيا أتتني، الفتنة دخلت عليّ.

قالت: فاصنع فيها ما شئت.

قال: عندك عون؟

قالت: نعم.

قال: فأخذ دُرَيْعَةَ فصرّ الدنانير فيها صراراً ثم جعلها في مخلاة ثم اعترض جيشاً من جيوش المسلمين فأمضاها كُلَّهَا.

فقالت له امرأته: رحمك الله لو كنت حبست منها شيئاً نستعين به.

قال: فقال لها: إني سمعتُ رسول الله - ﷺ - يقول: «لو اطلعت

امرأة من نساء أهل الجنة إلى أهل الأرض لملاّت ريح مسك» وإني والله ما كنت لأختارك عليهنّ. فسكتت.

شكاوى:

قال خالد بن معدان:

لَمَّا قَدِمَ عَمْرُ «حِمص» قَالَ: يَا أَهْلَ حِمصِ كَيْفَ وَجَدْتُمْ عَامِلَكُمْ؟

فشكوه إليه - وكان يقال لأهل حمص الكويفة الصغرى لشكايتهم

العمال -.

قالوا: نشكوه أربعاً:

لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار.

قال عمر: أعظم بها وماذا؟

قالوا: لا يُجيب أحداً بليل.

قال: وعظيمة. وماذا؟

قالوا: له يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا.

قال: عظيمة. وماذا؟

قالوا: يَغْنِظُ الغنظة بين الأيام -أى تأخذه موتة-.

قال: فجمع عمر بينهم وبينه وقال: اللهم لا تقيّل رأى فيه اليوم ما تشتكون منه؟

قالوا: لا يخرج حتى يتعالى النهار.

قال سعيد: والله إن كنت لأكره ذكّره، إنه ليس لأهلى خادم فأعجن عجينهم ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم.

فقال عمر: ما تشتكون منه؟

قالوا: لا يجيب أحداً بليل.

قال: إن كنت لأكره ذكّره، إني جعلتُ النهار لهم وجعلتُ الليل لله عزّ وجل.

قال عمر: وما تشتكون منه؟

قالوا: إن له يوماً في الشهر لا يخرج إلينا فيه.

قال: ليس لى خادم يغسل ثيابى ولا لى ثياب أبدالها فأجلس حتى تجفّ ثم أدلكها ثم أخرج إليهم من آخر النهار.

قال: ما تشكون منه؟

قالوا: يَغْنِظُ بين الأيام.

قال: شهدت مصرع حُبيب الأنصارى بمكة وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذع فقالوا: أتحب أن محمداً مكانك؟

فقال: والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى وأن محمداً شريك بشوكة... فما ذكرت ذلك اليوم وتركى نصرته فى تلك الحال وأنا مشرك لا

أؤمن بالله العظيم إلا ظننت أن الله عزّ وجلّ لا يغفر لي بذلك الذنب أبداً^(١) فتصيبني تلك الغنظة.

فقال عمر: الحمد لله الذي لم يفيل فراستي.

فبعث إليه بألف دينار وقال: استعن بها على حاجتك.

فقال امرأته: الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك.

فقال لها: فهل لك في خير من ذلك؟

ندفعها إلى من يأتيها بها أحوج ما نكون إليها.

قالت: نعم.

فدعا رجلاً من أهله يثق به فصرّرها صرراً ثم قال:

انطلق بهذه إلى أرملة آل فلان، وإلى مسكين آل فلان، وإلى مبتلى آل فلان. فبقيت منها ذهية.

فقال: انفقى هذه ثم عاد إلى عمله.

فقالت: ألا تشتري لنا خادماً ما فعل ذلك المال؟!

قال: «سيأتيك أحوج ما تكونين».

وهكذا دخل سعيد بن عامر في الإمارة وخرج منها ولم يتلبس منها بشيء! وذلك هو الفضل الكبير.

وفاته:

وبعد حياة حافلة بالتقوى والورع. . يشع منها نور الإخلاص.

مات سعيد بن عامر - رضي الله عنه - في سنة عشرين في خلافة «عمر بن الخطاب» ليجد ما قدّم عند ربه ﴿هو خيراً وأعظم أجراً﴾.

(١) الإسلام يَجِبُ ما كان قبله.

[٥٥] سهيل بن عمرو

«إن سهيلاً له عقلٌ وشرفٌ» حديث شريف

من هو؟

هو: سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود. . . يكنى أبا يزيد، وكان خطيب قريش، وفصيحهم، ومن أشرفهم، والمنظور إليه منهم. شهد مع المشركين بدرًا، فأسره مالك بن الدخشم، ثم إنه أفلت، فخرج النبي ﷺ - في طلبه، وقال: «من وجدته فليقتله».

فوجده رسول الله ﷺ - فأمر به فربطت يده إلى عنقه، ثم قرنه إلى راحلته، فلم يركب حتى ورد المدينة، ثم قدم في فدائه «مكرز بن حفص» فبذل أربعة آلاف.

فقالوا: هات المال.

قال: نعم، اجعلوني في مكانه رهناً حتى يرسل إليكم.

فخلى سبيل سهيل، وحبسوا «مكرزاً» فبعث سهيل بالمال وسهيل هو الذي خرج إلى رسول الله ﷺ - بالحديبية، وكتب القضية على أن يرجع رسول الله ﷺ - في ذلك العام، ويعود من قابل، فأقام على دينه إلى زمان الفتح.

وكانت له قصة أثناء كتابة الصلح^(١). . . فلقد دعا رسول الله ﷺ -

على بن أبي طالب، فقال: «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم».

فقال سهيل: «لا أعرف هذا، ولكن اكتب: باسمك اللهم».

(١) أى: أثناء صلح الحديبية.

فقال رسول الله - ﷺ - : «اكتب: باسمك اللهم» .

فكتبها .

ثم قال - ﷺ - : «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو» .

فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب: اسمك واسم أبيك!

فقال رسول الله - ﷺ - : «اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو» .

وأخرج البخارى فى «صحيحه» «صالح النبى ﷺ - المشركين يوم الحديبية على ثلاثة أشياء:

على أن من أتاه من المشركين رده إليهم، ومن أتاهم من المسلمين لم يردّوه، وعلى أن يدخلها من قابل ويقيم بها ثلاثة أيام، ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح: السيف والقوس ونحوه» وفى رواية: «بينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى قيوده^(١)، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين .

فقال سهيل: هذا - يا محمد - أول من أقاضيك عليه أن ترده إلى .

فقال النبى ﷺ - : «إنا لم نقض الكتاب بعد» .

قال: فوالله إذا لم أصلحك على شىء أبداً .

قال النبى ﷺ - : «فأجزه لى» .

قال: ما أنا بمجيزه لك .

قال: «بلى فافعل» .

(١) كان أبو جندل من خيار الصحابة، وقد أسلم وحبسه أبوه وقيده، فلما كان يوم صلح الحديبية، هرب يحجل فى قيوده، وأبوه حاضر بين يدي رسول الله .

قال: ما أنا بفاعل.

قال أبو جندل: أي معشر المسلمين! أُرِدَّ إلى المشركين وقد جئتُ مسلماً؟ ألا ترون ما قد لقيتُ؟ وكان قد عذَّب عذاباً شديداً في الله...».

وفي رواية: وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته:

«يا معشر المسلمين، أُرِدَّ إلى المشركين يفتنونني في ديني؟».

فزاد ذلك الناس ما بهم.

وقال رسول الله - ﷺ -: «يا أبا جندل.. اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنّا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله، وإنّا لا نغدر بهم». وعاد سهيل بابنه أبي جندل.

قال الذهبي: «ثم خلع - ﷺ - وهاجر، وجاهد، ثم انتقل إلى جهاد الشام، فتوفى شهيداً في طاعون «عمّواس» بالأردن سنة ثمانى عشرة - ﷺ -».

أما أبوه (سهيل) فتأخر إسلامه إلى يوم «الفتح» ثم حسن إسلامه.

قصة إسلامه:

يروى سهيل بن عمرو - ﷺ - قصة إسلامه فيقول: «لما دخل رسول الله - ﷺ - مكة اقتحمت بيّتي وغلقت على بابي، وأرسلت إلى ابني عبد الله^(١) - وكان عبد الله قد أسلم وشهد بدرًا: اطلب لى جواراً من محمد فإني لا آمن أن أقتل، فذهب عبد الله إلى رسول الله - ﷺ -، فقال: يا رسول الله، أبيت تؤمنه؟

فقال: «نعم هو آمن بأمان الله عزّ وجلّ فليظهر».

ثم قال رسول الله - ﷺ - لمن حوله:

(١) عبد الله: ولده الثانى.. واستشهد - ﷺ - يوم اليمامة.

«من لقي سهيل بن عمرو فلا يشدّ النظر إليه، فلعمري إن سهيلاً له عقل وشرف وما مثل سهيل جهل الإسلام».

فخرج عبد الله بن سهيل إلى أبيه فأخبره بمقالة رسول الله - ﷺ - .

فقال سهيل : وكان والله براً صغيراً وكبيراً .

فكان سهيل يُقبل ويُدبر آمناً، وخرج إلى حنين مع رسول الله - ﷺ - وهو على شركه حتى أسلم بالجعرانة، فأعطاه رسول الله - ﷺ - من غنائم حنين مائة من الإبل !! .

عن ابن قمازين ، قال :

«لم يكن أحد من كبراء قريش الذين تأخر إسلامهم فأسلموا يوم فتح مكة أكثر صلاة ولا صوماً ولا صدقة ولا أقبل على ما يعينه من أمر الآخرة من سهيل بن عمرو، حتى إن كان لقد شحب وتغير لونه، وكان يكثر البكاء رقيقاً عند سماع القرآن» .

ولقد رؤى يختلف إلى معاذ بن جبل يقرئه القرآن وهو بمكة حتى خرج معاذ من مكة، وحتى قال له ضرار بن الخطاب :

يا أبا يزيد، تختلف إلى هذا الخزرجي يقرئك القرآن، ألا يكون اختلافك إلى رجل من قومك؟

فقال سهيل : يا ضرار، إن هذا الذي صنع بنا ما صنع حتى سبقنا كلّ سبق، إني لعمري أختلف إليه، فقد وضع أمر الجاهلية، ورفع أقواماً بالإسلام كانوا في الجاهلية لا يذكرون، فليتنا كنا مع أولئك فتقدمنا، وإني لأذكر ما قسم الله لي في تقدم إسلام أهل بيتي الرجال والنساء ومولاي عمير ابن عوف فأسرّ به وأحمد الله عليه، وأرجو أن يكون الله نفعني بدعائهم أن لا أكون متّ أو قتلتُ على ما مات نظرائي أو قتلوا، قد شهدت مواطن كلّها أنا فيها معاند للحق: يوم بدر، ويوم أُحد، والخندق، وأنا وليت أمر الكتاب يوم الحديبية، يا ضرار إني لأذكر مراجعتي رسول الله - ﷺ - يومئذ، وما كنتُ أَلظ به من الباطل، فأستحي من رسول الله - ﷺ - وأنا بمكة وهو

بالمدينة، ولكن ما كان فينا من الشرك أعظم من ذلك. ولقد رأيتني يوم بدر وأنا في حيز المشركين وأنا أنظر إلى ابني عبد الله ومولاي عمير بن عوف قد فرأ مني فصارا في حيز محمد - ﷺ -، وما عمى على يومئذ من الحق لما أنا فيه من الجهالة، وما أرادهما الله به من الخير، ثم قتل ابني عبد الله بن سهيل يوم اليمامة شهيداً، فعزاني أبو بكر - رضيه - وقال: قال رسول الله - ﷺ -: «إن الشهيد ليشفع لسبعين من أهل بيته»^(١)، فأنا أرجو أن أكون أول من يشفع له».

قال الإمام الذهبي:

«وكان - رضيه - سمحاً جواداً مفوهاً. وقد قام بمكة خطيباً عند وفاة رسول الله - ﷺ -، بنحو من خطبة الصديق بالمدينة، فسكنهم وعظم الإسلام».

وعن الحسن، قال:

«حضر باب عمر بن الخطاب سهيل بن عمرو، والحاتر بن هشام، وأبو سفيان بن حرب، ونفر من تلك الرؤوس، وصهيب، وبلال، وتلك الموالى الذين شهدوا بدرًا، فخرج آذن عمر بن الخطاب - رضيه - فأذن لهم وترك هؤلاء!!».

فقال أبو سفيان: لم أرَ كالיום قطّ يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه لا يلتفتُ إلينا؟

فقال سهيل بن عمرو - وكان رجلاً عاقلاً -:

أيها القوم إنى والله قد أرى الذى فى وجوهكم، إن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم، دعى القوم ودعيتم فأسرعوا وأبطأتم فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتهم؟!

أما والله لما سبقوكم إليه من الفضل مما لا ترون أشدُّ عليكم فوتاً من بابكم هذا الذى كنتم تنافسونهم عليه.

(١) صحيح: بلفظ «الشهيد يشفع فى سبعين من أهل بيته» صحيح سنن أبى داود (٢٢٠١).

قال: ونفّض ثوبه وانطلق.

قال الحسن: وصدق والله سهيل، لا يجعل الله عبداً أسرع إليه كعبدٍ أبطأ عنه.

وخرج سهيل - رضي الله عنه - إلى الشام مرابطاً فمات في طاعون عمّواس سنة ثمانى عشرة - رضي الله عنه - .

وقال المدائنى وغيره: استشهد يوم اليرموك. فالله أعلم.

[٥٦] عُمَيْرُ بْنُ وَهَبِ الْجُمَحِيِّ

«من الظلمات إلى النور»

عن عروة بن الزبير، قال:

جلس عُمَيْرُ بْنُ وَهَبِ الْجُمَحِيِّ مع صفوان بن أمية بعد مُصَابِ أَهْلِ بَدْرٍ من قريش في «الحجر» بيسير، وكان عُمَيْرُ بْنُ وَهَبِ شَيْطَانًا من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله - ﷺ - وأصحابه، ويلقون منه عناءً وهو بمكة، وكان ابنه وَهْبُ بْنُ عُمَيْرٍ في أسارى بدر.

قال ابن هشام: أسره رفاعة بن رافع أحد بني زريق.

قال عروة: فذكر - أي عمير - أصحاب القليب ومصابهم (١).

فقال صفوان: والله ما آن في العيش بعدهم خير.

قال له عُمَيْرُ: صدقت والله، أما والله لولا دينٌ عليّ ليس له عندي قضاء، وعيالٌ أخشى عليهم الضيعة بعدى، لركبتُ إلى محمد حتى أقتله، فإن لي قبلهم علة: ابني أسير، في أيديهم.

قال: فاغتنمها صفوان وقال: عليّ دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، ولا يسعني شيءٌ ويعجز عنهم.

فقال له عُمَيْرُ: فاكنتم عنى شأني وشأنك.

قال: أفعل.

قال: ثم أمر عُمَيْرُ بِسَيْفِهِ، فَشَحَذَ لَهُ (٢) وَسَمًّا، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر،

(١) القليب: المكان الذي دفن فيه صنائد الكفر الذين قُتلوا في بدر.

(٢) فشحذ له: أي حد له، تقول: شحذت السكين إذا أعددتها.

ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم من عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير ابن وهب حين أناخ على باب المسجد متوشحاً بالسيف.

فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب، والله ما جاء إلا لشرّ، وهو الذي حرّش^(١) بيننا، وحرّزنا^(٢) للقوم يوم بدر.

ثم دخل عمر على رسول الله - ﷺ - فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه.

قال - ﷺ - : «فأدخله علي».

قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبّيه بها، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله - ﷺ - فاجلسوا عنده، واحذروا عليه هذا الخبيث، فإنه غير مأمون، ثم دخل به على رسول الله - ﷺ - .

فلما رآه رسول الله - ﷺ - ، وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه.

قال: «أرسله يا عمر، ادن يا عمير».

فدنا ثم قال: انعموا صباحاً، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم.

فقال رسول الله - ﷺ - : «قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير،

بالسلام تحية أهل الجنة».

فقال: أما والله يا محمد إن كنت بهذا لحديث عهد.

قال - ﷺ - : «فما جاء بك يا عمير؟».

قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه.

قال: «فما بال السيئ في عنقك؟».

قال: قبّحها الله من سيوف! وهل أغنت عنا شيئاً!

قال: «اصدقني، ما الذي جئت له؟».

(١) حرش بيننا: أفسد، والتحريش: الإفساد بين الناس وإغراء بعضهما ببعض.

(٢) حرزنا: قدر عددنا، تقول: هم محذورة ألف، تريد أنهم يقدرون بألف.

قال: ما جئتُ إلا لذلك.

قال - ﷺ -: «بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في «الحجر»، فذكرت ما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين علي وعيال عندي لخرجتُ أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك، علي أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك».

قال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إنني لا أعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هدأني للإسلام، وساقني هذا المساق. ثم شهد شهادة الحق.

فقال رسول الله - ﷺ -: «فقهوا أحاكم في دينه، وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره»، ففعلوا.

ثم قال: يا رسول الله، إنني كنتُ جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله عز وجل، وأحِبُّ أن تأذن لي، فأقدم مكة، فأدعوهم إلى الله تعالى، وإلى رسوله - ﷺ -، وإلى الإسلام، لعل الله يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنتُ أؤذي أصحابك في دينهم.

قال: فأذن له رسول الله - ﷺ -، فلاحق بمكة.

وكان صفوان بن أمية - حين خرج عمير بن وهب - يقول: أبشروا بوقعة تأتاكم الآن في أيام، تُنسيكم وقعة بدر، وكان صفوان يسأل عن الركبان، حتى قدم راکبٌ فأخبره عن إسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبداً، ولا ينفعه بنفع أبداً.

قال ابن إسحاق:

فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام، ويؤذي من خالفه أذى شديداً، فأسلم على يديه ناسٌ كثيرٌ^(١).

(١) إسناده حسن: أخرجه الطبراني في «تاريخه» (٢/٤٤-٤٦) والطبراني وأبو نعيم عن أنس موصولاً بسند صحيح. والطبراني في «المجمع» (٨/٢٨٦، ٢٨٧).

ولمّا فتح رسول الله - ﷺ - مكة . . حاول صفوان بن أمية الهرب إلى اليمن . . فكان لعمير بن وهب دور هام رغم المقاطعة التي كانت بينه وبين صفوان بسبب إسلامه وعدم تنفيذه لرغبة صفوان في قتل النبي - ﷺ - .

عن عروة بن الزبير، قال:

خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن!! .

فقال عمير بن وهب: يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيّد قومه، وقد خرج هارباً منك، ليقدف نفسه في البحر، فأمنه، صلى الله عليك .
قال: «هو آمن» .

قال: يا رسول الله، فأعطني آية يعرف بها أمانك؛ فأعطاه رسول الله - ﷺ - - عمامته التي دخل فيها مكة، فخرج بها عمير حتى أدركه، وهو يريد أن يركب في البحر .

فقال: يا صفوان فداك أبي وأمي، الله الله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان من رسول الله - ﷺ - - قد جئتُك به .
فقال: ويحك، اغرُب عني فلا تكلمني .

قال: أي صفوان، فداك أبي وأمي، أفضل الناس، وأبرُّ الناس، وأحلمُ الناس، وخيرُ الناس، ابن عمك، عزّه عزك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك .
قال: إني أخافه على نفسي .

قال: هو أحلم من ذاك وأكرم .

فرجع معه، حتى وقف به على رسول الله - ﷺ - .

فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك قد أمتنتني .

قال - ﷺ - : «صدق» .

قال: فاجعلني فيه بالخيار شهرين .

قال: «أنت بالخيار فيه أربعة أشهر»^(١).

قلت: ثم أسلم «صفوان» - رضي الله عنه - بعد الفتح، وحَسُن إسلامه، وشهد «اليرموك» مع المسلمين أميراً على كُرْدُوس^(٢).

وتحت راية الإسلام عاش الصديقان:

عُمير بن وهب.

وصفوان بن أمية.

وساهم كلُّ واحد منهما في بناء صرح الإسلام العظيم.. إلى أن ليلاً

نداء الله تعالى. - رضي الله عنهما -.

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/٥٤٣، ٥٤٤). وقال ابن عبد البر: لا أعلمه يتصل من وجه صحيح، وهو حديث مشهور معلوم عند أهل السير، وابن شهاب إمام أهلها، وشهرة هذا الحديث أقوى من إسناده - إن شاء الله -.

(٢) الكردوس: فرقة من الفرسان.

[٥٧] أسلم الحبشى

«الراعى الشهيد»

حدث فى أثناء معركة «خيبر» التى دارت رحاها بين المسلمين واليهود أن عبداً حبشياً أسود يسمى «أسلم» كان يرمى لسيده اليهودى غنمه . . فلماً رأى أهل خيبر يحملون السلاح، ويتأهبون للحرب سألهم: ما تريدون؟ قالوا: نقاتل هذا الذى يزعم أنه نبيّ . فوقع فى نفس «أسلم» ذكر النبوة وصاحبها . .

فماذا فعل؟

أتى رسول الله - ﷺ - وهو محاصرٌ، لبعض حصون خيبر، ومعه غنم سيده!، فقال لرسول الله - ﷺ -: ماذا تقول؟ وإلام تدعو الناس؟ فأجابه النبي - ﷺ -: «أدعو إلى الإسلام، وأن تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسوله، وأن لا تعبد غيره» .

قال العبد: فما لى إن شهدت وأمنت؟

قال: «لك الجنة إن مت على ذلك» .

فأسلم ثم قال: يا نبي الله . . إني كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم، وهى أمانة عندى، فكيف أصنع بها؟

قال: «اضرب فى وجوهها، فإنها سترجع إلى ربها»^(١) - أو كما قال - فقام، فأخذ حَفَنَةً من الحصى، فرمى بها فى وجوهها، وقال: ارجعى إلى صاحبك، فوالله لا أصحبك أبداً، فخرجت مجتمعة، كأن سائِقاً يسوقها، حتى دخلت الحصن، ثم تقدّم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين، فأصابه

(١) ربها: أى صاحبها.

حَجَرَ فقتله، وما صَلَّى لله صلاة قطّ، فَأَتَى به رسول الله - ﷺ -، فَوَضَعَ خَلْفَهُ، وَسَجَّى بِشِمْلَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رسول الله - ﷺ -، ومعه نفر من أصحابه، ثمَّ أَعْرَضَ عَنْهُ، فقالوا: يَا رسولَ اللهِ: لِمَ أَعْرَضْتَ عَنْهُ؟ قال: «إِنَّ مَعَهُ الْآنَ زَوْجَتِيهِ مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ»^(١).

قال ابن إسحاق: وأخبرني عبد الله بن أبي نجيح أنه ذكر له: أن الشهيد إذا ما أُصِيبَ تَدَلَّتْ له زوجته من الحُورِ العَيْنِ، تَنْفُضَانِ التراب عن وجهه، وتقولان: تَرَبَّ اللهُ وجهه من تَرَبِّكَ، وقتل من قتلِكَ^(٢).

فمن هو «أسلم» هذا الذي صار واحداً من أتباعه - ﷺ -؟

يقول الدكتور/ محمود عمارة - حفظه الله -:

«تأملت ما جاء في «أسد الغابة» فوجدتُ قبله «أسلم بن أوس» و«أسلم ابن بجرة» و«أسلم بن جبيرة».

أما صاحبنا فهو: أسلم.. فقط.. بلا جذور.. وبلا فروع! وقلتُ حسناً: فلنواصل المسير معه إلى نهاية الرحلة.. لنرى في شخصه رجلاً بلا نسب.. يصلون بالإيمان إلى أعلى الرتب.. ولئن كان له زملاء على طريق الإيمان.. يتسمون باسمه.. وهم بنسبهم في نقطة الضوء.. ولهم في التاريخ ذكر.. ولهم في المحافل مكان.. فقد تبوأ هو مكانه العلى بين هؤلاء جميعاً بسيرته العطرة.. وموقفه العظيم.. ولئن قَصُرَتْ لحظاتُ إيمانه.. فقد أطالها بإيمانه الذي وُلِدَ قوياً.. والذي حفر له في القلوب ذكرى.. لا تموت.. وجعل من هذا الموقف منارة على طريق الإيمان تبرز بركة الإيمان عندما يأوى إليه إنسان.

(١) الحديث: ذكره ابن كثير في «التاريخ» (٤/ ١٩٠، ١٩١) عن عروة مرسلًا.. ورواه الحاكم وصححه، وانظر: أسد الغابة (١/ ٩٢).

(٢) رواه ابن إسحاق بإسناد منقطع.

من هو أسلم:

إنه الراعى الأسمر.. جاء من إفريقيا إلى آسيا.. وتعاهد مع يهودى على أن يرعى له غنمه..

ولعل طبيعة المهنة.. وطبيعة صاحب الغنم تشكلان معاً صعوبة المهمة: بين غنم تحتاج رعايتها إلى صبر.. ومرونة.. وحكمة.. وبين يهودى ربما استغل خبرته بثمن بخس دراهم معدودة.. وكان فيه من الزاهدين.. أو من المعاندين.

فإذا أضفنا إلى ذلك إحساسه بالغربة فى بلاد بعيدة.. إلى جانب وحدته بلا أغصان متشابكة من أبناء العمومة والخؤولة.. تبين لك إلى أى حد كانت قسوة الظروف.. التى كانت من شأنها أن تجمد فى كيانه كل رغبة فى الطموح.. راضياً من الغنيمة بحفنة الغنم التى صارت فى ديباه كل ما يتمناه.

معنى اللقاء:

ولكن هذا الحصار المضروب على الأجير الفتى.. لم يردم فى نفسه نبع الهدى.. ولم يطمس صفاء الفطرة..

ومن خلال هذه الغيوم المتراكضة.. انفجر شعاعٌ اخترقها.. طالباً الخلاص.. فتلقاه الهادى البشير.. بقلب مفتوح على الكون كله: ولم يعرض عليه الإسلام كقضية فلسفية فيها من الإلزام.. ومن التشقيق ما يرهق العقل الغض الطرى.. وينفره من الإسلام.. لقد خسرت أمتنا كثيراً من طاقاتها يوم عرضت الإسلام من منطلق فلسفى محض.. لا يتجاوب مع الفطرة الباحثة عن الحقيقة.. بسيطة.. بازغة تشق بضيائها سدف الظلام.

وليت شعرى.. لو قُدر لأسلم أن يذهب إلى مجمع علمى.. حاملاً رغبته فى الخلاص إذن لعاد بمزيد من الشك.. الذاهب فى متاهات الأرض حيران..

وكم من علماء «أكاديميين» ولكن إيمانهم صغير.. إلى جانب فتى كأسلم.. يملك فى قلبه إيماناً.. كالجبال..

ذلك بأن شجرة الإيمان لا تتنافى بمزيد من الجدل الفارغ . . بقدر ما تتغذى بالعمل وبالذكر . . الذى تصير لها غذاءً ورياً . . وإذا كان لأسلم زملاء فى المَرعى: جمّدوا جوارحهم . . فلم تسع . . وعطلوا عقولهم . . فلم تفكر . . وأهملوا ملكاتهم فلم تستثمر . . فقد كان أسلم واسطة العقد فيهم عندما حطّم القيد . . وانطلق حرّاً باحثاً عن الحق .

بين الذكاء والعقل:

كان مع أسلم على أرض الجزيرة {أناس} وكان قبله زعماء أذكىاء . . من أمثال أبى جهل . . وعتبة وأمّية . .

ولكن «أسلم» الذى نزل عنهم فى سنّه . . قد علاهم فى قوله . . وقراره الحاسم . . فرمت به همته وراء سنّه . . دونهم جميعاً .

أجل . . لقد عاش «أسلم» واحداً من ألوف من البشر: عاشوا معه . . وتنفّسوا معه نفس الهواء . . وأكلوا وشربوا من نفس الطعام والشراب . . ولكنه سبقهم . . وبقي ذكره مخلداً . . فى الوقت الذى عفى الزمن على سير هؤلاء الأذكىاء . . مع ما كانوا يملكون من الجاه والمال والمنصب مما يراد به أن يشيع الذكر ويخلد الأثر . .

وكم من قصائد المديح التى تناقلتها وسائل الأعلام . . ثم صارت من بعد كلمات ميتة . متعفّنة!

وعامت قناطيرُ الخشب فوق الموج . . بينما ترسّب فى القاع درهم من الماس . . هو «أسلم . . الحبشى؟!» .

ونذكر هنا ما قاله كاتب يعتز بقلمه . وهو يخاطب «لويس الرابع عشر»: لقد نسي التاريخ اللالئ التى كانت فى تاجك أيها الإمبراطور ولكنه لا يزال يذكر الرقع التى كانت فى حدائى!! .

الإيمان يُعبّر عن نفسه:

انفجر ينبوع الإيمان فى قلب «أسلم» دفافاً . . وهكذا الإيمان الراسخ . .

لا يهدأ حتى يُعبر عن نفسه . . تعبيراً فورياً . . وبلا تردد . . لقد وُلد إيمانه قوياً . . فجاء التعبير عنه قوياً . . فى هذه الصورة الوفية . . وفى زمان ضاع فيه الوفاء . . وقل الأوفياء :

لقد كانت الغنم أمانة عنده . . لصاحبها اليهودى . . ويتقاضاه إيمانه أن يردَّ الأمانة إلى صاحبها . . ولو كان يهودياً .

وما هو ذا يعرض القضية على رسول الله - ﷺ - . . والذى أشار إليه بردّها . . فردّها . . فعادت بتوفيق الله . . لتؤكد لليهودى أن الإسلام غير متعطش لا إلى الدماء . . ولا إلى أكل أموال الناس بالباطل . . ولكنه دين الوفاء .

من العصا.. إلى السيف!:

قد يستنسر البغاث بأرضنا يوماً . . وقد يصنع الباطل قُوَّةً يتحول بها إلى تيس مستعار ينطح الحق بهذه القُوَّة الملقّقة «أحياناً» ولكن الحق يصنع هذه القوة التى تهزّمه كل حين! وكان «أسلم» رمزاً من رموز هذه القوة التى صنعها الحق على عينه . . وفى لحظة من زمان . .

لقد وُلد إيمانه راشداً . . فحملته همّته على الفور لينال شرف الجهاد مع القوة التى تحاصر «خيبر» .

وترك عصا الراعى . . ليحمل السلاح . .

لقد كان منذ قليل يتعامل مع الغنم . . ثم ها هو ذا يتعامل مع البشر . . على أشرف مستويات التعامل . .

نهاية البطل:

أخذ «أسلم» سيفه . . ولم يكذ يتجه نحو الحصن . . حتى أصابه حجرٌ . . فقتله وانتهت قصة حياته! ثم لتبدأ الحياة مرة أخرى، وفى الآخرة جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار . . وفى صحبة زوجته من الحور العين . .

صور ومواقف من حياة الصحابة

مع أنه لم يدخل الحصن . . ولم يسق تراب الأرض بدماء الأعداء . . بل لم يصل صلاة قط!؟ (١).

ولكن الأعمال بخواتيمها . . ونية المؤمن - أحياناً - خير من عمله وعلى الله قصد السبيل .

(١) شبابتنا بين العلم الناقص والعلم الجامد. ص ١٨٥ وما بعدها بتصرف.

[٥٨] عَدِيُّ بْنُ حَاتِمِ الطَّائِيِّ «الأمير الشريف»

وَفَدَّ عَدِيُّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي وَسْطِ سَنَةِ سَبْعٍ، فَأَكْرَمَهُ وَاحْتَرَمَهُ.

قِصَّةُ إِسْلَامِهِ:

يروى عدى بن حاتم - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قصة إسلامه فيقول:

«ما كان رجل من الغرب أشدَّ كراهية لرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - منِّي، وكنتُ امرأً شريفًا قد سُدتُّ قومي، فقلت: إن اتبعته كنت دنيًّا^(١). وكنتُ نصرانيًّا، فقلتُ لغلام لي: أعد لي من إبلى أجمالاً ذُلًّا^(٢) سمانًا أحبسها قريبًا مني، فإذا سمعتُ بجيش محمد قد وطئ هذه البلاد فأذني فإنني أرى خيله قد وطئت بلاد العرب كلها.

فلما كان ذات غداة جاءني غلامي فقال:

ما كنت صانعًا إذا غشيتك خيل محمد فأصنعه، فإنني قد رأيتُ رايات فسألتُ عنها فقليل: هذه جيوش محمد.

قلت: قَرَّب لي أجمالي، فقربها فاحتملتُ بأهلي وولدي، ثم قلتُ: ألحق بأهل ديني من النصراري بالشام، وخلفت ابنة حاتم^(٣) بالحاضر^(٤).

وتخالفتنى خيلُ رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فشنوا الغارة على محلة آل حاتم، فأصابوا نساءً وأطفالاً وشاءً وابنة حاتم، فقدم بها على رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

(١) دنيا: أى وضعياً.

(٢) ذللاً، جمع ذلول: وهو الجمل السهل الذى قد ريض.

(٣) هى سفانة، كما رجمه السهيلي.

(٤) الحاضر: الحى.

وقد بلغ النبي - ﷺ - هربى، فَجُعِلَتْ ابنة حاتم في حظيرة بيباب المسجد - كانت النساء يُحْبَسْنَ فيها - فمرَّ بها رسول الله - ﷺ - فقامت إليه، وكانت امرأة جميلة جزلة . .

فقالت: يا رسول الله، مات الوالد وغاب الوافد، فامنن عليَّ من الله عليك .

قال: «فإني فعلتُ فلا تعجلني بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة» .

. وفي رواية أخرى:

فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد وغاب الوافد فامنن عليَّ من الله عليك .

قال: «ومن وافدك؟» .

قالت: عدى بن حاتم .

قال: «الفار من الله ورسوله؟» .

قالت: ثم مضى رسول الله - ﷺ - وتركني حتى إذا كان من الغد مرَّ بي، فقلتُ مثل ذلك وقال مثل ذلك، حتى إذا كان بعد غد مرَّ بي وقد يسَّستُ فلم أقل شيئاً، فأشار إليَّ رجلٌ خلفه أن قومي فكلمي، فقامتُ فقلتُ: يا رسول الله، هلك الوالد وغاب الوافد فامنن عليَّ من الله عليك .

قال: «فإني قد فعلتُ فلا تعجلني بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك، ثم أذيني» .

قالت: فسألتُ عن الرجل الذي أشار إليَّ أن أكلمه، فقيل: هو عليُّ ابن أبي طالب، فأقامتُ حتى قدم ركب من قضاعه .

قالت: وإنما أريد أن أتى أخى بالشام، فجئتُ رسول الله - ﷺ -

فقلت:

قد جاء من قومي من لى ثقة وبلاغ، فكساني رسول الله ﷺ - وحملنى (١) وأعطانى نفقة، وخرجتُ معهم حتى قدمتُ الشام:

قال عدى: فوالله إنى لقاعد فى أهلى إذ نظرتُ إلى ظعينة (٢) تصوب إلى تؤمنا (٣). قلت: ابنة حاتم، فإذا هى هى، فلما قدمتُ على انسحلت (٤) تقول:

«القاطع الظالم، احتملتَ أهلِكَ وولدك. وتركتَ بقية والدك!».

قلتُ: يا أُخَيَّة لا تقولى إلا خيراً، فقلت: والله ما لى من عذر قد صنعت ما ذكرت، ثم نَزَّكَتُ فأقامت عندى.

فقلت: ما تَرَيْنِ فى أمر هذا الرجل، وكانت حازمة، فقالت:

أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فالسبق إليه أفضل، وإن يكن ملكاً فلن تذل فى عزِّ اليمين، وأنتَ أنتَ، وأبوك أبوك، مع أنى قد نبئتُ أن عليَّة أصحابه قومك الأوس والخزرج.

فخرجتُ حتى أقدمَ على رسول الله ﷺ -، فدخلتُ وهو فى مسجده، فسلمتُ عليه.

فقال: «من الرجل؟».

فقلتُ: عدى بن حاتم، فانطلق بى إلى بيته، فوالله إنه لعامد بى إلى بيته إذ لقيته امرأةً ضعيفة كبيرة فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه فى حاجتها، فقلت فى نفسى: والله ما هذا بملك، إن للملك حالاً غير هذا.

ثم مضى حتى إذا دخل بيته تناول وسادة من آدم مَحْشُوة ليقاً، فقدمها إلى فقال:

«اجلس على هذه».

(١) أى أعطائها ناقة تركبها.

(٢) الظعينة: المرأة فى هودجها. . أو فى غير هودجها.

(٣) تقصد وتؤم.

(٤) انسحلت: أخذت فى اللوم ومضت فيه مُجَدَّة.

قلت: لا ببل أنت. فجلس عليها فرأى في عنقي وثناً من ذهب، فتلا هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ (١).

قلت: والله ما كانوا يعبدونهم.

فقال: «أليس كانوا إذا أحلّوا لهم شيئاً استحلّوه وإذا حرّموا شيئاً حرّموه؟».

قلت: بلى.

قال: «فتلك عبادتهم».

وقال: «إيه يا عدى، ألم تكن تسير في قومك بالمرّباع في مال فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك!».

قلت: أجل والله. فعرفت أنه نبيّ مرسل.

ثم قال: «لعلك يا عدى إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن هذا المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعير حتى تزور هذا البيت، لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من الدخول أن الملك والسلطان في غيرهم، وإيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم».

قال عدى: فأسلمت.

وكان عدى يقول: قد مضت اثنتان وبقيت واحدة: فيض المال.

وفي رواية: فلقد رأيت اثنتين، وأحلف بالله لتجيئن الثالثة: يعني فيض المال (٢).

قلت: وفاض المال في عهد «عمر بن عبد العزيز» والحمد لله رب العالمين.

(١) سورة التوبة: ٣١.

(٢) إسناده قوى: أخرجه البزار، وهو في «المسند» من طريق آخر (٤/٣٧٧).

ولمّا أسلم عدىّ - رضي الله عنه - رجع إلى بلاد قومه . . فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله - وارتدت العرب ثبت عدى وقومه على الإسلام، وجاء بصدقاتهم إلى أبى بكر، وحضر فتح المدائن، وشهد مع علىّ «الجملة» و«صفين» «والنهران» .

جوده وكرمه:

ضرب عدىّ بن حاتم - رضي الله عنه - مثلاً رائعاً فى الجود والكرم . . حتى طال جوده دواب الأرض !! .

يقول ابن الجوزى - رحمه الله تعالى - عنه :

«وكان جواداً يفت للنمل الخبز ويقول: إنهنّ جارات!!» .

وأرسل الأشعث بن قيس إلى عدىّ يستعير منه قدور «حاتم»^(١)، فأمر بها عدىّ فملئت وحملها الرجال إلى الأشعث، فأرسل الأشعث: إنما أردناها فارغة، فأرسل إليه :

«إنا لا نعيها فارغة!» .

مكانته - رضي الله عنه - :

أتى عدى بن حاتم عمر بن الخطاب فى أناس من طيء فجعل عمر يفرض لرجال من طيء فى ألفين ألفين .

يقول عدىّ: فاستقبلته فأعرض عني!! فقلت: يا أمير المؤمنين، أما تعرفنى؟

قال: نعم إني والله أعرفك، أسلمت إذ كفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفيت إذ غدروا، وإن أول صدقة بيّضت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله - ووجوه أصحابه صدقة طيء، جئت بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله - .

وهكذا يهذب الإسلام النفس البشرية . . ويصفيها من الأدران التى

(١) حاتم: هو والد عدىّ.

علقت بفطرتها.. ويصقلها بنوره.. فإذا بالخير يتفجر من جوانبها.. والنور يغشاها من كل مكان.. فينطلق اللسان بالذكر واليد بالعطاء.. وينكسر الإنسان لله الواحد القهار.. فتذوب الفوارق.. وتتلاشى العنجهية الجاهلية والكبرياء الكذوب..

وتظهر الصورة الأدمية الحقيقية.. التي تحمل فطرة الله المركوزة في نفس الإنسان.. فتفيض بالخير وتشع النور.

هذا درس عظيم لبنى الإنسان ﴿فهل من مدكر﴾؟.

وفى سنة ثمان وستين.. فاضت روحه إلى خالقها.. وانتقل عدى بن حاتم إلى عالم الآخرة -رضى الله عنه وأرضاه-.

[٥٩] ضمامُ بنُ ثعلبة

«هدى الله به قومه!!»

لم يحمل سلاحاً لمقاتلة الأعداء!! . . . ولم يكن من السابقين الأولين!! وإنما قدّم للإسلام عملاً طيباً رفع شأنه عند الله وعند رسوله وعند المؤمنين!! مما جعل ابن عباس -رضي الله عنهما- يقول:

«ما سمعنا بوافد قط كان أفضل من ضمام بن ثعلبة!».

ماذا حدث؟:

عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال:

بعث «بنو سعيد بن بكر» «ضمام بن ثعلبة» وافداً إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقدم إليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله^(١)، ثم دخل المسجد ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- جالس في أصحابه.

وكان ضمام رجلاً جلدًا أشعر ذا غديرتين فأقبل حتى وقف على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أصحابه. فقال:

أيكم ابن عبد المطلب؟

فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «أنا ابن عبد المطلب».

فقال: يا محمد!

قال: «نعم!».

قال: يا ابن عبد المطلب! إنني سائلك ومغلظ عليك في المسألة فلا تجدن^(٢) في نفسك.

(١) عقله: ربطه.

(٢) لا تجدن: لا تحزن.

قال: «لا أجد في نفسي فسل عما بدا لك».

فقال: أنشدك إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك: الله بعثك إلينا رسولا؟

قال: «اللهم نعم!».

قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك: الله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئا وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدون؟

قال: «اللهم! نعم».

قال: فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك: الله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس؟

قال: «نعم!».

قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة الزكاة، والصيام، والحج، وشرائع الإسلام كلها ينشده عند كل فريضة منها كما ينشده في التي قبلها حتى إذا فرغ قال:

«إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وسأؤدى هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه ثم لا أزيد ولا أنقص؛ ثم انصرف إلى بعيه راجعاً».

قال: فقال رسول الله - ﷺ -:

«إن صدق ذو العقيبتين^(١) دخل الجنة».

قال: فأتى بعيه فأطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم أن قال:

«بئست اللات والعزى».

فقالوا: مه يا ضمام! اتق البرص، اتق الجذام، اتق الجنون.

(١) العقيبتان: المصفورتان من الشعُر.

فقال: ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتمكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه.

قال: فوالله! ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً.

قال: يقول ابن عباس -رضي الله عنهما-: فما سمعنا بوفاد قوم كان أفضل من «ضمّام بن ثعلبة»^(١).

وانضوى قوم «ضمّام» تحت لواء التوحيد ثم تحت راية الجهاد في سبيل الله.. ولئن قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح:

«لئن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم».

وفي رواية: «خير لك مما طلعت عليه الشمس».

فلقد هدى الله تعالى على يدي «ضمّام» مئات البيوت!! فدخلوا في دين الله أفواجاً!!

ومن سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

أرأيتم عظم الفضل؟!!

أرأيتم عظمة الرجال؟!!

-رضى الله عن «ضمّام بن ثعلبة» وأرضاه-.

(١) إسناده حسن: رواه ابن إسحاق في السيرة. وأبو داود (٤٨٧)، وأحمد (٢٥٤/١).

[٦٠] الحسن بن علي بن أبي طالب

«أشبه الناس برسول الله - ﷺ -»

الإمام السيد، ريحانة رسول الله - ﷺ - وسبطه، وسيد شباب أهل الجنة، أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي المدني الشهيد - رضی الله تعالى عنه -.

كان يشبه جده رسول الله - ﷺ -، قاله أبو جحيفة. رواه البخاري.

ولد - ﷺ - في شعبان سنة ثلاث من الهجرة. وقيل: في نصف رمضانها. وعق عنه جده بكبش.

فعن أنس بن مالك - ﷺ - قال:

«عق رسول الله - ﷺ - عن حسن وحسين بكبشين»^(١).

وعن ابن عباس - ﷺ - قال:

«عق النبي - ﷺ - عن الحسن بكبش، وعن الحسين بكبش» رواه أبو

داود وإسناده صحيح.

مولده:

عن سودة بنت مسرح، قالت:

كنت فيمن حضر فاطمة - ﷺ - حين ضربها المخاض في نسوة، فأتانا

النبي - ﷺ - فقال:

«كيف هي؟».

قلت: إنها لمجهودة يا رسول الله.

(١) صحيح: رواه ابن حبان (١٠٦١)، والبيهقي (٢٩٩/٩).

قال: «إذا هي وضعت فلا تسبقني فيه بشيء».

فوضعت فسّروه ولّفوه في خرقة صفراء، فجاء رسول الله - ﷺ - فقال: «ما فعلت؟».

فقلت: قد وضعت غلاماً وسررته ولففته في خرقة.

فقال: «عصيتيني؟».

قلت: أعوذ بالله من معصيته، ومن غضب رسوله - ﷺ -.

قال: «فأنتى به».

فأتيته به، فألقى عنه الخرقة الصفراء، ولفّه في خرقة بيضاء، وتغل في فيه، وألبأه بريقه^(١)، فجاء عليّ - رضيه -.

فقال - ﷺ -: «ما سميتَه يا عليّ؟».

قال: سميتَه جعفرًا.

قال: «لا ولكن حسنٌ وبعده حسينٌ وأنت أبو حسن».

وفي رواية: «وأنت أبو حسن الخير»^(٢).

وعن عبيد بن أبي رافع، عن أبيه:

أن النبي - ﷺ - أذن في أذن الحسن بالصلاة حين وُلِدَ^(٣).

وعن أبي رافع - أيضاً - قال:

«لما ولدت فاطمة حسناً، قالت:

يا رسول الله! ألا أعقُّ عن ابني بدم؟»

قال: «لا، ولكن احلقى رأسه، وتصدّقني بوزن شعره فضة على

المساكين» ففعلت^(٤).

(١) ألبأه: صبه في فيه كما يصب اللبن في فم الصبي وهو أول ما يحلب عند الولادة.

(٢) قال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما عروة بن فيروز وعمر بن عمير ولم أعرفهما، وبقية رجاله وثقوا.

(٣) إسناده قوى بشواهده: أخرجه أحمد (٩/٦)، وأبو داود (٥١٠٥)، والترمذي (١٥١٤).

(٤) حسن: أخرجه أحمد (٦/٣٩٠، ٣٩٢) وغيره.

قلت: عَقَّ النبي - ﷺ - عن الحسن بدم، وتصدقت فاطمة بوزن شعره فضة على المساكين.

صفته:

قال أنس بن مالك - رُوِيَ عنه -:

«كان أشبههم بالنبي - ﷺ - الحسن بن علي» (١).

وعن علي - رُوِيَ عنه -، قال:

«الحسن أشبه الناس برسول الله - ﷺ - ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه به ما أسفل من ذلك» (٢).

وقال الحافظ الذهبي - رحمه الله تعالى -:

«وقد كان هذا الإمام سيِّداً، وسيِّماً، جميلاً، عاقلاً، رزيناً، جواداً، مدحاً، خيراً، ديناً، ورعاً، محتشماً، كبير الشأن».

فضائله:

فضائل هذا الإمام كثيرة.. يضيِّق المقام عن ذكرها.. نختار منها:

١ - عن حذيفة - رُوِيَ عنه - أنه سمع النبي - ﷺ - يقول:

«هذا ملكٌ لم ينزل قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يُسلِّم عليّ، ويبشرنى بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة» (٣).

٢ - وعن بريدة - رُوِيَ عنه -، قال:

كان رسول الله - ﷺ - يخطب، فأقبل الحسن والحسين، عليهما

(١) صحيح: أخرجه عبد الرزاق (٢٠٩٨٤)، والترمذي (٣٧٧٨) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) إسناده حسن: أخرجه الترمذي (٣٧٨١) في «المناقب» وحسنه.

(٣) إسناده صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٨١) وغيره.

قميصان أحمران، يعثران ويقومان، فنزل فأخذهما، فوضعهما بين يديه؛ ثم قال:

«صدق الله ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (١) رأيت هذين، فلم أصبر» ثم أخذ في خطبته (٢).

٣- وعن عبد الله بن شداد، عن أبيه، قال:

خرج علينا رسول الله - ﷺ -، وهو حاملٌ حسناً أو حسيناً، فتقدم، فوضعه، ثم كبر في الصلاة، فسجد سجدةً أطالها، فرفعت رأسي، فإذا الصبيُّ على ظهره، فرجعت في سجودي. فلما قضى صلاته، قالوا: يا رسول الله: إنك أطلت!

قال: «إن ابني ارتحلني، فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته» (٣).

قال الذهبي: «قلت: أين الفقيه المتنطع عن هذا الفعل؟».

٤- عن أم سلمة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أن النبي - ﷺ - جَلَلَ حَسَنًا وَحُسَيْنًا وَفَاطِمَةَ بِكِسَاءٍ، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اللهم أذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً» (٤).

٥- وعن المقبري، قال:

كنا مع أبي هريرة فجاء الحسن بن علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فسلم فردّ عليه القوم ومضى ومعنا أبو هريرة لا يعلم، فقيل له: هذا حسن بن علي يسلم، فلحقه فقال:

«وعليك يا سيدي» . .

فقيل له: تقول: يا سيدي؟

(١) سورة التغابن: ١٥.

(٢) إسناده حسن: أخرجه الترمذي (٣٧٧٤) وغيره.

(٣) إسناده صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/٤٩٣، ٤٩٤).

(٤) حديث صحيح بطرقه وشواهده: أخرجه أحمد في «المسند» (٦/٢٩٨) وغيره.

فقال: أشهد أن رسول الله - ﷺ - قال:

«إنه سيّد» رواه الطبراني ورجاله ثقات.

٦- وعن رجاء بن ربيعة، قال:

كنت جالساً بالمدينة في مسجد الرسول - ﷺ - في حلقة فيها أبو سعيد
وعبد الله بن عمرو، فمرّ الحسن بن عليّ فسلمّ فردّ عليه القوم، وسكت عبد
الله بن عمرو، ثم اتبعه فقال:

وعليك السلام ورحمة الله، ثم قال:

هذا أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء، والله ما كلمته منذ ليل
صِفِّين^(١)!!

فقال أبو سعيد: ألا تنطلق إليه فتعتذر إليه؟

قال: نعم.

قال: فقام فدخل أبو سعيد فاستأذن فأذن له، ثم استأذن لعبد الله بن
عمرو فدخل..

فقال أبو سعيد لعبد الله بن عمرو: حدّثنا بالذي حدّثتنا به حيث مرّ
الحسن.

فقال: نعم، أنا أحدثكم: إنه أحبّ أهل الأرض إلى أهل السماء!!

قال: فقال له الحسن: إذ علمت أنّي أحبّ أهل الأرض إلى أهل
السماء، فلم قاتلتنا أو كثرت يوم صِفِّين؟! .

قال: أما إنّي والله ما كثرت سواداً ولا ضربت معهم بسيف، ولكني
حضرتُ مع أبي أو كلمة نحوها.

قال: أما علمت أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؟

قال: بلى، ولكنني كنت أسرد الصوم على عهد رسول الله - ﷺ -

فشكاني أبي إلى رسول الله - ﷺ - فقال:

(١) كانت موقعة «صِفِّين» بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان - ﷺ - .

يا رسول الله، إن عبد الله بن عمرو يصوم النهار ويقوم الليل، قال: «صُمْ وَأَفْطِرْ، وَصَلِّ وَنَمْ، فَإِنِّي أَنَا أَصْلَى وَأَنَامُ وَأَصُومُ وَأَفْطِرُ». قال لى: «يا عبد الله أطع أباك». فخرج يوم صِفِّين وخرجتُ معه (١).

أدب النبوة:

نشأ الحسن بن على -رضى الله تعالى عنه- نشأة كريمة.. وتربى في أحضان جدّه فحلّت عليه بركاته -ﷺ- وتأدب بأدبه.

عن بريد بن أبى مريم عن أبى الحوراء، قلت للحسن: ما تذكر من رسول الله -ﷺ-؟

قال: أذكرُ أنى أخذتُ تمرةً من تمر الصدقة، فجعلتها فى فى، فنزعها رسول الله -ﷺ- بلعابها، فجعلها فى التمر.

فقيل: يا رسول الله! وما كان عليك من هذه التمرة لهذا الصبى؟ قال: «إنا آل محمد لا نحلُّ لنا الصدقة».

قال: وكان يقول: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة».

وكان يعلمنا هذا الدعاء:

«اللهم اهدنى فيمن هديت، وعافنى فيمن عافيت، وتولنى فيمن توليت، وبارك لى فيما أعطيت، وقنى شرّاً ما قضيت، إنه لا يذل من واليت» وربما قال: «تباركت ربنا وتعاليت» (٢).

(١) قال الهيثمى: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير هاشم بن البريد وهو ثقة. «المجمع» برقم (١٥٠٤٤).

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أحمد (١/٢٠٠)، وأبو داود (١٤٢٥) وغيرهما.

تعبده:

• عن أم موسى، كان الحسن بن عليّ إذا أوى إلى فراشة قرأ «الكهف».

• وعن عليّ بن جُدعان، قال:

حجّ الحسن بن عليّ خمس عشرة حجةً ماشياً، وإنّ النجائب لتُقَادُ معه، وخرج من ماله مرتين، وقاسم الله ماله ثلاث مرات.

موقف كريم:

لَمَّا انتقل الرسول الأعظم - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى . . لازم الحسن أبا بكر الصديق - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - . . ولما مات أبو بكر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - لازم الحسن «عمر بن الخطاب» ومن بعده «عثمان بن عفان» -رضى الله عنهم أجمعين- .

ولمّا حاصر الثوار «عثمان بن عفان» يوم الدار^(١) . . كان الحسن بن عليّ مِمَّنْ دافع عنه .

قال رجاء: عن الحسن: أنه كان مبادراً إلى نصرة عثمان، كثير الذبِّ عنه^(٢) .

ولما استشهد عثمان بن عفان . . ونشب الخلاف بين أبيه «عليّ» و«معاوية» . . كان الحسن مع أبيه . . واشترك في موقعة «صفين»^(٣) . . ولما استشهد أبوه «عليّ بن أبي طالب» . . تولى الحسن الخلافة وبقى فيها بعد أبيه «سبعة أشهر» . . ثم سلّمها لمعاوية حقناً لدماء المسلمين . وتحقق قول النبي - ﷺ - «إن ابني هذا سيّدٌ يصلح الله به فئتين من المسلمين» رواه الطبراني .

(١) راجع ترجمة «عثمان بن عفان» في كتابنا «رجال ونساء حول الرسول» ط . دار الفجر للتراث .

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٦٠) .

(٣) راجع أحداثها في «البداية والنهاية» (٥/ ٣٥١) وما بعدها . وانظر في كتاب «العواصم من القواصم» .

عن عمرو بن دينار، أن معاوية كان يعلم أن الحسن أكره الناس للفتنة، فلما تُوِّفَى عليٌّ بعث إلى الحسن، فأصلح ما بينه وبينه سرّاً، وأعطاه معاوية عهداً إن حدث به حدثٌ والحسنُ حيٌّ لِسَمِيْنِه، وليجعلن الأمر إليه، فلما توثق منه الحسن، قال ابنُ جعفر:

«والله إنى لجالس عند الحسن، إذ أخذتُ لأقوم، فجذب بثوبى، وقال: يا هناه اجلس! فجلستُ، فقال: «إنى قد رأيتُ رأياً، وإنى أحبُّ أن تتابعنى عليه!».

قلت: ما هو؟

قال: قد رأيتُ أن أعمد إلى المدينة، فأنزلهَا، وأُخْلِى بين معاوية وبين هذا الحديث، فقد طالت الفتنة، وسُفكت الدماءُ، وقطعت الأرحام والسبل، وعُطلت الفروج.

قال ابن جعفر: جزاك الله خيراً عن أمة محمد، فأنا معك.

فقال: ادع لى الحسين! فأتاه فقال:

«أى أخى! قد رأيت كيت وكيت».

فقال: أعيذك بالله أن تكذب علياً، وتصدق معاوية.

فقال الحسن: والله ما أردتُ أمراً قط إلا خالفتنى . . .

فلما رأى الحسين غضبه، قال:

«أنت أكبرُ وكَد عليّ، وأنت خليفته، وأمرنا لأمرك تبع».

فقام الحسن، فقال:

«أيها الناس! إنى كنتُ أكره الناس لأول هذا الأمر، وأنا أصلحتُ

آخره، إلى أن قال: إن الله قد ولأك يا معاوية هذا الحديث لخير يعلمه عندك،

أو لشر يعلمه فيك ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (١) ثم نزل (٢).

(١) سورة الأنبياء: ١١١.

(٢) تهذيب ابن عساكر (٤/٢٢٤، ٢٢٥).

وفى «مجتنى» ابن دُرَيْد:

قام الحسنُ بعد موت أبيه، فقال:

«والله ما ثنانا عن أهل الشام شكٌ ولا ندم، وإنما كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر، فَشَيَّبَتِ السَّلَامَةُ بِالْعِدَاوَةِ، وَالصَّبْرُ بِالْجُزَعِ، وَكُنْتُمْ فِي مَتَدْبِكُمْ إِلَى «صَفَيْنَ» دِينِكُمْ أَمَامَ دُنْيَاكُمْ، فَأَصْبَحْتُمْ وَدُنْيَاكُمْ أَمَا دِينِكُمْ، أَلَا وَإِنْ لَكُمْ كَمَا كُنَّا، وَلَسْتُمْ لَنَا كَمَا كُنْتُمْ، أَلَا وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ بَيْنَ قَتِيلَيْنِ؛ قَتِيلٌ بِصَفَيْنَ تَبْكَونَ عَلَيْهِ، وَقَتِيلٌ بِالنَهْرِ وَإِنْ تَطْلُبُونَ بَثْرَهُ، فَأَمَّا الْبَاقِي، فَخَاذِلٌ، وَأَمَا الْبَاقِي، فَثَائِرٌ.

أَلَا وَإِنْ مَعَاوِيَةَ دَعَانَا إِلَى أَمْرٍ لَيْسَ فِيهِ عِزٌّ وَلَا نَصَفَةٌ؛ فَإِنْ أَرَدْتُمْ الْمَوْتَ، رَدَدْنَاهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ أَرَدْتُمْ الْحَيَاةَ، قَبَلْنَاهُ.

قال: فناداه القومُ من كل جانب؛ التَّقِيَّةُ التَّقِيَّةُ، فَلَمَّا أَفْرَدُوهُ، أَمْضَى الصَّلْحَ^(١).

ومن «الاستيعاب» لابن عبد البر - رحمه الله تعالى -، قال:

«سار الحسنُ إلى معاوية، وسار معاوية إليه، وعلم أنه لا تغلبُ طائفةُ الأخرى حتى تذهبَ أكثرها، فبعث إلى معاوية أنه يصير الأمرُ إليك بشرط أن لا تطلبَ أحداً بشيءٍ كان في أيام أبي، فأجابهُ، وكاد يطيرُ فرحاً، إلا أنه قال:

أما عشرة أنفس، فلا^(٢)، فراجعهُ الحسنُ فيهم، فكتب إليه:

«إني قد آليتُ متى ظفرتُ بقيس بن سعد - وكان من قادة جيش علي ابن أبي طالب - أن أقطع لسانه ويده».

فقال: «لا أبايعك».

فبعث إليه معاوية برقٍ أبيض، وقال:

(١) شهد القرآن للفریقین بالإيمان.. فقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا...﴾

سورة الحجرات: ٩ الآية.

(٢) كان يريد قتلهم.

«اكتب ما شئت فيه وأنا ألتزمه» .

فاصطلحا على ذلك .

واشترط عليه الحسن أن يكون له الأمر من بعده، فالتزم ذلك كله معاوية^(١) اهـ .

مواعظه:

● عن الحرمازي:

خطب الحسن بن علي بالكوفة، فقال:

«إنّ الحلمَ زينة، والوقارَ مروءة، والعجلة سَفَه، والسفه ضعف، ومجالسة أهل الدناءة شين، ومخالطة الفساق ريبة» .

● وقال المبرّد: قيل للحسن بن علي:

إن أبا ذر يقول: الفقرُ أحبُّ إليّ من الغنى، والسقمُ أحبُّ إليّ من الصّحة!! فقال:

«رحم الله أبا ذر . أما أنا فأقول:

من اتّكل على حُسن اختيار الله له، لم يتمنَّ شيئاً . وهذا حدُّ الوقوف على الرّضا بما تصرف به القضاء» .

● وعن زريق بن سوار، قال:

كان بين الحسن ومروان كلامٌ، فأغلظ مروانُ له، وحسنٌ ساكت، فامتخط مروانُ بيمينه، فقال الحسن:

ويحك! أما علمت أنّ اليمينَ للوجه والشمالَ للفرج!؟

أفّ لك! فسكت مروان .

هذا بعض ما تيسر جمعه من مواعظه - رضي الله عنه - .

(١) قال رجل للحسن: السلام عليك يا مُدبّر المؤمنين! - أي لأنه قبل الصلح - فقال الحسن: لا، ولكن كرهت أن أقتلكم على المُلْك .

وفاته:

عاش الحسن -رضي الله عنه- بعد تسلم الخلافة لمعاوية -رضي الله عنه- عشر سنين .

وكان سبب وفاته كما ذكر أبو عوانة عن أم موسى؛ أن «جعدة بنت الأشعث بن قيس» سقت الحسن السم، فاشتكى، فكانت توضع تحته طشت، وترفع أخرى نحوه من أربعين يوماً» فالله أعلم .

قلت: وما ذكر أن «معاوية بن أبي سفيان» قد تلطّف لبعض خدمه أن يسقيه سماً . ليتخلص منه!! . فهذا لا يصح بحال . فالرواية ذكرها «الواقدي» والواقدي كما هو معلوم «متروك» .

قال ابن عبد البر:

«وروينا من وجوه:

أن الحسن لما احتضر، قال للحسين:

يا أخى! إنَّ أباكَ لما قبض رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-، استشرف لهذا الأمر، فصرفه الله عنه، فلما احتضر أبو بكر، تشرف أيضاً لها، فصرفت عنه إلى عمر. فلما احتضر عمر، جعلها شورى، أبى أحدهم، فلم يشكَّ أنها لا تعدوه؛ فصرفت عنه إلى عثمان، فلما قُتل عثمان، بويع، ثم نوزع حتى جرد السيف وطلبها، فما صفا له شيء منها، وإنى والله ما أرى أن يجمع الله فينا -أهل البيت- النبوة والخلافة، فلا أعرفن ما استخفك سفهاء أهل الكوفة، فأخرجوك .

وقد كنتُ طلبتُ إلى عائشة أن أَدفن في حجرتها؛ فقالت: نعم .

وإنى أدري لعلَّ ذلك كان منها حياءً، فإذا ما متُّ، فاطلب ذلك إليها، وما أظن القومَ إلا سيمنعوك، فإن فعلوا، فادفني في «البيع» .

فلما مات قالت عائشة: نعم وكرامة .

فبلغ ذلك مروان، فقال:

«كذبَ وكذبتُ . والله لا يُدفنُ هناك أبداً؛ منعوا عثمان من دفنه في

المقبرة، ويريدون دفنَ حسنٍ في بيتِ عائشة!!» .

فلبس الحسينُ ومن معه السلاح، واستلأم مروانُ أيضاً في الحديد، ثم قام في إطفاء الفتنة أبو هريرة - رضي الله عنه -^(١).

قال الإمام الذهبي - معلّقاً -:

«أعاذنا الله من الفتن، ورضي عن جميع الصحابة، فترضّ عنهم يا شيعيُّ تُفْلِحْ، ولا تدخل بينهم، فالله حكمٌ عدلٌ، يفعل فيهم سابق علمه، ورحمته وسعت كلَّ شيء، وهو القائل: «إن رحمتي سبقت غضبي» متفق عليه. ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^(٢) فنسأل الله أن يعفو عنا، وأن يثبتنا بالقول الثابت آمين» اهـ.

ولمّا احتضر - رضي الله عنه -، قال:

أخرجوا فراشي إلى الصّحن؛ فأخرجوه، فقال:
«اللهم إني أحتسبُ نفسي عندك، فإنها أعزُّ الأنفس عليّ».

بكاء الناس عليه:

عن الحسن بن محمد ابن الحنفية، قال:

«جعل الحسنُ يوغرُ للحسين: يا أخی؛ إياك أن تَسْفِكَ دَمًا، فإن الناس سراع إلى الفتنة».

فلمّا تُوفّي، ارتجّت المدينةُ صياحًا، فلا تَلْقَى إلا باكياً».

وعن مُسَاوِر السَّعْدِيُّ، قال:

«رأيتُ أبا هريرة قائماً على مسجد رسول الله - صلى الله عليه - يوم مات الحسنُ؛ يبكي، وينادي بأعلى صوته:

«يا أيها الناس! ماتَ اليومَ حبُّ رسول الله - صلى الله عليه -، فابكوا».

قال جعفر الصادق: عاش الحسنُ سبعمائة وأربعين سنة.

(١) «الاستيعاب» (١/٣٧٦، ٣٧٧).

(٢) سورة الأنبياء: ٢٣.

ومن الغريب أن الناس لما أخرجوا جنازة الحسن، حمل مروان سريره!!، فقال الحسين:

تحملُ سريره! أما والله لقد كنتَ تُجرِّعه الغيظ.

قال: كنتُ أفعلُ ذلكُ بمن يُوازنُ حلمه الجبال.

وصلى عليه «سعيد بن العاص».

ودفن بالبقيع بجوار أمه فاطمة -رضى الله عن الجميع-.

[٦١] سعد بن عبيد

«القارئ الشهيد»

قال - ﷺ - : «إن لله أهلين من الناس» .

قالوا: من هم يا رسول الله؟

قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» رواه ابن ماجه وإسناده

صحيح .

وعن فضالة بن عبيد - رُوِيَ - ، أن النبي - ﷺ - قال :

«لله أشدُّ أذنًا للرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى

قينته» رواه أحمد، والحاكم وصححه .

والقينة: هي الأمة المغنّية .

وضيفنا على هذه السطور . . أحد أصحاب النبي - ﷺ - الذين عناهم

النبي - ﷺ - بأنهم من أهل الله . . والله أشدُّ أذنًا لصوتهم حين يترنمون بتلاوة

كتابه !! .

وكان الصحابة يسمونه «سعد القارئ» . . وكان - رُوِيَ - أحد الذين

جمعوا القرآن على عهد رسول الله - ﷺ - . . .

ترقى «سعد بن عبيد» في سلم الإيمان . . إلى أن بلغ درجة عالية . .

فهوت إليه القلوب . . ووضع الله له القبول في الأرض . . «وما أقبل عبد على

الله بقلبه إلا أقبل الله بقلوب الناس عليه» .

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ

وَدًّا﴾ (١)

قال ابن كثير:

«يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات، وهى الأعمال التى ترضى الله عز وجل لمتابعتها الشريعة المحمدية - يغرس لهم فى قلوب عباده الصالحين محبة ومودة، وهذا أمر لا بد منه ولا محيد عنه، وقد وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله - ﷺ - من غير وجه».

عن أبى هريرة، عن النبى - ﷺ - قال:

«إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل، فقال:

يا جبريل، إنى أحب فلاناً فأحبه.

قال: فيحبه جبريل.

قال: ثم ينادى فى أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبه.

قال: فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول فى الأرض وإن الله إذا أبغض عبداً دعا جبريل فقال:

يا جبريل إنى أبغض فلاناً فأبغضه.

قال: فيبغضه جبريل، ثم ينادى فى أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه.

قال: فيبغضه أهل السماء، ثم يوضع له البغضاء فى الأرض» رواه أحمد.

قلت: فمحنة الناس إذن.. هى ثمرة التعبد ونتاج الإخلاص لله سبحانه وتعالى..

فمن الحسن البصرى، قال:

قال رجل: والله لأعبدن الله عبادة أذكر بها، فكان لا يرى فى حين صلاة إلا قائماً يصلى، وكان أول داخل إلى المسجد وآخر خارج، فكان لا يعظم، فمكث بذلك سبعة أشهر، وكان لا يمر على قوم إلا قالوا: انظروا إلى هذا المرائى، فأقبل على نفسه فقال: لا أرانى أذكر إلا بشر، لأجعلن

عملى كله لله عز وجل، فلم يزد على أن قلب نيته، ولم يزد على العمل الذى كان يعمله، فكان يمرّ بعد بالقوم فيقولون: رحم الله فلاناً الآن، وتلا الحسن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (١).

والمقصود: أن «سعد بن عبيد» - رضي الله عنه - ممن جمع بين التعبد الصحيح. والقصد الخالص لله عز وجل فعزّ جانبه ورُفِعَ شأنه.. وتبوأ بين أقرانه مكاناً علياً.

استشهاده:

لم يتخلف «سعد بن عبيد» عن غزوة مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . ولم يقعد عن قتال.. وكان حريصاً على الفوز بالشهادة.. لتكون خاتمة السعادة.. وظل شاهراً سيفه يخوض الغمرات ويقتحم المنايا.. فى كل الغزوات..

وفى معركة «الجسر» التى دارت بين المسلمين بقيادة «أبى عبيد الثقفى» وبين الفرس.. حمل الفرس على المسلمين حملة شديدة.. تتقدمهم «الفيلة».. وقُتِلَ «أبو عبيد الثقفى» صاحب اللواء! ثم قُتِلَ أخوه.. ثم قُتِلَ ابنه «جبر» وكل يسلم اللواء للآخر!! حتى تسلّمه «الثنى بن حارثة» فانحاز المسلمين إلى مأمن يقيهم شرّ الهلكة الشاملة.. وفرّ جيش المسلمين من أرض القتال.. وكان «سعد بن عبيد» من الفارين يومئذ!!!.

ولما هدا صوتُ المعركة.. عاد سعد إلى نفسه يوبّخها على ما كان منها يوم «الجسر» وعظم المصاب فى نفسه كيف يفرّ من الزحف وهو الذى يتلو آيات الله تحذّر العباد من الفرار؟!!!.

وتاقت نفسه «اللوائمة» إلى لقاء آخر ليرى الله تعالى من نفسه الصدق عند اللقاء.. ويمحو عار زلته.. وتمر الأيام.. ويأتى أمرُ أمير المؤمنين «عمر ابن الخطاب» إلى «سعد بن أبى وقاص» أن يذهب لمجالدة «النعمان بن المنذر» ملك الحيرة النصرانى الذى عقد لواءه لمحاربة المسلمين بأمر من «سيده» «كسرى» ويجد «سعد بن عبيد» الفرصة سانحة.. ليغسل أوضار تقصيره يوم

«الجسر» فينضوى تحت اللواء.. ويتحرك الجيش المبارك إلى حيث «النعمان بن المنذر».

ويبعث «سعد بن أبي وقاص» «سعد بن عبيد» رسولا إلى «النعمان بن المنذر».. ويدخل سعد بن عبيد بلاط النعمان مرفوع الرأس.. صلب العود.. فيصيح الحُجَّاب: أن اركع للملك قبل الدخول!!.

فينظر إليهم سعد شزراً.. ويأبى إلا المضي قُدماً على حاله.. إلى أن وصل إلى عرش «النعمان».

وأدى له الرسالة بكل شموخ.. ولكن النعمان أبى واستكبر.. ورفض جميع الأطروحات المعروضة.. رفض الإسلام.. ورفض «الجزية» وأبى إلا القتال.

وعاد سعد بن عبيد إلى «سعد بن أبي وقاص» يخبره برّد «النعمان» واستعد الفريقان لخوض المعركة.. والتقى الجيشان في «القادسية» واحتدم القتال.. حامى الوطيس، وانتهى اليوم الأول وفي مساء اليوم الثاني.. وقبل بدء اليوم الثالث وقف سعد بن عبيد خطيباً فقال:

«يا معشر من باع نفسه لله، إنا ملاقوا العدو غداً، وإنا مستشهدون، فلا يغسلن عنا دم، ولا نكفن إلا في ثيابنا!!».

.. وظل سعد بن عبيد عامّة ليله يُصَلِّي ويتلو القرآن وفي صباح اليوم الثالث قذف بنفسه في أتون المعركة.. وسطر آيات الجهاد.. وكأنه يطرق أبواب الجنان.. وظل يصول ويجول في أرض المعركة.. وأمهده الله بالسكينة والثبات.. وتفضل عليه مولانا بالعزيمة والإصرار.. وفي أثناء القتال.. ضربته يد أئمة.. فسقط على أثرها في أرض المعركة يلفظ أنفاسه الأخيرة.. وقد ارتسمت على وجهه بسمة الرضا.. ونال المحب ما تمناه.. ولم لا؟! ليس هو من أولياء الله تعالى الذين قال عنهم: «ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأُعيدنه».

بلى! هو من أولياء الله، بل من كبار أولياء الله.

وانتصر المسلمون فى هذه المعركة . . ووصلت أنباء الانتصار إلى «عمر ابن الخطاب» فحمد الله وأثنى عليه . . وفرح فرحاً عظيماً . . ثم أتاه نبأ استشهاد «سعد بن عبيد» فيحزن حزناً شديداً ويقول: «والله لقد كاد مقتل سعد بن عبيد يُنغص على هذا الفتح!!» . . انظر أيها القارئ إلى هذه العظمة . . التى وصل إليها «سعد بن عبيد» وإلى سمو المنزلة التى جعلت أمير المؤمنين يقول ما قال! . . سبحانك ربى «توتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء . . وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير . . .» .

-رضى الله عن سعد بن عبيد-

[٦٢] أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ

«إخلاص إلى آخر رمق»

تقدم معنا - منذ قليل - الحديث عن الإخلاص . . ودوره المهم في رفعة الإنسان في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .
والإخلاص المصنّف من الكدر والقدر لا يصنعه إلا الإيمان الحق بالله الواحد القهار .

وعلى هذه السطور . . يُسعدنا أن نعطرها بذكر واحد من أصحاب النبي - ﷺ - . . رفع الله ذكره . . وأعلى قدره فعطر وجه التاريخ بموقفه الخالد يوم «أُحُد» . . وصار مثلاً يحتذى لكل الأجيال . . وأنشودة عذبة في سمع الزمان .

فمن هذا السعيد؟

هو: أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد عمّ أنس بن مالك شهد «أُحُدًا» وقتل يومئذ .

لما جال المسلمون يوم «أُحُد» تلك الجولة . . وشاع خبر مقتل رسول الله - ﷺ - . . وهنت عزائم بعض المسلمين . . وترك بعضهم ساحة القتال . . وثبت «أنس بن النضر» يومئذ مع من ثبت . . ومرّ عمر ومعه رهط فقال: ما يقعدكم؟

قالوا: قُتل رسول الله - ﷺ - .

قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه . ثم جالد بسيفه حتى قتل!! .

وفى «الصحيحين»: عن أنس بن مالك - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - :

أن عمه أنس بن النضر^(١) غاب عن «بدر» فقال:
 غبت عن أول قتال قاتله النبي - ﷺ -، لئن أشهدني الله مع النبي
 - ﷺ - ليرين الله ما أفعل.

فلقى يوم «أحد» فهزم الناس فقال:
 «اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما
 جاء به المشركون».

فتقدم بسيفه فلقي «سعد بن معاذ» فقال:
 إلى أين يا سعد؟ إني أجد ريح الجنة دون «أحد».
 فمضى فقتل فما عرف حتى عرفته أخته بشامة أو بينانه، وبه بضع
 وثمانون من بين طعنة وضربة ورمية بسهم!!».

مكانته:

قلنا إن الإنسان يصل بتعبده وإخلاصه إلى ذروة الكمال الإنساني..
 وها نحن أمام قصة تدل على مكانة صاحب هذه الترجمة:
 روى البخاري في «صحيحه» وغيره، عن أنس أن الربيع بنت النضر
 «عمته» لظمت جارية فكسرت سننها فعرضوا عليهم الأرش^(٢) فأبوا فطلبوا
 العفو فأتوا النبي - ﷺ - فأمرهم بالقصاص فجاء أخوها «أنس بن النضر»
 فقال:

يا رسول الله أتكسر سن الربيع؟ والذي بعثك بالحق لا تكسر سنها.

قال: «يا أنس كتاب الله القصاص».

فعفا القوم. فقال رسول الله - ﷺ -:

«إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره».

-رضى الله عن أنس بن النضر وأرضاه-.

(١) ما بين المعقوفتين من كلامنا.

(٢) الأرش: بوزن العرش، دية الجراحات.

[٦٣] كعب بن مالك

«التائب الصادق»

كان السلف الصالح يتلاقون على الفضائل ويتعارفون بها، فإذا أساء أحدُهم السيرة وحاول أن ينفرد بمسلك خاطئ، بدا -بعمله هذا- كالمریض بين الأصحاء، فلا يطيب له مقام بينهم حتى يبرأ من علته. وكانت المعالم الأولى للجماعة المسلمة صدق الحديث، ودقة الأداء، وضبط الكلام.

أما الكذب والإخلاف، والتدليس والافتراء، فهي أمارات النفاق، وانقطاع الصلة بالدين، أو هي اتصال بالدين على أسلوب المدلسين والمفتريين!

و«كعب بن مالك» -رضى الله تعالى عنه- بدت منه «هفوة» في حياته كلها!! وزلّة سقط فيها.. ورغم أنها تعدّ مغمورة في بحر حسناته إلا أن نفسه «اللؤامة» المتيقظة.. تأبى إلا أن تعالج هذه «الهفوة» بدواء التوبة والصدق.

وهو لم يحاول أن ينفرد بمسلك خاطئ.. ولكن غلبته نفسه.. ثم سرعان ما انتفض وتذلل إلى الله ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾^(١).. فمسح الله «هفوته» وأقال عثرته.. وجعله مثلاً للصادقين.

فمن هو كعب، وما هي قصته؟

كعب: هو كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري.. من السبعين الذين شهدوا العقبة.. وكان من السابقين من الأنصار.. الذين آووا النبي ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه.. وهو: أحد شعراء النبي -ﷺ-.

قال ابن سيرين:

«كان شعراء أصحاب النبي - ﷺ - : حَسَّان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك».

وقال عبد الرحمن بن كعب، عن أبيه: أنه قال:

يا رسول الله، قد أنزل الله في الشعراء ما أنزل. قال - ﷺ - : «إن المجاهد، مجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسى بيده لكأنما ترمونهم به نَضْح النَّبْلِ».

أبلى «كعب بن مالك» يوم «أُحُد» بلاءً حسنًا. . وعن جهاده يوم «أُحُد» يخبرنا «كعب بن مالك» نفسه فيقول:

«لما انكشفنا يوم أُحُد، كنت أول من عرف رسول الله - ﷺ - وبَشَّرْتُ به المؤمنين حيًّا سويًّا، وأنا في «الشَّعب».

فدعا رسول الله - ﷺ - كعبًا بلأتمته - وكانت صفراء - فلبسها كعبٌ، وقاتل يومئذ قتالًا شديدًا، حتى جرح سبعة عشر جرحًا!!

قلت: وإن دلَّ ذلك على شيء فإنما يدل على أمارات الصدق التي كان يحملها كعب بن مالك بين جوانحه.

ما هي قصته؟

في السنة التاسعة من الهجرة المباركة فكر الروم أن يعيدوا الكرة فيضربوا الإسلام. . وترامت إلى النبي - ﷺ - في المدينة أنباء هذا الإعداد الماكر. . فلم ير النبي - ﷺ - بُدأً من استنفار المسلمين، لملاقاة هذا العدوان المبيت، والتهيؤ لملاقاة الروم جاء في أيام قيظ وقحط. . وأيام حصاد كذلك.

والسير إلى الروم يتطلب جهداً ونفقة كبيرة.

وقتل الروم ليس صداماً مع قبيلة محدودة العدد والعدة، بل هو كفاح مرير مع دولة تبسط سلطانها على جملة قارات على أن أصحاب العقيدة لا

ينكصون أمام الصعاب . . . وللظروف الصعبة التي اكتنفت أعداد هذا الجيش سُمِّي «جيش العسرة» .

وخرج المسلمون في تعبئة لم يخرجوا من قبل في مثلها، وانطلقوا صوب الشمال، حيث تربض جيوش الروم:

وتجلَّت - في هذا الإعداد - طوايا النفوس، فهناك أغنياء أخرجوا ثرواتهم لتجهيز الجيش وإمداده . . . ومنهم الفقراء الذين شاقهم الجود بأنفسهم في سبيل الله ثم أعجزتهم الوسائل التي تبلغهم الميدان فسحت أعينهم الدمع لهذا الحرمان .

وهناك أهل الريبة الذين يلتمسون للفرار أعداراً، وتقعده بهم كراهيتهم للإسلام عن إسداء أى عون له .

ومن أسخف الأعدار التي تحملها أولئك القاعدون المنافقون ما قال: «الجد بن قيس» للنبي - ﷺ - «وقد عرض عليه الجهاد - يا رسول الله . . . أوتأذن لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل بأشدَّ عجباً للنساء مني، وإنى أخشى إن رأيتُ نساء بنى الأَصْفَرِ «الروم» ألا أصبر!! فأعرض عنه رسول الله - ﷺ - وفيه نزلت الآية: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

وهناك من أهل الصدق من تخلف عن هذه الغزوة بغير عذر وكانوا ثلاثة «كعب بن مالك» و«هلال بن أمية» و«مرارة بن الربيع» .

وَصَلَ النَّبِيُّ - ﷺ - بجيشه حتى وصل «تبوك» ومكث هناك بضعة عشر يوماً، يمد بصره وراء الصحراء حيث اختفى الرومان، فقرر أن يقفل راجعاً إلى المدينة . . .

وقدم رسول الله - ﷺ - المدينة . . . وقوبل جيش العسرة بحفاوة بالغة . إنه أكبر جيش خرج مع رسول الله - ﷺ - إذ وصل تعدادة نحو الثلاثين ألفاً!! .

ولما دخل رسول الله - ﷺ - المدينة بدأ بالمسجد، فصلّى فيه ركعتين ثم جلس للناس، فجاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً فقبل منهم رسول الله - ﷺ - علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم. ووكل سرائرهم إلى الله.

وجاء كعب بن مالك فلماً سلّم عليه. تبسم تبسم المغضب، ثم قال له: «تعال».

قال: فجئت أمشى حتى جلستُ بين يديه.

فقال لى: «ما خلّفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟».

فقلت: بلى والله إنى لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيتُ أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أُعطيتُ جديلاً. ولكنى والله لقد علمتُ إن حدّثتك اليوم حديث كذب ترضى به علىّ، ليوشكن الله أن يسخطك علىّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علىّ فيه، إنى لأرجو فيه عفو الله عنى والله ما كان لى من عُدْرٍ، والله ما كنتُ قطّ أقوى ولا أيسر منى حين تخلّفتُ عنك!.

فقال رسول الله - ﷺ -: «أمّا هذا فقد صدق، فقم حتى يقضى الله فيك» فقامتُ.

وثار رجال من بنى سلمة، فاتبعونى يؤنبوننى، فقالوا لى: والله ما علمناك كنتَ أذنبتَ ذنباً قبل هذا. ولقد عجزتَ أن لا تكون اعتذرتَ إلى رسول الله - ﷺ - بما اعتذر إليه المخلفون، فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله - ﷺ - لك.

قال: فوالله ما زالوا يؤنبوننى، حتى أردتُ أن أرجع فأكذب نفسي ثم قلتُ لهم: هل لقى هذا معى أحدٌ؟

قالوا: نعم رجلان، قالوا مثل ما قلتُ، فقيل لهما مثل الذى قيل لك.

فقلتُ: من هما؟

قالوا: «مرارة بن الربيع العامري» و«هلال بن أمية الواقفي» فذكروا رجلين صالحين شهدا بدرًا، فيهما أسوة! .

فمضيتُ حين ذكروهما لى .

ونهى رسول الله - ﷺ - المسلمين عن كلامنا - أيها الثلاثة - من بين مَنْ تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لى الأرض، فما هى بالتى أعرف! .

فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحبى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما بيكيان .

وأما أنا فكننتُ أشب القوم وأجلدهم، فكننتُ أخرج أشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف فى الأسواق، ولا يكلمنى أحد! وآتى رسول الله - ﷺ - فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة، فأقول فى نفسى: هل حرَّك شفثيه برد السلام أم لا، ثم أصلى قريباً منه أسارقه النظر، فإذا أقبلتُ على صلاتى أقبل إلىّ، وإذا التفتُ نحوه أعرض عنى .

حتى إذا طال علىّ ذلك من جفوة المسلمين، مشيتُ حتى تسوّرتُ جدار حائط أبى قتادة - وهو ابن عمى وأحب الناس إلىّ - فسلمتُ عليه فوالله ما ردّ علىّ السلام! .

فقلت: يا أبا قتادة . . أنشدك الله، هل تعلمنى أحبّ الله ورسوله؟

فسكت . فعدتُ له: فنشدته فسكت، فعدتُ له فنشدته، فقال:

«الله ورسوله أعلم» .

ففاضت عيناى، وتولّيتُ حتى تسوّرتُ الجدار .

فبينما أنا أمشى بسوق المدينة . وإذا نبطى من أنباط الشام ممّن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول:

«من يدل على كعب بن مالك؟» .

فطفق الناس يشيرون له حتى إذا جاءني دفع إليّ كتاباً من «مَلِكِ غَسَّانِ»
فإذا فيه :

«أما بعد :

فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا
مضيعة، فالحق بنا نواسك».

فقلت لَمَّا قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، فتيمنتُ بها التنوّر
فسجرتُها^(١).

حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله - ﷺ -
يأتيني فقال :

إن رسول الله - ﷺ - يأمرُك أن تعتزل امرأتك .

فقلت : أطلّقها أم ماذا؟

قال : لا ، ولكن اعتزلها ولا تقربها .

وأرسل إلى صاحبيّ مثل ذلك .

فقلتُ لامرأتى : الحقى بأهلك ، فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا
الأمر .

فجاءت امرأة «هلال بن أمية» فقالت :

يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره
أن أخدمه؟

قال : «لا، ولكن لا يقربك» .

قالت : إنه -والله- ما به حركة إلى شىء والله ما زال يبكى منذ كان من
أمره ما كان إلى يومه هذا .

قال كعب : فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله - ﷺ - فى
امراتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه؟

(١) سجرتها: أحرقتها.

قلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله - ﷺ - . وما يدريني ما يقول لى رسول الله إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب؟
ولبثتُ بعد ذلك عشر ليالٍ، حتى كملت لنا خمسون ليلة من حيث نهى رسول الله - ﷺ - عن كلامنا.

فلما صليتُ الفجرُ صبحَ الخمسين، على سطح بيت من بيوتنا، وبيننا أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى، قد ضاقت على نفسي، وضاقت على الأرض بما رحبت، سمعتُ صوت صارخ أوفى على جبل يبلغ بأعلى صوته:

يا كعب بن مالك؛ أبشرا!

فخررتُ ساجداً، وعرفتُ أن قد جاء فرج من الله.

وآذن رسولُ الله - ﷺ - الناس بتوبة الله علينا حين صَلَّى الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون.

وأركض إلى رجل فرساً، وسعى ساع من أسلم، فأوفى على ذروة الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس.

فلما جاءني الذي سمعتُ صوته يبشرنى، فنزعتُ له ثوبى فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما، واستعرت ثوبين فلبستهما، فانطلقتُ إلى رسول الله - ﷺ - ! فتلقاني الناس فوجاً فوجاً، يهتفوننى بالتوبة يقولون: «ليهنك توبة الله عليك».

قال كعب: حتى دخلتُ المسجد فإذا رسول الله - ﷺ - جالس، وحوله الناس فقام إلى «طلحة بن عبيد الله» يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره، ولست أنساها لطلحة. فلما سلمتُ على رسول الله - ﷺ - قال - وهو يبرق وجهه من السرور -:

«أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ ولدتك أمك».

قال: قلت: أهو من عندك يا رسول الله أم من عند الله؟

قال: «لا، بل من عند الله».

وكان رسول الله - ﷺ - إذا سرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر؟ وكنا نعرف ذلك منه.

فلما جلستُ بين يديه، قلت:

يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله.

فقال: «أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك».

قلتُ: فإنى أمسك سهمى الذى بخير.

فقلتُ: يا رسول الله إن الله نجاني بالصدق.

وإن من توبتى أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله - ﷺ - إلى يومى هذا ما أبلانى، والله ما تعمدتُ بعد ذلك إلى يومى هذا كذباً، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقيتُ، فأنزل الله تعالى على رسوله:

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١).

فوالله ما أنعم الله علىَّ نعمة قطّ - بعد أن هدانى للإسلام - أعظم فى نفسى من صدقى لرسول الله - ﷺ - أن لا أكون كذبتُه، فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شرّاً ما قال لأحد.. قال: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢).

قال كعب: وكان تخلفنا - أيها الثلاثة - عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله - ﷺ - حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ أمرنا، حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله:

(١) سورة التوبة: ١١٧ - ١١٩.

(٢) سورة التوبة: ٩٥، ٩٦.

﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ﴾ (١). وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمّن حلف له واعتذر إليه فقبل منه «متفق عليه».

توفى «كعب بن مالك» سنة «٤٠هـ» وقيل «٥١هـ» فالله أعلم. . . ليظل إخلاصه من بعده نبراساً يضيء للسالكين الطريق. . . ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ (٢).

(١) سورة التوبة: ١١٨.

(٢) سورة الأنعام: ٩٠.

[٦٤] جابر بن عبد الله

«آخر من شهد العقبة موتاً!»

من هو؟:

هو: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام. . الإمام الكبير، المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله - ﷺ -، أبو عبد الله، وأبو عبد الرحمن، الأنصاري الخزرجي المدني الفقيه.

من أهل بيعة الرضوان، وكان آخر من شهد ليلة العقبة موتاً.

روى علماً كثيراً عن النبي - ﷺ - وعن عمر، وعلى، وأبي بكر، وأبي عبيدة، ومعاذ بن جبل، والزبير، وطائفة.

وكان مفتي المدينة في زمانه. عاش بعد ابن عمر أعواماً وتفرّد.

شهد ليلة العقبة مع والده. وكان والده من النقباء البدرين، استشهد يوم أحد وأحياه الله تعالى، وكلمه كفاحاً وقد انكشف عنه قبره إذ أجرى معاوية عيناً عند قبور شهداء أحد، فبادر جابر إلى أبيه بعد دهر، فوجده طرياً لم يبَل.

وكان «جابر» - رضي الله عنه - قد أطاع أباه يوم أحد وقعد لأجل أخواته، ثم شهد الخندق وبيعة الشجرة. وشاخ وذهب بصره، وقارب التسعين.

صفته:

عن أبي بكر المدني، قال:

كان جابر بن عبد الله لا يبلغ إزاره كعبه، وعليه عمامة بيضاء، ورأيته قد أرسلها من ورائه.

وقال سلمة بن وردان:

رأيتُ جابر بن عبد الله أبيض الرأسِ واللحية - ﷺ - .

فضائله:

١- عن جابر، قال:

«استغفر لى رسولُ الله - ﷺ - ليلةَ البعيرِ خمساً وعشرين مرةً» رواه الترمذى ورجاله ثقات .

ومعنى قوله «ليلة البعير»: ما روى عن جابر من غير وجه: أنه كان مع النبى - ﷺ - فى سفر، فباع بعيره من النبى - ﷺ -، واشترط ظهره إلى المدينة. يقول جابر: ليلة بعث من النبى - ﷺ - البعير استغفر لى خمساً وعشرين مرة! .

٢- وعن جابر - أيضاً - قال:

«قال لنا رسول الله - ﷺ - يوم الحديبية:

«أنتم اليوم خير أهل الأرض» وكنا ألفاً وأربعمائة» متفق عليه.

٣- وقال جابر - أيضاً - رضى الله تعالى عنه -:

«عادنى رسول الله - ﷺ - وأنا لا أعقل^(١)، فتوضأ وصبَّ علىَّ من وضوئه، ففعلت» .

رحلته فى طلب العلم!!:

عن جابر - ﷺ -، قال:

بلغنى عن رجل حديث سمعه من رسول الله - ﷺ -، فاشتريت بعيراً، ثم شددتُ عليه رحلى، فسرتُ إليه شهراً، حتى قدمتُ عليه الشام، فإذا عبد الله بن أنيس^(٢)، فقلت للبواب: قل له: جابر على الباب!! .

(١) أى من شدة المرض.

(٢) تقدمت ترجمته - رضى الله تعالى عنه - .

فقال: ابن عبد الله؟

قلت: نعم.

فخرج يظاً ثوبه، فاعتنقني واعتنقته.

فقلت: حديثاً بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله - ﷺ - في «القصاص» فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه!!.

قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول:

«يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ الْعِبَادِ - عُرَاةً غُرْلًا بِيَهُمَا».

قال: قلنا: وما بهما؟

قال: «ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد - أحسبه قال - كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه حتى اللطمة!!».

قال: قلنا: كيف وإنما نأتى الله عز وجل عُرَاةً غُرْلًا بِيَهُمَا؟

قال: «الحسنات والسيئات»^(١).

قلت: هكذا كانت همهم... ونشكو إلى الله ضعف العزائم.

جهاده:

● عن جابر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قال:

«غزوت مع رسول الله - ﷺ - ستَّ عَشْرَةَ غَزْوَةً، لَمْ أَقْدِرْ أَنْ أَغْزُوَ حَتَّى قُتِلَ أَبِي «بِأَحَدٍ»، كَانَ يُخَلِّفُنِي عَلَى أَخَوَاتِي وَكُنَّ تَسْعَاءُ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا غَزَوْتُ مَعَهُ حِمْرَاءَ الْأَسَدِ».

● وروى عن جابر، قال:

«كنتُ في جيشِ خالدٍ في حِصَارِ دِمَشْقَ».

(١) إسناده حسن: أخرجه أحمد (٤٩٥/٣) وحسنه الحافظ في «الفتح» (١/١٥٨).

● وأخرج بن حبان في «صحيحه» عن أبي المصباح المقرائي، قال: بينما نحن نسير بأرض الروم في طائفة عليها «مالك بن عبد الله الخثعمي» إذ مرَّ «مالك» بجابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - وهو يقود بغلاً له .

فقال له مالك: أي أبا عبد الله! اركب فقد حملك الله .

فقال جابر: أصلح دابتي وأستغنى عن قومي، وسمعتُ رسول الله - صلّى الله عليه وآله - يقول:

«من اغبرت قدماه في سبيل الله حرّمه الله على النار»؛ فسار حتى إذا كان حيث يسمعه الصوت نادى بأعلى صوته: يا أبا عبد الله! اركب فقد حملك الله! .

فعرف جابر الذي يريد فقال: أصلح دابتي وأستغنى عن قومي، وسمعتُ رسول الله - صلّى الله عليه وآله - يقول:

«من اغبرت قدماه في سبيل الله حرّمه الله على النار»؛ فنزل مالك ونزل الناس يمشون، فما رُئي يومٌ أكثر ماشياً منه .

معجزة لرسول الله - صلّى الله عليه وآله -:

أخرج البخاري عن جابر - رضي الله عنه - قال:

إنا كنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية^(١) شديدة، فجاءوا النبيّ - صلّى الله عليه وآله - فقالوا:

هذه كدية عرضت في الخندق .

فقال: «أنا نازل» .

ثم قام وبطنه معصوب^(٢) بحجر، ولبنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً، فأخذ النبيّ - صلّى الله عليه وآله - المعول^(٣) فضرب فعاد كئيباً أهيل^(٤) وأهيم .

(١) كدية: قطعة غليظة صلبة .

(٢) معصوب: مشدود .

(٣) المعول: الفأس العظيمة .

(٤) كئيباً أهيل: أي رملاً سائلاً .

فقلت: يا رسول الله ائذن لى إلى البيت. فقلتُ لامرأتى: رأيتُ بالنبىِّ - ﷺ - شيئاً ما كان فى ذلك صبر فعندك شىء؟

قالت: عندى شعير وعناق^(١)، فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم فى البرمة^(٢)، ثم جئتُ النبىِّ - ﷺ - والعجين قد انكسر^(٣) والبرمة بين الأثافى^(٤) قد كادت أن تنضج.

فقلت: طعيم لى، فقم أنت يا رسول الله! ورجل أو رجلان، قال: «كم هو؟». فذكرتُ له.

فقال: «كثير طيب، قل لها: لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى أتى».

فقال: «قوموا!!».

فقام المهاجرون والأنصار.

فلما دخل على امرأته فقال: ويحك! جاء النبىُّ - ﷺ - بالمهاجرين والأنصار ومن معهم.

قالت: هل سألك؟

قلتُ: نعم.

فقال: «ادخلوا ولا تضاعظوا»^(٥).

فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة^(٦) والتنور إذا أخذ منه ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع، فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعا وبقى بقية.

(١) العناق: الأثنى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة.

(٢) البرمة: القدر من الحجارة.

(٣) انكسر: لان واختمر.

(٤) الأثافى: جمع أثفية وهى الحجارة التى تنصب ويجعل عليها القدر.

(٥) لا تضاعظوا: لا تردحموا.

(٦) يخمر البرمة: يغطيها.

قال: «كلى هذا وأهدى فإن الناس أصابتهم مجاعة».

وفاته:

وبعد حياة حافلة بالعطاء . . مليئة بالعلم والجهاد في سبيل الله وفي سنة «ثمان وسبعين» انتقل جابر بن عبد الله إلى جوار ربّه . -رضى الله عنه وأرضاه- .

[٦٥] طلحة بن البراء

«المُحِبُّ الصَّادِقُ»

دخل الإسلام قلبه فأشرق بنور ربِّه . . ورغم حداثة سنِّه . . إلا أن إيمانه الكبير تخطى حواجز الزمن . . ورغب في مبايعة الرسول - ﷺ - كما بايعه الصحابةُ الكبار!! فالتقى بالنبى - ﷺ - .

ويروى لنا طلحة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قصة الحوار الذى دار بينه وبين الرسول - ﷺ - .

قال طلحة لرسول الله - ﷺ - :

ابسط يدك أبايعك .

قال : «وإن أمرتُك بقطيعة والديك؟» .

قلت : لا .

ثم عدتُ له فقلت : ابسط يدك أبايعك .

قال : «عَلَامٌ» .

قلت : على الإسلام .

قال : «وإن أمرتُك بقطيعة والديك؟» .

قلت : لا .

ثم عدتُ الثالثة ، وكانت له والدة وكان من أبرّ الناس بها ، فقال له النبىُّ - ﷺ - : «يا طلحة إنه ليس فى ديننا قطيعة الرِّحم ، ولكن أحببتُ أن لا يكون فى دينك ريبَةٌ» فأسلم فحسن إسلامه .

وفى رواية :

«أن طلحة بن البراء لما لقي النبىَّ - ﷺ - قال :

يا رسول الله مرني بما أحببت فلا أعصى لك أمراً، فعجب النبي ﷺ - لذلك وهو غلام.

فقال له عند ذلك: «أذهب فاقتل أباك».

فخرج مولياً ليفعل فدعاه، فقال له - ﷺ :-

«أقبل، فإنني لم أبعث بقطيعة رحم».

وخرج طلحة من مجلس الرسول - ﷺ - بعد أن أسلم وحسن إسلامه . . وقرر أن يعد نفسه للجهاد في سبيل الله . . فكان يخرج مع الغلمان للتدريب على وسائل القتال . . وفنون الحروب . . آملاً أن يأتي اليوم الذي ينال فيه الشهادة ليظفر بالنعيم المقيم . .

إلا أن المنية عاجلته قبل أن يقا تل في سبيل الله . . ولولا كتاب سبق لسطر آيات الجهاد . . ولكن ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ .
مرض طلحة - زوجته - مرضاً شديداً.

فعا ده النبي ﷺ - فوجده مغمى عليه، فقال النبي - ﷺ :- «ما أظن طلحة إلا مقبوضاً من ليلته، فإن أفاق فأرسلوا إلي» .

فأفاق طلحة في جوف الليل، فقال: ما عا دنى النبي - ﷺ - ؟
قالوا: بلى، فأخبروه بما قال .

فقال: لا ترسلوا إليه في هذه الساعة، فتلسعه دابة أو يصيبة شيء، ولكن إذا أصبحتم فأقرؤه مني السلام وقولا له فليستغفر لي .

فلما صلى النبي ﷺ - الصبح، سأل عنه، فأخبروه بموته، وبما قال .

فرفع النبي ﷺ - يده وقال: «اللهم القه يضحك إليك وأنت تضحك إليه» (١) .

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني مرسلأ، وعبد ربه بن صالح، لم أعرفه، وبقيّة رجاله وثقوا. «المجمع» برقم (١٥٩٦٨).

وفى رواية:

«فمرض طلحة بعد ذلك، فأتاه النبي ﷺ - يعوده في المساء في غيم وبرد، فلما انصرف قال لأهله:

«إني لأرى طلحة إلا قد حدث فيه الموت فاذنوني حتى أشهده وأصلي عليه وأعجلوا»، فلم يبلغ النبي ﷺ - بني سالم بن عوف حتى توفي، وجن عليه الليل، وكان فيما قال طلحة:

«ادفنوني وألحقوني برسى - تبارك وتعالى - ولا تدعوا رسول الله ﷺ -، فإني أخاف عليه من اليهود، ولا يُصاب في سببي، فأخبر النبي ﷺ - حين أصبح، فجاء حتى وقف على قبره وصف الناس معه، وقال:

«اللهم ألق طلحة تضحك إليه ويضحك إليك»^(١).

وهكذا انتهت حياة طلحة بن البراء.. وأسدل الستار على آخر مشهد من حياته.. ليرك لمن خلفه مثلاً رائعاً في صدق الولاء لله ولرسوله ﷺ -.

-رضى الله عن طلحة بن البراء وأرضاه-.

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني في «الأوسط»، وقد روى أبو داود بعض هذا الحديث وسكت عليه، فهو حسن - إن شاء الله -. المجمع برقم (١٥٩٦٩).

[٦٦] عامر بن فهيرة

«وكرامة الأولياء»

إنها آية تدل على عظمة هذا الدين، وعظمة الذين اتبعوه.. رجل يموت أو يقتل في الأرض.. تسارع الملائكة فتحمل جثته لتواريه؟! يا ترى من هذا الصحابي الذي نال هذا الشرف؟

هو: الصحابي الجليل عامر بن فهيرة، مولى أبي بكر الصديق.

وقد كان عامر بن فهيرة -ويكنى أبا عمرو- مولدى الأزدي أسود اللون، وكان أولاً مولى للطفيل بن الحارث أخى عائشة لأمها «أم رومان»، فأسلم قديماً قبل أن يدخل رسول الله -ﷺ- دار الأرقم بن أبي الأرقم التى عند «الصفاء» مستخفياً، فكان عامر يُعذَّب مع جملة المستضعفين بمكة ليرجع عن دينه فيأبى، فاشتراه أبو بكر الصديق فأعتقه، فكان يرعى له غنماً بظاهر مكة. ولما هاجر رسول الله -ﷺ- ومعه أبو بكر الصديق كان معهما رديفاً لأبى بكر، ومعهم الدليل «الدثلى»^(١) فقط.

وكان لعامر بن فهيرة قصة مع الرسول -ﷺ- وصاحبه وهما فى الغار.

يقول ابن إسحاق:

«فأقام رسول الله -ﷺ- فى الغار ثلاثاً ومعه أبو بكر، وجعلت قریش فيه -حين فقدوه- مائة ناقة، لمن يردّه عليهم.

وكان عبد الله بن أبى بكر يكون فى قریش نهاره معهم، يسمع ما يأترون به، وما يقولون فى شأن رسول الله -ﷺ- وأبى بكر، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر.

(١) هو: عبد الله بن أريقط.

وكان «عامر بن فهيرة» مولى أبي بكر - رضي الله عنه -، يرعى في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليها غنم أبي بكر، فاحتلبا وذبحا، فإذا عبد الله بن أبي بكر غدا من عندهما إلى مكة، اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفى عليه، حتى إذا مضت الثلاث، وسكن عنهما الناس، أتاهما صاحبهما الذي استأجراه ببيعيريهما وبيعير له، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - بسفرتيهما، ونسيت أن تجعل له عصاماً^(١). فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة^(٢) فإذا ليس لها عصام، فتحلّ نطاقتها فتجعله عصاماً، ثم علقتها به.

استشهاده:

شهد «عامر» - رضي الله عنه - بدرًا وأحدًا، واستشهد يوم «بئر معونة» وكان يوم «بئر معونة» في شهر صفر سنة (٤هـ) بعد غزوة «أحد» حيث قدم «أبو براء» عامر بن مالك بن جعفر «المسمى «بملاعب الأسنّة» على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة فعرض عليه الإسلام ودعاه إليه، فلم يسلم، ولم يبعد وقال:

يا محمد لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل «نجد» فدعوهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك.

فقال - صلى الله عليه وسلم - : «إني أخشى عليهم أهل نجد».

فقال أبو براء: أنا لهم جار.

فبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «المنذر بن عمرو» في سبعين رجلاً من خيار المسلمين يعرفون «بالقرّاء» فيهم: الحارث بن الصمّة، وحرام بن ملحان، وعروة بن أسماء، ونافع بن بديل بن ورقاء، وعامر بن فهيرة في رجال من خيار المسلمين، فساروا حتى نزلوا «بئر معونة» وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم، فلما نزلوا بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى «عامر بن الطفيل»، فلما أتاه لم ينظر في الكتاب حتى عدا على الرجل

(١) العصام: الحبل أو شبهه يشدّ على فم القربة ونحوها.

(٢) السفرة: طعام يتخذه المسافر وأكثر ما يحمل في جلد مستدير.

فقتله، ثم استصرخ عليهم بنى عامر فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم وقالوا: لن نخفر^(١) أبا براء، وقد عقد لهم عقداً وجواراً، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم، «عُصِيَّة» و«رعلاً» و«ذكوان» و«القارة». فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتى غَشُوا القوم، فأحاطوا بهم فى رحالهم، فلما رأوهم أخذوا أسيافهم ثم قاتلوا القوم حتى قُتلوا عن آخرهم، إلا كعب بن زيد أخوا بنى دينار بن النجار، فإنهم تركوه به رمق، فارتث^(٢) من بين القتلى، فعاش حتى قتل يوم الخندق، وكان فى سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ورجل من بنى عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب القوم إلا الطير تحوم حول العسكر، فقالا: والله إن لهذه الطير لشيئاً، فأقبلا لينظرا فإذا القوم فى دمائهم، وإذا الخيل التى أصابتهم واقفة.

فقال الأنصارى لعمرو بن أمية: ماذا ترى؟

فقال: أرى أن نلحق برسول الله - ﷺ - فنخبره الخبر، فقال الأنصارى: لكنى لم أكن لأرغب بنفسى عن موطن قُتل فيه «المنذر بن عمرو» فقاتل القوم حتى قُتل وأخذ عمرو أسيراً، فأعتقه «عامر بن الطفيل» كبير الغادرين عن رقبة زعم أنها على أمه!!.

وروى البخارى عن هشام بن عروة: أخبرنى أبى قال:

«لما قتل الذين بيئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمريّ قال له «عامر ابن الطفيل»: من هذا؟ وأشار إلى قتيل.

فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة.

قال: لقد رأيتُه بعدما قُتل رُفِع إلى السماء حتى أنى لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض، ثم وضع، فأتى النبى - ﷺ - خبرهم فنعاهم فقال:

(١) نخفر: ننقض العهد.

(٢) فارتث: أى رفع وبه جراح.

«إن أصحابكم قد أُصيبوا، وإنهم قد سألوا ربَّهم فقالوا: ربنا أخبرنا بما رَضِينَا عَنْكَ وَرَضَيْتَ عَنَّا» فأخبرهم عنهم.

قال الزهري:

«فبلغني أنهم التمسوا جسد عامر بن فهيرة فلم يقدروا عليه قال: فيرون أن الملائكة دفتته - رضي الله عنه -».

ومكث النبي صلى الله عليه وسلم - «شهرًا» يدعو في «قنوت» الصبح على «رِعل» و«ذكوان» و«عصية» و«بني لحيان».

[٦٧] عبد الله بن جحش

«صاحب أول لواء عُقد في الإسلام»

من هو؟:

هو: عبد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر. . ويكنى أبا محمد: وأمّه: أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

أسلم قبل دخول رسول الله - ﷺ - دار الأرقم بن أبي الأرقم. وهاجر إلى أرض الحبشة «الهجرة الثانية».

وهو صاحب أول لواء عقد في الإسلام. وأول مغنم قسم في الإسلام ما جاء به.

أخرج الطبراني من حديث زر قال:

«أول راية رفعت في الإسلام راية عبد الله بن جحش. وأول مال خمس في الإسلام مال عبد الله بن جحش»^(١).

ففي «رجب» من السنة الثانية^(٢) بعث رسول الله - ﷺ - «عبد الله بن جحش» في رهط من المهاجرين، وكتب له كتاباً، وأمره ألا ينظر فيه إلا بعد يومين من مسيره.

فإذا نظر فيه ووعى ما كلفه الرسول به، مضى في تنفيذه غير مستكره أحدًا من أصحابه.

فسار عبد الله، ثم قرأ الكتاب بعد يومين، فإذا فيه:

«امض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً، وتعلم لنا من أخبارهم».

(١) إسناده حسن: انظر: المجمع (٦/٦٧).

(٢) كانت هذه السرية بعد بدر الأولى وقبل «بدر الكبرى».

فقال عبد الله: سمعاً وطاعة، وأطلع أصحابه على كتاب الرسول قائلاً: إنه نهانى أن أستكره أحداً منكم، فمن كان يريد الشهادة ويرغب فيها فليطلق معي، ومن كره ذلك فليرجع. فلم يتخلف منهم أحد، غير أن البعير الذي كان يعتقبه «سعد بن أبي وقاص» و«عتبة بن غزوان» ند^(١) منهما فشغلا بطلبه، ومضى عبد الله برفاقه حتى نزل أرض «نخلة» فمرت عير قريش فهاجمها «عبد الله» ومن معه، فقتل في هذه المعركة «عمرو بن الحضرمي» وأسر اثنان من المشركين، وعاد عبد الله بن جحش بالقافلة والأسيرين إلى المدينة.

ويظهر أن هذا القتال وقع في آخر يوم من رجب، أي في الشهر الحرام.

وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش:

أن عبد الله قال لأصحابه: إن لرسول - ﷺ - ممّا غنمنا الخمس - وذلك قبل أن يفرض الله تعالى الخمس من المغنم - فعزّل لرسول الله - ﷺ - خمس العير، وقسم سائرهما بين أصحابه.

قال ابن إسحاق:

«فلما قدموا على رسول الله - ﷺ - المدينة، قال:

«ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام».

فوقف العير والأسيرين، وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً، فلما قال ذلك رسول الله - ﷺ - سقط في أيدي القوم، وظنوا أنهم قد هلكوا، وعنفهم إخوانهم من المسلمين فيما صنعوا».

ووجد المشركون فيما حدث فرصة لاتهام المسلمين بأنهم قد أحلوا ما حرم الله وكثر في ذلك القيل والقال، حتى نزل الوحي حاسماً هذه الأقاويل ومؤيداً مسلك عبد الله تجاه المشركين.

(١) ند: أي شرد.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ (١).

فلما نزل القرآن بهذا الأمر، وفرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الشفق، قبض رسول الله - ﷺ - العير والأسيرين.

«فلما تجلّى عن عبد الله بن جحش وأصحابه ما كانوا فيه حين نزل القرآن، طمعوا في الأجر.. فقالوا:

يا رسول الله، أنطمع أن تكون لنا غزوة نُعطى فيها أجر المجاهدين؟

فأنزل الله عز وجل فيهم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

فوضعهم الله عز وجل من ذلك على أعظم الرجاء» (٣).

وقال ابن إسحاق:

«وقد ذكر بعض آل عبد الله بن جحش:

إن الله عز وجل قسم الفىء حين أحلّه، فجعل أربعة أخماس لمن أفاءه، وخمسا إلى الله ورسوله، فوقع على ما كان عبد الله بن جحش صنع في تلك العير».

وقال ابن هشام: وهي أول غنيمة غنمها المسلمون.

قال الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله تعالى - معلقا على ردّ فعل

المشركين على سرية عبد الله بن جحش:

«إن الضجة التي افتعلها المشركون لإثارة الريبة في سيرة المقاتلين

(١) سورة البقرة: ٢١٧.

(٢) سورة البقرة: ٢١٨.

(٣) إسناده صحيح: رواه الطبراني ورجاله ثقات. المجمع (٦/١٩٨).

المسلمين لا مساغ لها، فإن الحرمات المقدسة قد انتهكت كلها في محاربة الإسلام واضطهاد أهله!

فما الذى أعاد لهذه الحرمات قداستها فجأة، فأصبح انتهاكها مَعْرَةً وشناعة؟

ألم يكن المسلمون مقيمين بالبلد الحرام حين تقرر قتل نبيهم وسلب أموالهم؟ لكن بعض الناس يرفع القوانين إلى السماء عندما تكون فى مصلحته.

فإذا رأى هذه المصلحة مهددة بما ينتقضها هدم القوانين والدساتير جميعاً.

فالقانون المرعى -عنده فى الحقيقة- هو مقتضيات هذه المصلحة الخاصة فحسب.

وقد أوضح القرآن أن المشركين لن يحجزهم شهر حرام أو بلد حرام عن المضى فى خطتهم الأصيلة، وهى سحق المسلمين، حتى لا تقوم لدينهم قائمة فقال:

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ (١)(٢).

استشهاده:

عن سعيد بن المسيّب، أن رجلاً سمع عبد الله بن جحش يقول قبل أحد بيوم: «اللهم إنا ملاقوا هؤلاء غداً فإنى أقسم عليك لما يقتلونى ويبقروا بطنى ويجدعوا أنفى، فإذا قلت لى: لم فعل بك هذا؟

فأقول: اللهم فيك.

فلما التقوا فعل ذلك به، فقال الرجل الذى سمعه:

(١) سورة البقرة: ٢١٧.

(٢) فقه السيرة (٢٣٢، ٢٣٣).

«أما هذا فقد استجيب له وأعطاه الله ما سأل في جسده في الدنيا، وأنا أرجو أن يعطى ما سأل في الآخرة».

وكان الذى قتله: أبو الحكم بن الأحنس بن شريق . . . وقطع أذنه وأنفه وعلقهما فى خيط . . . ولما رآه الصحابة بعد المعركة على هذه الحال قالوا: أجاب الله دعوته . وأطلقوا عليه «المجدع فى الله» - رضي الله عنه - .

[٦٨] عبد الله بن عتيك

«قاتل زعيم اليهود!!»

من الصفات المرذولة في اليهود.. نقضهم للعهود.. ونصب الشرك الخداعية للمؤمنين.. وتأليب الناس ضد الإسلام وأهله..

يقول الشيخ محمد الغزالي -رحمه الله تعالى-:

«ومسلك بنى إسرائيل بإزاء المعاهدات التي أمضوها قديماً وحديثاً يجعلنا نجزم بأن القوم لا يدعون خستهم أبداً، وأنهم يرعون المواثيق ما بقيت هذه المواثيق متمشية مع أطماعهم ومكاسبهم وشهواتهم، فإذا وقفت تطلّعهم الحرام نبذوها نبذ النواة، ولو تركت الحمير نهيقها، والأفاعى لدغها، ترك اليهود نقضهم للعهود.

وقد نبه القرآن إلى هذه الخصلة الشنعاء في بنى إسرائيل، وأشار إلى أنها أحالتهم حيواناً لا أناسي، فقال تعالى:

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾﴾ (١).

ماذا حدث؟

لما هزم المسلمون «بنى قريظة» وكسروا شوكتهم، لم تنته الخصومة بين المسلمين واليهود، فإن بعض مؤلبي الأحزاب على الإسلام فرّ إلى «خيبر» لاثداً بحصونها مستظهِراً بإخوانه فيها، مثل «أبي رافع بن أبي الحقيق»، وهو شريك «حبي بن أخطب» زعيم بنى النضير في التطواف بالقبائل يستجلبها إلى يثرب بغية الإتيان على الإسلام وأهله، وليس يؤمن لليهود شرّاً ما بقيت لهم قدرة على فعله. وفي الأثر:

«ما خلا يهودى بمسلم إلا هم بقتله!!» .

ولا نعرف لهذه النعمة الدفينة علّة، إلا انحراف أصحابها عن الجادة .
ومن حق المسلمين أن يحذروها، وأن لا يدعوا لها بقية تنموا على الزمن .

لذلك خرج من المدينة خمسة من الخزرج ذاهبين إلى «خير» بغيتهم
القضاء على «أبي رافع»^(١) رأس الأفعى، وإلقاء الذعر في قلوب شيعته وقد
أمر الرسول عليهم «عبد الله بن عتيك» ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة^(٢)!! .

وعبد الله بن عتيك هو: عبد الله بن عتيق بن قيس بن الأسود من بنى
سلمة - رضي الله عنه - .

وقدم المغامرون الخمسة في أرض خير وانتهوا إلى دار ابن أبي الحقيق
وندع المجال للبراء بن عازب - رضي الله عنه - يقص علينا القصة من بدايتها إلى
نهايتها .

يقول البراء - رضي الله عنه - :

«بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أبي رافع عبد الله بن عتيك وعبد الله بن
عتبة في ناس معهم، فانطلقوا حتى دنوا من الحصن، فقال لهم عبد الله بن
عتيك :

«امكثوا أنتم حتى أنطلق أنا فأنظر» قال :

فتلطفت أن أدخل الحصن، ففقدوا حماراً لهم، قال :

فخرجوا بقبسٍ يطلبونه .

قال : فخشيت أن أعرف، قال : فغطيت رأسي كأنى أقضى حاجة ثم

نادى صاحب الباب :

من أراد أن يدخل فليدخل قبل أن أغلقه .

(١) هو: أبو رافع بن أبي الحقيق اليهودى، وكان ممن أعان «عطفان» وغيرهم من مشركى
العرب بالمال الكثير على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . «فتح ٣٩٨/٧» .

(٢) هذه أخلاق الإسلام فى الحروب . . فأين هذه المبادئ عند أعداء الإسلام! وانظر ما يجرى
على مسرح الأحداث اليوم فى لبنان والعراق والبوسنة والشيشان .

فدخلتُ ثم اختبأتُ في مَرَبِطِ حِمَارٍ عِنْدَ بَابِ الْحِصْنِ، فَتَعَشَّوْا عِنْدَ أَبِي رَافِعٍ وَتَحَدَّثُوا حَتَّى ذَهَبَتْ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى بَيْوتِهِمْ.

فَلَمَّا هَدَّاتِ الْأَصْوَاتُ وَلَا أَسْمَعُ حَرَكَةً خَرَجْتُ. قَالَ:

وَرَأَيْتُ صَاحِبَ الْبَابِ حَيْثُ وَضَعَ مِفْتَاحَ الْحِصْنِ فِي كُوَّةٍ^(١)، فَأَخَذَتْهُ فَفَتَحَتْ بِهِ بَابَ الْحِصْنِ.

قَالَ: قُلْتُ: إِنْ نَذَرْتُ بِي الْقَوْمَ انْطَلَقْتُ عَلَى مَهَلٍ، ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى أَبْوَابِ بَيْوتِهِمْ فَغَلَقْتُهَا عَلَيْهِمْ مِنْ ظَاهِرٍ، ثُمَّ صَعَدْتُ إِلَى أَبِي رَافِعٍ فِي سُلْمٍ، فَإِذَا الْبَيْتُ مُظْلَمٌ قَدْ طَفَى سِرَاجُهُ فَلَمْ أَدْرِ أَيْنَ الرَّجُلِ.

فَقُلْتُ: يَا أَبَا رَافِعٍ.

قَالَ: مَنْ هَذَا؟

قَالَ: فَعَمَدْتُ نَحْوَ الصَّوْتِ فَأَضْرِبُهُ، وَصَاحَ، فَلَمْ تَغْنِ شَيْئًا.

قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ كَأَنِّي أُغَيِّثُهُ فَقُلْتُ: مَا لَكَ يَا أَبَا رَافِعٍ؟ وَغَيَّرْتُ صَوْتِي.

فَقَالَ: أَلَا أُعْجِبُكَ، لِأُمِّكَ الْوَيْلِ، دَخَلَ عَلَيَّ رَجُلٌ فَضْرَبَنِي بِالسَّيْفِ.

قَالَ: فَعَمَدْتُ لَهُ أَيْضًا فَأَضْرِبُهُ أُخْرَى، فَلَمْ تَغْنِ شَيْئًا، فَصَاحَ، وَقَامَ

أَهْلُهُ.

قَالَ: ثُمَّ جِئْتُ وَغَيَّرْتُ صَوْتِي كَهَيْئَةِ الْمُغِيثِ، فَإِذَا هُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَأَضَعْتُ السَّيْفَ فِي بَطْنِهِ ثُمَّ أَنْكَفَيْتُ عَلَيْهِ حَتَّى سَمِعْتُ صَوْتَ الْعِظْمِ ثُمَّ خَرَجْتُ دَهْشًا حَتَّى أَتَيْتُ السُّلْمَ أُرِيدُ أَنْ أَنْزِلَ فَأَسْقَطَ مِنْهُ، فَانْخَلَعَتْ رِجْلِي فَعَصَبْتَهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ أَصْحَابِي أَحْجَلٌ.

فَقُلْتُ: انْطَلِقُوا فَبَشِّرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَإِنِّي لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَسْمَعَ

النَّاعِيَةَ.

فَلَمَّا كَانَ فِي وَجْهِ الصُّبْحِ صَعَدَ النَّاعِيَةُ فَقَالَ:

أَنْعَى أَبَا رَافِعٍ.

(١) الكوة: الثقب في الجدار.

قال: فقمْتُ أمشي ما بي قلبه^(١)، فأدركتُ أصحابي قبل أن يأتوا النبيَّ - ﷺ -، فبشَّرتُه «رواه البخاري».

وفي رواية للبخاري - أيضاً -:

«... فانطلقتُ إلى أصحابي فقلت:

النَّجاء، فقد قَتَلَ اللهُ أبا رافع، فانتَهيتُ إلى النبيِّ - ﷺ - فحدَّثته، فقال

لي:

«أبسطُ رجلِك».

فبسطتُ رجلي فمسحها، فكأنها لم أشتكها قطُّ!!».

قال الزُّهري: قال أبيُّ بن كعب - رضِيَ اللهُ عنه -:

فقدموا على رسول الله - ﷺ - وهو على المنبر فقال:

«أفلحت الوجوه».

قال: أفلح وجهك يا رسول الله!.

قال: «أفتكتموه؟»^(٢).

قالوا: نعم.

قال: «ناولني السيف؟»، فسَلَّه.

فقال: «أجل، هذا طعامه في ذباب^(٣) السيف».

وهكذا أدَّى «عبد الله بن عتيك» المهمة التي كُلف بها وأزاح من طريق

الدعوة عقبة كآداء.

وتضعُض الكفر بعد هذه الوقعة. ورست أصول الإسلام واطمأنت

دولته.

(١) قلبه: المعنى: ليست به علة تهلكه.

(٢) أفتكتموه: أى أقتلتموه.

(٣) ذباب السيف: طرفه.

فما انتهت السنة الخامسة للهجرة حتى أصبح المسلمون قوة تفرض نفسها وتذيق المعاندين بأسها.

واستيقنت قريش وأحلافها أن ردّ المسلمين إلى عبادة الأوثان ضرب من المستحيل، كما استيقن اليهود أن خصامهم الخبيث للدين الجديد والرسالة الخاتمة لم يزددهم إلا خبالاً.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - (١):

«وفي هذا الحديث من الفوائد:

جواز اغتيال المشرك الذي بلغت الدعوة وأصرّ.

وقتل من أعان على رسول الله - ﷺ - بيده أو ماله أو لسانه. وجواز

التجسس على أهل الحرب وتطلب غرتهم.

والأخذ بالشدّة في محاربة المشركين.

وجواز إبهام القول للمصلحة.

وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين.

والحكم بالدليل والعلامة لاستدلال ابن «عتيك» على أبي رافع بصوته،

واعتماده على صوت الناعى بموته، والله أعلم» اهـ.

وفي النهاية... لا نملك إلا أن نترضى على «عبد الله بن عتيك» وعلى

أصحابه الذين كانوا معه، وعلى الصحابة أجمعين.

(١) فتح الباري (٧/ ٤٠٠) حديث رقم (٤٠٤٠).

[٦٩] زيد بن حارثة

«شهير مؤتة»

ابن شراحبيل، قائد «مؤتة» وشهيدها، وحبُّ رسول الله - ﷺ - وأبو حبه، وما أحب - ﷺ - إلا طيباً، ولم يُسمَّ الله تعالى في كتابه صحابياً باسمه إلا زيد بن حارثة وعيسى ابن مريم - ﷺ - الذي ينزل حكماً مُقسطاً ويلتحق بهذه الأمة المرحومة في صلاته وصيامه وحجّه ونكاحه وأحكام الدين الحنيف جميعها، فكما أن أبا القاسم سيّد الأنبياء وأفضلهم وخاتمهم، فكذلك عيسى بعد نزوله أفضلُ هذه الأمة مطلقاً، ويكون خاتمهم، ولا يجيء بعده من فيه خير، بل تطلع الشمس من مغربها، ويأذن الله بدنو الساعة^(١).

واسمه: زيد بن حارثة بن شراحبيل بن عبد العزى بن امرئ القيس.

وأمه: سعدى بنت ثعلبة بن عبد عامر، زارت قومها وزيد معها، فأغارت خيل بنى القين فى الجاهلية فمروا على أبيات بنى «معن» فاحتملوا زيدا وهو يومئذ غلام يفعة، فوافوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه «حكيم بن حزام» لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم، فلما تزوجها رسول الله - ﷺ - وهبته له وكان أبوه حارثة حين فقده قال:

أحى فـيـرْجـى أم أتى دونه الأجل
أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل
فحسى من الدنيا رجوعك لى بجل
وتعرض ذكراه إذا قارب الطفل^(٢)

بـكـيـتُ عـلى زيد ولم أدر ما فعل
فوالله ما أدرى وإن كنت سائلاً
فيا ليت شعرى هل لك اليوم رجعة
تذكرنيه الشمس عند طلوعها

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٢٠).

(٢) الطفل: المطر.

وإن هبت الأرواح هيجن ذكره
سأعمل نص العيس^(١) في الأرض جاهداً
حياتي أو تأتي علي منيتي
وأوصي به قيساً وعمراً كليهما
فيا طول ما حزنني عليه وما وجل
ولا أسام التطواف أو تسام الإبل
وكل امرئ فان وإن غره الأمل
وأوصى يزيداً ثم من بعده جبل

يعنى جبلة بن حارثة أخا زيد، ويزيد أخو زيد لأمه فحجج ناس، من كعب فرأوا زيداً فعرفوه وعرفهم فقال: أبلغوا أهلي هذه الآيات فإني أعلم أنهم قد جزعوا علي وقال:

ألكني إلى قومي وإن كنت نائياً
فكفوا عن الوجد الذي قد شجاكم
فإني بحمد الله في خير أسرة
فإن قطين البيت عند المشاعر
ولا تعملوا في الأرض نص الأباغر
كرام معد كابرأ بعد كابر

فانطلقوا فأعلموا أباه فخرج حارثة وكعب بن شراحيل بفدائه، فقدموا مكة فسألوا عن النبي - ﷺ - فقيل:
هو في المسجد فدخلا عليه فقالوا:

يا بن هاشم، يا بن سيد قومه، أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفكّون العاني وتطعمون الأسير، جئناك في ابنا عندك فامنن علينا وأحسن إلينا في فدائه فإننا سنرفع لك في الفداء.

قال: «ما هو؟».

قالوا: زيد بن حارثة.

فقال رسول الله - ﷺ - : «فهلّا غير ذلك؟».

قالوا: ما هو؟

قال: «ادعوه فخيرّوه فإن اختاركم فهو لكما بغير فداء، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار علي من اختارني أحداً».

(١) العيس بالكسر: الإبل.

قالوا: قد زدتنا على النصف وأحسنّت.

فدعاه - ﷺ - فقال: «هل تعرف هؤلاء؟».

قال زيد: نعم، هذا أبى وهذا عمى.

قال: «فأنا من قد علمت ورأيت محبتي لك فاخترنى أو اخترهما».

فقال زيد: ما أنا بالذى أختار عليك أحداً. أنت منى بمنزلة الأب

والعم.

فقالا: ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك

وأهل بيتك؟

قال: نعم إنى قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذى أختار عليه

أحداً أبداً.

فلما رأى رسول الله - ﷺ - ذلك أخرجته إلى الحجر.

فقال: «يا من حضر اشهدوا أن زيدا ابنى وأرثه».

فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما وانصرفا.

فدعى «زيد بن محمد» حتى جاء الله بالإسلام فزوجه رسول الله

- ﷺ - «زينب بنت جحش» فلما طلقها [زيد] تزوجها النبي - ﷺ - (١) فتكلم

المنافقون فى ذلك وقالوا: تزوج امرأة ابنه فنزل: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ

رَجَالِكُمْ﴾ (٢) وقال: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ (٣) فدعى يومئذ زيد بن حارثة (٤).

(١) ضلّت أفهام بعض من عميت عليهم أنباء التحقيق.. فأشاعوا رواية ملفقة مفادها: أن

رسول الله - ﷺ - دخل على زينب فرأى جمالها.. فدخل حبها فى قلبه.. فلما أحس

زيد بذلك طلقها للرسول - ﷺ -!! وهذا كذب له قرون.. فإن الله هو الذى أمره بذلك

﴿فزوجناكها﴾ وزينب درجت وتربت مع النبى ولم يكن يخفى عليه شىء من أمرها

وحالها.. فكان الأولى به - ﷺ - أن يتزوجها بكرة!

(٢) سورة الأحزاب: ٤٠.

(٣) سورة الأحزاب: ٥.

(٤) ذكره ابن حجر فى «الإصابة» وابن إسحاق فى «السيرة».

كان النبي - ﷺ - يعظم شأن زيد - رضى الله عنه - .. ويحبه حباً شديداً ويقربه ويدنيه .

فمن محمد بن أسامة، عن أبيه قال: قال رسول الله - ﷺ - لزيد بن حارثة: «يا زيد! أنت مولاي، ومنى وإلى، وأحب القوم إلى» (١).

ولمّا عينه أميراً على بعض الجيوش طعن بعض الناس فى إمارته . .

ولمّا عين ابنه «أسامة» بعد ذلك طعن الناس فى إمارته أيضاً!! فقال - ﷺ - : «إن تطعنوا فى إمارته، فقد طعنتم فى إمارة أبيه، وإيم الله إن كان خليفاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلى، وإن ابنه هذا لأحب الناس إلى بعده» رواه البخارى وأحمد.

جهاده فى سبيل الله تعالى:

شهد زيد - رضى الله عنه - بدرًا وأحدًا والخندق والحديبية وخيبر، واستخلفه رسول الله - ﷺ - على المدينة حين خرج إلى «المريسيع» وخرج - رضى الله عنه - أميراً فى سبع سرايا .

ولمّا بعث رسول الله - ﷺ - «جبيل بن عمرو» إلى أمير بصرى يدعوه إلى الإسلام . . أوثق أمير بصرى وثاق جبيل ثم قدّمه فضرب عنقه، ولم يُقتل أحدٌ غيره من بعوث الرسول - ﷺ - الكثيرة، والرسول لا يُقتلون، فكان وقع هذه الإهانة شديداً على المسلمين، فعزموا على الاقتصاص لرجلهم، وعلى زلزلة الوالى الأثيم الذى صنع ما صنع لحساب الرومان .

وتجهز المسلمون فى جيش يعتبر بالنسبة لهم كبيراً، إذ بلغت عدته ثلاثة آلاف، وخرج أهل المدينة يودعون الجيش الزاحف ورتب النبي - ﷺ - قادة الجيش، فجعل الأمير «زيد بن حارثة» وقال:

«إن أصيب فجعفر بن أبى طالب، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة»
أخرجه البخارى وغيره .

(١) إسناده حسن: أخرجه أحمد (٢٠٤/٥) مطولاً وحسنه الحافظ فى «الإصابة» (٤/٥٠).

وانطلق الجيش إلى مشارف الشام .

إلّا أن أخباره سبقته إلى الروم، فاستعدوا للقتال بجيش كثيف .

فلما وصل المسلمون إلى «معان» عرفوا أن في انتظارهم مائة ألف من الروم، ومائة ألف أخرى من نصارى العرب والهجوم على جيش تلك عدته مجازفة مخوفة، فأقام المسلمون ليلتين بـ «معان» يتدبرون أمرهم، وقال نفر منهم: نكتب إلى رسول الله - ﷺ - نخبره بعدد عدونا، فإمّا أن يمدنا بالرجال، وإمّا أن يأمرنا بأمره فنمضى له، ولم يرق ذلك لعبد الله بن رواحة فشجع الناس قائلاً:

«يا قوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون - الشهادة! - وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسينين: إمّا ظهور وإمّا شهادة» .

وكان لهذه الكلمة الملتهبة أثرها، فاخفت من صفوف المسلمين مشاعر التردد، وقرروا القتال، مهما كانت النتائج والتقى الجمعان^(١)، وعبث أن تنتظر من ثلاثة آلاف بطل أن يصابولوا في ميدان مكشوف فيالتق تربوا عليهم سبعين ضعفاً وقاتل زيد بن حارثة - رضى الله عنه - براية رسول الله - ﷺ - حتى شاط في رماح القوم ثم قُتل شهيداً .

وتلقف الراية «جعفر بن أبى طالب» فأقبل على الروم بعنف حتى قتل شهيداً فلما قُتل - رضى الله عنه - حمل «عبد الله بن رواحة» الراية، ثم تقدم بها وهو على فرس، فلما أحسّ دقة الموقف اقتحم غمار المعركة وقاتل حتى قُتل شهيداً .

فأخذ الراية «خالد بن الوليد» ففتح الله على يديه!! .

وبينما تدور رحى المعركة . . وقد سقط القواد الثلاثة قتلى في ساحة

(١) كان ذلك في «مؤتة» وكانت في جمادى الأولى سنة (٨هـ) ومؤتة: موضع في بلاد الشام .

الشرف . . إذا بالنعى يصل إلى رسول الله - ﷺ - عن طريق أمين الوحي جبريل - عليه السلام - !! .

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال :

إن رسول الله - ﷺ - نعى زيداً وجعفرأً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم !! فقال :

«أخذ الراية زيداً فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب - وعيناه تذرْفان - قال : ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم» أخرج البخارى .

ثم تحدث الرسول - ﷺ - عن قادة الجيش الذين قُتلوا، فقال لأصحابه : «ما يسرهم أنهم عندنا» أخرج البخارى .

أجل، إن الجوار الذي صاروا إليه أحب لنفوسهم، وأقرّ لعيونهم من الدنيا وما فيها .

وأما أسرهم ففي كفالة الله، وهو نعم المولى ونعم النصير (١) .

وعن خالد بن سمير، قال :

لَمَّا أُصِيبَ «زيد بن حارثة» أتاهم النبي - ﷺ - . قال : فجهشت بنت زيد في وجهه - أي بكت - فبكى رسول الله - ﷺ - حتى انتحب !! .

فقال له سعد بن عبادة : ما هذا يا رسول الله ؟

قال : «هذا شوق الحبيب إلى الحبيب» .

فهنيئاً لك يا زيد . . هنيئاً لك يوم أسلمت . . وهنيئاً لك يوم استشهدت . . وهنيئاً لك يوم تبعث حياً .

[٧٠] زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ

«حامل راية المهاجرين يوم اليمامة»

من هو؟:

هو: زيد بن الخطاب القرشي العدوي، أسلم - ﷺ - قبل أخيه «عمر» وكان أكبر سنًا منه.

شهد بدرًا والمشاهد.. وأخى الرسول - ﷺ - بينه وبين «معن بن عدى الأنصاري».

جهاده واستشهاده:

ومنذ اللحظة الأولى التي دارت فيها المعارك بين المسلمين والمشركين.. كان زيد بن الخطاب يحدوه الأمل العريض في نيل الشهادة في سبيل الله!! يظهر ذلك جلياً في طريقة الأداء أثناء القتال.

فعن ابن عمر - رضي الله عنهما -، قال:

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لأخيه زيد يوم أُحُد:

«أقسمتُ عليك إلا لبستَ درعى»، فلبسها ثم نزعها!!.

فقال له عمر: ما لك؟

قال: إني أريد لنفسي ما تريد لنفسك - أي من الشهادة».

لقد حَرَكَ الداعى إلى الله، وإلى دار السلام النفوس الأبية، والهمم العالية، وأسمع منادى الإيمان من كانت له أذن واعية، وأسمع الله من كان حياً، فهزه السماعُ إلى منازل الأبرار، وحدا به في طريق سيره، فما حطَّت به رحاله إلا بدار القرار.

فقال - ﷺ - : «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف» رواه مسلم .

وقال - ﷺ - فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى :

«أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي خَرَجَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِي ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي، ضَمِنْتُ لَهُ أَنْ أَرْجِعَهُ إِنْ أَرْجَعْتُهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَإِنْ قَبِضْتُهُ أَنْ أَغْفِرَ لَهُ وَأَرْحَمَهُ وَأُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ» (١) .

حَدَا بِكَ حَادِي الشُّوقِ فَاطُو المَرَّاحِلَا	فَحِيَّهَلَا إِنْ كُنْتَ ذَا هِمَّةٍ فَقَدْ
إِذَا مَا دَعَا لَبِيكَ أَلْفَا كَوَامِلَا	وَقُلْ لِمَنَادِي حُبِّهِمْ وَرِضَاهُمْ
وَدَعُهُ فَإِنَّ الشُّوقَ يَكْفِيكَ حَامِلَا	وَلَا تَنْتَظِرْ بِالسَّيْرِ رِفْقَةَ قَاعِدِ
طَرِيقِ الهُدَى وَالْحُبِّ تَصْبِيحُ وَأَصِلَا	وَخُذْ مِنْهُمْ زَادًا إِلَيْهِمْ وَسِرْ عَلِيًّا
مَنَازِلُكَ الأُولَى بِهَا كُنْتَ نَازِلَا	وَحَى عَلِيٍّ جَنَاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا
خُلُودٌ فَجُدْ بِالنَّفْسِ إِنْ كُنْتَ بَازِلَا	وَحَى عَلِيٍّ يَوْمِ المَزِيدِ بِجَنَّةِ الـ
فَعِنْدَ اللِّقَا ذَا الكَدِّ يُصْبِحُ زَائِلَا	وَقُلْ سَاعِدِي يَا نَفْسُ بِالصَّبْرِ سَاعَةً
وَيُصْبِحُ ذُو الأَحْزَانِ فَرِحَانَ جَادِلَا	فَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ ثُمَّ تَنْقَضِي

وفى معركة «اليمامة» كانت راية المهاجرين يومئذ بيده، فلم يزل يتقدم بها حتى قتل فسقطت، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة فعن الجحاف بن عبد الرحمن - من ولد زيد بن الخطاب - عن أبيه قال: كان زيد بن الخطاب - رضي الله عنه - يحمل راية المسلمين يوم اليمامة وقد انكشف المسلمون حتى غلبت بنو حنيفة عن الرجال، فجعل زيد يقول: أما الرجال فلا رجال، وأما الفرار فلا فرار .

ثم جعل يصيح بأعلى صوته :

(١) إسناده حسن: أخرجه النسائي (١٨/٦) فى «الجهاد» وله شواهد .

«اللهم إني أعتذر إليك من فرار أصحابي وأبرأ إليك مما جاء به مسيلمة. وجعل يشدد بالراية ينفذ بها في نحر العدو ثم ضارب بسيفه حتى قُتل ووقعت الراية، فأخذها سالم مولى أبي حذيفة فقال المسلمون:

يا سالم إنا نخاف أن نُؤتى من قبلك.

فقال: بس حامل القرآن أنا إن أُتيت من قبلي.

وقد قتل زيد يومئذ «الرجال بن عنفوة» واسمه «نهار» وكان الرجال هذا قد أسلم وقرأ «البقرة» ثم ارتد ورجع فصدق مسيلمة وشهد له بالرسالة!!! فحصل به فتنة عظيمة -نعوذ بالله من الخذلان- فكانت منيته على يد زيد -رضي الله عنه-.

ثم قتل زيدا رجلاً يقال له «أبو مريم الحنفي» وقد أسلم بعد ذلك. وقال لعمر:

يا أمير المؤمنين إن الله أكرم زيدا بيدي ولم يهنى على يده.

ولما بلغ عمر نبأ استشهاد زيد قال:

«سبقني إلى الحسينين: أسلم قبلي، واستشهد قبلي».

وكان دائم الحنين إليه. . فكان -رضي الله عنه- يقول:

«ما هبت الصبا إلا وأنا أجد ريح زيد!!!».

وظل هذا الحنين إلى أن لحق عمرُ بربه شهيداً على يد «أبي لؤلؤة

المجوسي» ليلقى أخاه هناك ﴿في مقام أمين﴾.

-رضى الله عن الصحابة أجمعين-.

[٧١] عُبَيْة بن زيد

«صاحب الزكاة المتقبلة!!»

لَمَّا جَهَّزَ النَّبِيُّ - ﷺ - «جيش العُسرة»^(١) بقى بعضُ الفقراء الذين لا يجدون مالاً يحملهم في سبيل الله . . ولم يجدوا عند الرسول - ﷺ - من الظهر ما يحملهم عليه!! فرجعوا وهم يبكون تأسفاً على ما فاتهم من الجهاد في سبيل الله والنفقة فيه .

قال ابن إسحاق:

وكانوا سبعة نفر من «الأنصار» وغيرهم، فمن بنى عمرو بن عوف «سالم بن عمير» و«عُبَيْة بن زيد» أخو بنى حارثة و«أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب» أخو بنى مازن بن النجار، و«عمرو بن الحمام بن الجموح» أخو بنى سلمة، و«عبد الله بن المغفل المزني» وبعض الناس يقولون: بل هو «عبد الله ابن عمرو المزني» و«هرمى بن عبد الله» أخو بنى واقف، و«عرباض بن سارية الفزاري» .

وقال العوفي عن ابن عباس - رضى الله عنهما - :

إن رسول الله - ﷺ - أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه، فجاءته عصابة من أصحابه فيهم «عبد الله بن مغفل بن مقرن المزني» .

فقالوا: يا رسول الله احملنا .

فقال لهم: «والله لا أجد ما أحملكم عليه» .

فتولوا وهم يبكون^(٢) وعزّ عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملاً .

(١) هو الجيش الذي اتجه لتبوك .

(٢) سُموا: بالبكّائين .

فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله أنزل عذرهم في كتابه فقال:

﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ (١).

قال ابن إسحاق:

بلغنى أن «ابن يامين بن عمير بن كعب النضرى» لقى «أبا ليلى» و«عبد الله بن مغل» وهما بيكيان، فقال:

ما بيكيكما؟

قالا: جئنا رسول الله - ﷺ - ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه.

فأعطاهما ناضحاً له فارتحلاه، وزودهما شيئاً من تمر، فخرجا مع النبى - ﷺ - .

زاد يونس بن بكير عن ابن إسحاق:

وأما «علبة بن زيد» فخرج من الليل فصلّى من ليلته ما شاء الله ثم بكى وقال:

«اللهم إنك أمرت بالجهاد ورغبت فيه، ثم لم تجعل عندى ما أتقوى به، ولم تجعل فى يد رسولك ما يحملنى عليه، وإنى أتصدق على كل مسلم بكلّ مظلمة أصابنى فيها من مالٍ أو جسدٍ أو عرضٍ، ثم أصبح مع الناس، فقال رسول الله - ﷺ -:

«أين المتصدق هذه الليلة؟» .

فلم يقم أحد.

ثم قال:

«أين المتصدق فليقم»؟.

فقام إليه فأخبره.

فقال - ﷺ -: «أبشر فوالذي نفسى بيده لقد كتبت فى الزكاة المتقبلة» (١).

وتحرك الجيش إلى «تبوك» . . ويتذكر النبىُّ - ﷺ - «البكائين» وهو فى مسيره .

«إن بالمدينة أقواماً ما قطعتم وادياً ولا سرتماً سيراً إلا وهم معكم».

قالوا: وهم بالمدينة؟.

قال: «نعم. حسبهم العذر» رواه البخارى.

وهكذا يبلغ الإنسان بحسن نيته أعلى الدرجات . . فيثاب عليها . . ويؤجر وإن قعدت به الحاجة أو منعه عذر . . وهذا فضل عظيم من رب عظيم .

وما هو النبىُّ - ﷺ - يقول:

«من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح كتب له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه من ربه» (٢).

وفى حديث أبى كبشة الأمارى - رُوِيَ - يزداد الأمر إيضاحاً .

فيقول الرسول - ﷺ -:

«إنما الدنيا لأربعة نفر:

عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقى فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعلم الله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل.

(١) أخرجه البيهقى فى «دلائل النبوة» (الحديث: ٢١٨/٥، ٢١٩).

(٢) إسناده جيد: رواه النسائى وابن ماجه.

وعبدُ رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاَ فهو صادق النية يقولُ لو أن لى مالاَ لعملتُ بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء.

وعبدُ رزقه الله مالاَ ولم يرزقه علماً يخبط فى ماله بغير علم، ولا يتقى فيه ربّه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم الله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل.

وعبدُ لم يرزقه الله مالاَ ولا علماً، فهو يقول:

لو أن لى مالاَ لعملتُ فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء»^(١).

وبهذا يتضح معنى قول النبى - ﷺ -:

«إن بالمدينة أقواماً ما قطعتم وادياً ولا سرتهم مسيراً إلا وهم معكم...».

فالأعمال بالنيات... والنية - أحياناً - أبلغ من العمل.

- ورضى الله عن «علبة» وعن إخوانه «البكائين» المخلصين -.

[٧٢] ربيعة بن مالك الأسلمي

«الخدام الأمين للنبي - ﷺ -»

أسلم ربيعة بن مالك - ﷺ - قديماً . . وكان من أهل الصفة . . الذين لازموا مسجداً للنبي - ﷺ - . . يغدو عليهم الرسول الأعظم - ﷺ - ويروح . . فقال - ﷺ - شرف الصلاة خلفه . . والجلوس بين يديه . . يسمع الوحي من فمه الشريف غصاً طرياً كما أنزل . . فحلّت عليه بركات الدين . . وشرب قلبه حبّ الإسلام الخالد . . وتاقت نفسه إلى بذل كل ما يستطيع من أجل نشر الدين والتمكين لأهله .

وثمة شرف آخر ناله هذا الصحابي الصالح ألا وهو إقامته على خدمة الرسول - ﷺ - . . بيت على بابه . . ويقوم على حوائجه نهاره أجمع فهنيئاً له . . وذلك هو الفضل الكبير . .

وكان النبي - ﷺ - حفيماً . . يحبه . . ويلطفه . . ويدعو له! وكان ربيعة لا يملك من متاع الحياة الدنيا شيئاً . . لا يملك من الدنيا إلا إيمانه الكبير يستوطن في قلبه ويسكن بين جوانحه . . ولا يريد من الدنيا سوى أن يظفر عند خروجه منها برحمة الله ورضوانه ومرافقة رسول الله - ﷺ - في الجنة! . . وليس بعد هذا الفضل من فضل .

عن نعيم بن مجمر، عن ربيعة بن كعب بن مالك، قال:

كنت أخدم رسول الله - ﷺ - وأقوم له في حوائجه نهارى أجمع حتى يصلّى رسول الله - ﷺ - العشاء الآخرة فأجلس ببابه إذا دخل بيته أقول:
 لعلها أن تحدث لرسول الله - ﷺ - حاجة فما أزال أسمعه يقول:

«سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله وبحمده» حتى أملك فأرجع أو

تغلبنى عيني فأرقد!، قال:

فقال لى يوماً لما بَرَى من خِفتى له وخدمتى إِيَّاهُ:
«سلنى يا ربىعة أعطك».

قال: فقلتُ: أنظر فى أمرى يا رسول الله ثم أعلمك ذلك، قال:
ففكرتُ فى نفسى فعرفتُ أن الدنيا منقطعة زائلة وأن لى فيها رزقاً سيكفينى
ويأتينى. قال:

فقلتُ: أسأل رسول الله - ﷺ - لآخرتى فإنه من الله عزّ وجلّ بالمنزل
الذى هو به. قال:
فجئتُ، فقال:
«ما فعلت يا ربىعة؟».

قال: فقلت: نعم يا رسول الله أسألك أن تشفع لى إلى ربك فيعتقنى
من النار.
قال: فقال:
«من أمرك بهذا يا ربىعة؟».

قال: فقلت: لا والله الذى بعثك بالحق ما أمرنى به أحدٌ ولكنك لما
قلت: «سلنى أعطك» وكنت من الله بالمنزل الذى أنت به نظرتُ فى أمرى
وعرفتُ أن الدنيا منقطعة وزائلة، وأن لى فيها رزقاً سيأتينى، فقلت:
أسأل رسول الله - ﷺ - لآخرتى، قال:
فصمت رسول الله - ﷺ - طويلاً ثم قال لى:
«إنى فاعل، فأعنى على نفسك بكثرة السجود»^(١).
وهذه هى غاية أولياء الله تعالى وكفى بها غاية.

قصة زواجه:

كان لزواج «ربىعة بن مالك» - رضى الله عنه -، قصة يحكيها لنا، فيقول: «كنتُ
أخدم رسول الله - ﷺ -، فقال:

(١) صحيح: أخرجه أحمد فى «المسند» برقم (١٦٥٣٢). وقال محققه: إسناده صحيح.

«يا ربعة ألا تزوج؟» .

قلت: والله يا رسول الله ما أريد أن أتزوج، ما عندي ما يقيم المرأة، وما أحب أن يشغلني عنك شيء!!، فأعرض عني فخدمته ما خدمته، ثم قال لى الثانية .

«يا ربعة ألا تزوج؟» .

فقلت: ما أريد أن أتزوج، ما عندي ما يقيم المرأة، وما أحب أن يشغلني عنك شيء، فأعرض عني، ثم رجعتُ إلى نفسي فقلت:

والله لرسول الله - ﷺ - بما يصلحني في الدنيا والآخرة أعلم مني، والله لئن قال: تزوج لأقولن:

نعم يا رسول الله مُرني بما شئت .

قال: فقال: «يا ربعة ألا تزوج؟» .

فقلت: بلى، مُرني بما شئت، قال:

«انطلق إلى آل فلان - حَيٍّ من الأنصار، وكان فيهم تراخ عن النبي - ﷺ - فقل لهم: إن رسول الله - ﷺ - أرسلني إليكم يأمركم أن تزوجوني فلانة» .

فقالوا: مرحباً برسول الله وبرسول رسول الله - ﷺ -، والله لا يرجع رسول رسول الله - ﷺ - إلا بحاجته، فزوجوني، وأطفوني، وما سألوني البينة!! .

فرجعت إلى رسول الله - ﷺ - حزيناً، فقال لى:

«ما لك يا ربعة؟» .

فقلت: يا رسول الله أتيتُ قومًا كرامًا فزوجوني وأكرموني وأطفوني وما سألوني بينة وليس عندي صداق .

فقال رسول الله - ﷺ -:

«يا بريدة الأسلمي اجمعوا له وزن نواة من ذهب».

قال: فجمعوا لي وزن نواة من ذهب فأخذتُ ما جمعوا لي فأتيتُ به النبيَّ - ﷺ -، فقال:

«اذهب بهذا إليهم فقل هذا صداقها!».

فأتيتهم فقلتُ: هذا صداقها، فرضوه وقبلوه، وقالوا: كثير طيب،

قال:

ثم رجعت إلى النبيَّ - ﷺ - حزينا!!، فقال:

«يا ربعة ما لك حزين؟».

فقلت: يا رسول الله ما رأيتُ قومًا أكرم منهم، رضوا بما آتيتهم

وأحسنوا وقالوا: كثير طيب، وليس عندي ما أولم، قال:

«يا بريدة اجمعوا له شاة».

قال: فجمعوا لي كبشًا عظيمًا سمينًا، فقال لي رسول الله - ﷺ -:

«اذهب إلى عائشة فقل لها فلتبعث بالمكتل الذي فيه الطعام».

قال: فأتيتها، فقلتُ لها ما أمرني به رسول الله - ﷺ - فقالت: «هذا

المكتل فيه تسع أصع شعير لا والله إن أصبح لنا طعام غيره خذه».

فأخذته فأتيتُ به النبيَّ - ﷺ - وأخبرته بما قالت عائشة، فقال:

«اذهب بهذا إليهم فقل لهم ليصبح هذا عندكم خبزًا وهذا طيخًا».

فذهبتُ إليهم وذهبتُ بالكبش ومعى أناس من أسلم، فقال: ليصبح

هذا عندكم خبزًا، وهذا طيخًا.

فقالوا: أما الخبز فسنكفيكموه، وأما الكبش فاكفونا أنتم.

فأخذنا الكبش وأنا وأناس من أسلم فذبحناه وسلخناه وطبخناه، فأصبح

عندنا خبز ولحم، فأولتُ ودعوتُ رسول الله - ﷺ - (١).

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» برقم (١٦٥٣٠). وقال المحقق: إسناده صحيح.

وهذا حديث جليل القدر عظيم يدل على أن الراعى ينبغي له أن يتفقد أحوال رعيته . . ويكون فى حاجتهم . . ويدخل السرور عليهم . . وفيه دليل واضح على شدة محبة أصحاب رسول الله - ﷺ - لرسولهم . . وقيامهم على خدمته وإيثاره على أنفسهم . . وهذا غاية الحب .

مَوْقِفٌ مُؤَثِّرٌ:

بدأ ربيعة بن مالك حياة جديدة فى ظل زواجه المبارك . . وبدأ يعمل فى أرض له أعطاهها له رسول الله - ﷺ - . . وأعطاه أبو بكر أخرى . . وذلك للقيام بأعباء النفقة على نفسه وعلى زوجه وعلى من يأتى بعد من أولاده . . ثم حدث خلاف بينه وبين أبى بكر فى يوم من الأيام فى عذق نخلة!! . . ويروى لنا «ربيعة» بنفسه قصة هذا الخلاف وما وصل إليه، فيقول - ﷺ -:

«إن رسول الله - ﷺ - أعطانى بعد ذلك أرضاً، وأعطانى أبو بكر أرضاً، وجاءت الدنيا فاختلنا فى عذق نخلة، فقلت أنا: «هى فى حدّى» .

وقال أبو بكر: هى فى حدّى .

فكان بينى وبين أبى بكر كلام .

فقال أبو بكر كلمة كرهها وندم، فقال لى:

يا ربيعة ردّ علىّ مثلها حتى تكون قصاصاً!!

قال: قلت: لا أفعل .

فقال أبو بكر - ﷺ -: لتقولنّ أو لأستعدينّ عليك رسول الله - ﷺ - .

فقلت: ما أنا بفاعل .

قال: ورفض الأرض .

وانطلق أبو بكر - ﷺ - إلى النبىّ - ﷺ -، وانطلقتُ أتلوه^(١)، فجاء

ناس من أسلم فقالوا لى:

(١) أى: مشى فى أثره .

رحم الله أبا بكر في أى شىء يستعدى عليك رسول الله - ﷺ - وهو قال لك ما قال؟

فقلتُ: أتدرون ما هذا؟ هذا أبو بكر الصديق، هذا ثانى اثنين، وهذا ذو شيبة المسلمين، إياكم لا يلتفتُ فيراكم تنصرونى عليه فيغضب، فيأتى رسول الله - ﷺ - فيغضب لغضبه، فيغضب الله عز وجل لغضبهما فيهلك ربعة!! .

قالوا: ما تأمرنا؟

قال: ارجعوا.

قال: فانطلق أبو بكر - رضيه - إلى رسول الله - ﷺ - فتبعته وحدى حتى أتى النبى - ﷺ - فحدثه الحديث كما كان، فرفع إلى رأسه فقال: «يا ربعة ما لك وللصديق؟» .

قلتُ: يا رسول الله كان كذا، كان كذا، قال لى كلمة كرهها، فقال لى:

«قل كما قلتُ حتى يكون قصاصاً» .

فأبيتُ، فقال رسول الله - ﷺ -:

«أجل فلا تردّ عليه، ولكن قل: غفر الله لك يا أبا بكر!!» .

فقلت: غفر الله لك يا أبا بكر .

قال الحسن: فولّى أبو بكر - رضيه - وهو يبكى! (١) .

قال محقق المسند الشيخ: أحمد الزين - معلّقاً -:

«معنى ذلك أنه لما أغضبه أبو بكر، أراد أبو بكر أن يردّ عليه ربعة حتى يقتصرّ منه فلا يطالب أبا بكر بكلمته، فأبى ربعة أديباً ففضل السكوت، فظنّ أبو بكر أنه وقع فى المكروه فذهب إلى رسول الله - ﷺ - يستشفعه فى أن

(١) صحيح: أخرجه أحمد فى «المسند» برقم (١٦٥٣٠).

يستعفى من ربيعة فكان ذلك . رحم الله صحابة رسول الله - ﷺ - ما أشد خوفهم من الآخرة» اهـ .

وظل ربيعة مع رسول الله - ﷺ - . . يجاهد بين يديه . . ويشاهد الغزوات . . ولم يفارق خدمته حتى بعد زواجه!! . . إلى أن لحق الرسول - ﷺ - بالرفيق الأعلى . . ثم تحول ربيعة إلى منازل أسلم على بعد بريد من المدينة . . وظل هناك مجاهداً . . وعابداً .

استشهاده:

وفي سنة ثلاث وستين وفي موقعة «الحرّة» المشؤومة^(١) . . سقط «ربيعة ابن مالك» شهيداً بأيدي الفجرة . . -رضى الله عنه وأرضاه- .

(١) راجع أحداثها في قصة «عبد الله بن حنظلة» . . في كتابنا هذا .

[٧٣] عبد الله بن عبد الله بن أبي

«الشهيدُ الوفيُّ»

أتدرون من هذا الصحابي يا رجال؟

إنه: عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول!! .

أبوه زعيم المنافقين!! .

أما هو: فمن سادة أصحاب النبي ﷺ - الأوفياء المخلصين!! .

سبحانك ربي . . ﴿تُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) .

قال الإمام الذهبي:

«وقد كان عبد الله بن عبد الله من سادة الصحابة وأخيارهم، وكان اسمه الحُباب، وبه كان أبوه يكنى، فغيَّره النبي ﷺ -، وسمَّاه عبد الله» (٢) .

أسلم عبد الله مبكراً . . وانضوى تحت لواء الرسول الأعظم ﷺ -، وشهد بدرًا وما بعدها من المشاهد . . وأبلى بلاءً حسنًا . . وكان آية في الإخلاص والولاء لله ولرسوله ﷺ - . . وأثبتت المحن . . والمعارك . . والمواقف الصعبة صدق إيمانه . . وعظمة معدنه . . وصلابة يقينه - ﷺ - .

ونقتطف من حياته موقفين ظهر فيهما عمق إيمانه .

الموقف الأول: يوم «بنى المصطلق»:

كانت غزوة «بنى المصطلق» سنة «ست» على «المريسيع» . . ماء لهم . .

(١) سورة آل عمران: ٢٦ .

(٢) السير (١/٣٢٢) .

وكان النبي ﷺ - قد خرج بالمسلمين إلى هناك^(١) فبينما رسول الله ﷺ - على ذلك الماء - بعد الغزوة - وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب، أجير له من بنى غفار يقال له:

«جهجاه بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جهجاه، وسان بن وبر الجهني حليف بنى عون بن الخزرج على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهني:

يا معشر الأنصار.

وصرخ جهجاه:

يا معشر المهاجرين.

فغضب عبد الله بن أبي ابن سلول، وعنده رهط من قومه، فيهم زيد ابن أرقم غلام حدث. فقال:

أوقد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا. والله ما أعدنا وجلايب قریش^(٢) إلا كما قال الأول:

سمن كلبك يأكلك! أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذل.

ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم:

هذا ما فعلتم بأنفسكم: أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم.

فسمع ذلك زيد بن أرقم. فمشى به إلى رسول الله ﷺ - وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ - من عدوه، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن الخطاب، فقال:

مرُّ به «عباد بن بشر» فليقتله. فقال رسول الله ﷺ -:

(١) وخرج معه بعض المنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبيّ.
(٢) الجلايب: اسم كان يلقب به المنافقون أصحاب رسول الله ﷺ - المهاجرين.

«كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا ولكن أذن بالرحيل» .

وذلك في ساعة لم يكن رسول الله - ﷺ - يرتحل فيها .

فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله بن أبي ابن سلول إلى رسول الله - ﷺ - حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه - فحلف بالله ما قلتُ ما قال ولا تكلمتُ به!! .

وكان في قومه شريفاً عظيماً .

فقال من حضر رسول الله - ﷺ - من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل .
حذباً على ابن أبي ابن سلول ودفعاً منه .

قال ابن إسحاق :

فلما استقل رسول الله - ﷺ - وسار لقيه «أسيد بن حضير» فحيّاه بتحية النبوة وسلم عليه ، ثم قال :

يا نبي الله ، والله لقد رُحِتَ في ساعة منكراً ما كنتَ تروح في مثلها .

فقال له رسول الله - ﷺ - :

«أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟» .

قال : وأى صاحب يا رسول الله؟

قال : «عبد الله بن أبي؟» .

قال : وما قال؟

قال : «زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعرز منها الأذل؟» .

قال : فأنت يا رسول الله والله لتخرجنه منها إن شئت . وهو والله الدليل

وأنت العزيز . ثم قال :

يا رسول الله ارفق به . فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له

الخرز ليتوجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته مُلكاً!

ثم مشى رسول الله - ﷺ - بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مسّ الأرض فوقعوا نياماً، وإنما فعل ذلك رسول الله - ﷺ - ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي. قال ابن إسحاق:

ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين، في ابن أبيّ ومن كان على مثل أمره.

فلما نزلت أخذ رسول الله - ﷺ - بأذن «زيد بن أرقم»، ثم قال: «هذا الذي أوفى الله بأذنه».

ويبلغ «عبد الله بن عبد الله بن أبيّ» الذي كان من أمر أبيه فأتى رسول الله - ﷺ -، فقال:

يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبيّ فيما بلغك عنه. فإن كنت لا بد فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده مني، وإني أحشى أن تأمر غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبيّ يمشى في الناس، فأقتله، فأقتل مؤمناً بكافر، فأدخل النار.

فقال رسول الله - ﷺ -:

«بل تترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا!!».

وذكر عكرمة وغيره أن الناس لمّا قفلوا راجعين إلى المدينة وقف «عبد الله بن عبد الله بن أبيّ» على باب المدينة، واستل سيفه، فجعل الناس يرون عليه، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبيّ قال له ابنه:

وراءك!

فقال: ما لك؟ ويليك!

فقال: والله لا تجوز^(١) من ها هنا حتى يأذن لك رسول الله - ﷺ - فإنه العزيز وأنت الذليل! .

فلما جاء رسول الله - ﷺ - وكان إنما يسير ساقية^(٢)، فشكا إليه عبد الله ابن أبي ابنه. فقال ابنه عبد الله:

والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له .

فأذن له رسول الله - ﷺ - فقال:

أما إذ أذن لك رسول الله - ﷺ - فجز الآن!! .

وهذا الحادث وحده موضع عبر وعظات جمّة . .

هذا «عبد الله بن أبي ابن سلول» . . يعيش بين المسلمين . قريباً من رسول الله - ﷺ - تتوالى الأحداث والآيات من بين يديه ومن خلفه على حقيقة هذا الدين وصدق هذا الرسول .

ولكن الله لا يهدى قلبه للإيمان . لأنه لم يكتب له هذه الرحمة وهذه النعمة . وتقف دونه ودون هذا الفيض المتدفق من النور والتأثير، تقف دونه إحنة في صدره إن لم يكن ملكاً على الأوس والخزرج، بسبب مقدم رسول الله - ﷺ - بالإسلام إلى المدينة! فتكفه هذه وحدها عن الهدى . الذى تواجهه دلائله من كل جانب . وهو يعيش فى فيض الإسلام ومدته فى يثرب! .

وهذا ابنه «عبد الله» -رضى الله عنه وأرضاه- نموذج رفيع للمسلم المتجرد الطائع . يضيق بأفاعيل أبيه، ويخجل من مواقفه . ولكنه يكن له الولد البار العطوف . ويسمع أن رسول الله - ﷺ - يريد أن يقتل أباه هذا . فيختلج قلبه بعواطف ومشاعر متباينة، يواجهها هو فى صراحة وفى قوة وفى نصاعة . إنه يحب الإسلام ويحب طاعة رسول الله - ﷺ - ويحب أن ينفذ أمره ولو فى أبيه .

(١) لا تجوز: لا تمر .

(٢) فى مؤخرة الجيش ينظر المتخلف والضال والمحتاج إلى معونة .

ولكنه لا يطيق أن يتقدم أحد فيضرب عنق أبيه ويظل يمشى على الأرض بعده أمام ناظره .

وهو يخشى أن تخونه نفسه، وألا يقدر على مغالبة شيطان العصبية، وهتاف الثأر . . وهنا يلجأ إلى نبيه وقائده ليعينه على خلجات قلبه، ويرفع عنه هذا العنت الذى يلاقه . فيطلب منه إن كان لابد فاعلاً أن يأمره هو بقتل أبيه . وهو لابد مطيع . وهو يأتيه برأسه . كى لا يتولى ذلك غيره، فلا يطيق أن يرى قاتل أبيه يمشى على الأرض فيقتله . فيقتل مؤمناً بكافر . فيدخل النار .

ألا إنها لقمة سامقة تلك التى رفع الإيمان إليها أولئك الرجال . رفعهم إلى هذه القمة، وهم بعد بشر، بهم ضعف البشر، وفيهم عواطف البشر، وخوارج البشر . وهذا هو أجمل وأصدق ما فى هذه العقيدة، حين يدركها الناس على حقيقتها، وحين يصبحون هم حقيقتها التى تدب على الأرض فى صورة أناسى تأكل الطعام وتمشى فى الأسواق .

وفى سنة «تسع» مات أبوه «عبد الله بن أبى» . . ورجا ابنه أن يبرّ أبيه بعد موته . . فطلب من الرسول - ﷺ - قميصه ليكفن فيه والده عساه أن يخفف عنه العذاب . . فأعطاه الرسول - ﷺ - قميصه، ثم سأل الرسول - ﷺ - أن يصلى عليه ويستغفر له فلبى الرسول - ﷺ - طلبه!! .

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -، قال:

لما توفى عبد الله بن أبى جاء ابنه إلى النبى - ﷺ - فقال:

يا رسول الله! أعطني قميصك أكفنه فيه .

فقال رسول الله - ﷺ -:

«أذنوني به» .

فلما أراد النبى - ﷺ - أن يصلى عليه قال له عمر بن الخطاب ما ذاك

لك .

فصلى عليه النبى - ﷺ -، فقال له النبى - ﷺ -:

«أنا بين خيرتين» ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ (١).

فأنزل الله سبحانه:

﴿وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ (٢)(٣).

الموقف الثاني: «يوم اليمامة»:

وقد تقدم الحديث عنها في غير موضع . . وكيف أن مسيلمة الكذاب تحصن هو وجنوده في حديقتهم . . فقالوا كثيراً من المسلمين . . وتسور جماعة من أبطال الصحابة جدار الحديقة وألقوا بأنفسهم في داخلها وعالجوا باب الحديقة حتى فتحوه . . فدخل جيش المسلمين على جيش مسيلمة كالسيل المنهمر . . فأثخنوه . . وتناثرت أشلائهم على أرض القتال . . وسطر المجاهدون من أهل الإسلام آيات الفداء والتضحية . . وهناك كان «عبد الله بن عبد الله بن أبي» يقاتل قتال الأبطال . . يقتحم المنايا . . ويقذف بنفسه في أتون المعركة . . يضرب يمناً ويسرة . . ولاح نصر الله على أرض المعركة . . وسقط «مسيلمة الكذاب» قتيلاً يتشطح في دمه . . فانفرط عقد جيشه . . ودب اليأس في صفوفهم . . وهزمهم الله شر هزيمة . . وولت فلولهم الأدبار . . وبعد أن انجلى غبار المعركة . . نظر المسلمون في قتلاهم . . فرأوا «عبد الله بن عبد الله ابن أبي» قد سقط شهيداً مع الشهداء . . سيفه بجواره . . وقد ارتسمت على محياه ابتسامة الرضا .

-رضى الله عن عبد الله بن عبد الله بن أبي وأرضاه-

(١) سورة التوبة: ٨٠.

(٢) سورة التوبة: ٨٤.

(٣) صحيح: متفق عليه. وانظر: صحيح سنن ابن ماجه (١٢٤٥).

[٧٤] شَدَادُ بْنُ أَوْسٍ

«إن شداد بن أوس أُوتِيَ عِلْمًا وَحِلْمًا» أبو الدرداء

فمن هو شداد؟:

هو الصحابي الجليل شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام. أبو يعلى، وأبو عبد الرحمن الأنصاري، البخاري، الخزرجي. أحد بني مغالة - وهم بنو عمرو بن مالك بن النجار-. وشداد، هو ابن أخى «حسان بن ثابت» شاعر رسول الله - ﷺ -. من فضلاء الصحابة، وعلمائهم. وكانت له عبادة واجتهاد.

فضائله:

نال شداد - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قسماً وافراً من ثناء الصحابة وغيرهم.

● فعن أبي الدرداء - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قال:

«إن شداد بن أوس أتى علماً وحِلْمًا».

وفى تهذيب ابن عساكر (٦/ ٢٩١) عن عبادة بن الصامت، قال:

«شداد بن أوس من الذين أوتوا العلم والحلم، ومن الناس من أوتى أحدهما».

● وعن خالد بن معدان^(١)، قال:

«لم يبق بالشام^(٢) أحدٌ كان أوثق ولا أفقه ولا أرضى من عبادة بن الصامت، وشداد بن أوس».

(١) انظر ترجمته في كتابنا «صور ومواقف من حياة التابعين».

(٢) كان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قد نزل ببيت المقدس، كما سيأتي.

● وقال سعيد بن عبد العزيز:

فضل شدّاد بن أوس الأنصار بخصلتين:

بيان إذا نطق.

وبكظم إذا غضب.

● وقال المفضل الغلابي:

زهّاد الأنصار ثلاثة:

أبو الدرداء، وعمير بن سعد، وشدّاد بن أوس.

مجاهداته:

كان أصحاب النبي ﷺ - أشد الناس خوفًا من ربهم، ومن أحرص الناس على مرضاة ربهم. . . اختصهم الله تعالى واصطفاهم من بين الناس ليكونوا أنصار رسوله. . . وأنصار دينه. . . كانوا كما وصفهم «أبو حمزة الخارجي»:

«شباب مكتهلون في شبابهم.

عمية عن الشر أعينهم.

بطيئة عن الباطل أرجلهم.

قد نظر الله إليهم في آناء الليل مثنية أصلابهم بمثنى القرآن. . . إذا مرّ أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بكوا شوقًا إليها.

وإذا مرّ بآية فيها ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم في أذنيه. . . قد وصلوا كلال ليلهم بكلال نهارهم. . .

أنضاء عبادة.

قد أكلت الأرض جباههم وأبدانهم وركبهم من كثرة السجود.

مصفرة ألوانهم. ناحلة أجسامهم من كثرة الصيام وطول القيام. . .

مستقلون لذلك في جنب الله.

موفون بعهد الله .

حتى إذا رأوا سهام العدو قد فُوقَت، ورماحه قد شُرعت، وسيوفه قد
انْتُضيت، وبرقت الكتيبة بصواعق الموت، استهانوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله .
فمضى الشاب منهم قُدماً حتى تختلف رجلاه على عنق فرسه قد
زملت (١) محاسن وجهه بالدماء .

وعفر جبينه بالثرى (٢) ..

وأسرع إليه سباع الأرض، وانحطت عليه طير السماء ..

فكم من مقلّة في فم طائر . طالما بكى صاحبها من خشية الله .. ؟ وكم
من كفّ بانت عن معصمها . طالما اعتمد عليها صاحبها في سجوده؟

وكم من خدّ عتيق، وجين رقيق . قد فلق بعمد الحديد .. ؟

رحمة الله على تلك الأبدان .

وأدخل أرواحها في الجنان (٣) ..

كان شداد -رضي الله عنه- من هذا المعدن الكريم .

فعن أسد بن وداعة، أن شداد بن أوس -رضي الله تعالى عنه- كان إذا
دخل الفراش، يتقلّب على فراشه لا يأتيه النوم، فيقول:

اللهم إن النار أذهبت مني النوم . فيقوم فيصلّى حتى يُصبح !! .

وعن حسان بن عطية، قال:

كان شداد بن أوس في سفر فنزل منزلاً، فقال لغلامه:

ائتنا بالسفرة نعبث بها . فأُنكرت عليه، فقال:

ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمّها، غير كلمتي هذه

فلا تحفظها عليّ واحفظوا عني ما أقول لكم:

(١) زملت: غطت .

(٢) الثرى: تراب الأرض .

(٣) مع الله . دراسات في الدعوة والدعاة للشيخ الغزالي (٥٠٢) .

سمعتُ رسولَ الله - ﷺ - يقول :

«إذا كنز الناسُ الذهبَ والفضة فاكثروا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلباً سليماً، وأسألك لساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شرِّ ما تعلم، إنك أنت علام الغيوب».

ومن مواعظه:

عن قتادة:

«أن شداد بن أوس خطب، فقال:

«أيها الناس، إن الدنيا أجلٌ حَاضِرٌ، يأكلُ منها البرُّ والفاجرُ، وإن الآخرة أجلٌ مستأخرٌ، يحكم فيها ملكٌ قادر. ألا وإنَّ الخيرَ كُلَّهُ بحذافيره في الجنة؛ وإن الشرَّ بحذافيره في النار».

رحلته إلى بيت المقدس:

رحل شداد بن أوس - رضى الله عنه - بعد وفاة الرسول - ﷺ - إلى فلسطين ونزل بيت المقدس . . وأخذ معه إلى هناك نَعْلَى رسول الله - ﷺ - وكان قد احتفظ بهما عنده!!! وظل مقيماً هناك . . يتعبد . . ويجاهد . . ويعلم الناس أمر دينهم .

استشهاده:

لا تدري نفس بأى أرض تموت . . استشهد «شداد» بأرض فلسطين . . وكان استشهاده تحت سقف بيته نتيجة زلزال قام هناك^(١) . . فمات -رضى الله تعالى عنه- تحت الأنقاض .

وفى الحديث الصحيح:

«الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله:

(١) السير (٢/٤٦٣).

المطعون شهيداً، والغرق شهيداً، وصاحب ذات الجنب شهيداً، والحرق شهيداً، والذي يموت تحت الهدم شهيداً، والمرأة تموت بجمع (١) شهيدة (٢).

الخليفة المَهْدَى يشترى نَعْلَى رسول الله - ﷺ - !!:

قال الإمام الذهبي:

وكانت النعل (٣) زوجاً، خلّفها شدّاد عند ولده، فصارت إلى محمد بن شدّاد (٤)؛ فلما أن رأت أختَه خزرَج ما نزل به بأهله، جاءت، فأخذت فردّ النعلين، وقالت: يا أخي، ليس لك نسلٌ، وقد رُزقتُ ولدًا، وهذه مكرمة رسول الله - ﷺ - أحبُّ أن تُشركَ فيها ولدي، فأخذتها منه !!.

وكان ذلك في أول أوان الرَّجْفَةِ (الزَّلزال)، فمكثت النعلُ عندها حتى أدرك أولادها، فلما جاء «المهدي» - الخليفة - إلى «بيت المقدس»، أتوه بها، وعرفوه نسبها من شدّاد، فعرف ذلك، وقبّله، وأجاز كلَّ واحدٍ منهما بألف دينار، وأمر لكل واحدٍ منهما بضبعة، وبعث إلى محمد بن شدّاد، فأتى به يُحمِلُ لزمانته (٥)، فسأله عن خبر النعل، فصَدَّقَ مقالة الرجلين، فقال له المهدي:

اثنى بالأخرى. فبكى، وناشده الله، فَرَقَّ له، وخالها عنده!!! (٦).

فبأى قلم نصف هذا الحب يا رجال؟!.

-رضى الله عن «شدّاد بن أوس» وأرضاه-.

(١) أي تموت وفي بطنها ولد، وقيل: التي تموت بكرًا. قال الألباني في «أحكام الجنائز»

(٣٩): قلت: والمراد هنا الحمل قطعًا.

(٢) صحيح: أخرجه مالك (١/٢٣٢-٢٣٣)، وأبو داود (٢/٢٦) وغيرهما.

(٣) أي: نعل النبي - ﷺ -.

(٤) وكان محمد بن شدّاد قد قُطعت رجله تحت الرِّدم.

(٥) الزمان: العاعة.

(٦) السير (٢/٤٦٣).

[٧٥] الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ

«شَهِيدُ كَرْبَلَاءَ»

من هو؟:

هو: الإمام الشريف الكامل، سبطُ رسولِ الله - ﷺ -، وَرِيحَانَتُهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَمُحِبُّهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنُ بْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ قُصَيِّ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ، وَوُلِدَ بَعْدَ أَخِيهِ الْحَسَنِ.

قال الزبير: مولده في خامس شعبان سنة أربع من الهجرة.
وقال جعفر الصادق: بين الحسن والحسين في الحمل طهر واحد.

صفته:

وعن عليّ بن أبي طالب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال:

«الْحُسَيْنُ أَشْبَهُ بِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مِنْ صَدْرِهِ إِلَى قَدَمَيْهِ».

• وعن عبيد الله بن أبي يزيد، قال:

«رَأَيْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ أَسْوَدَ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةَ إِلَّا شَعْرَاتٍ فِي مُقَدَّمِ لَحْيَتِهِ».

فضائله:

١- عن جابر، أنه قال - وقد دخل الحسين المسجد -:

«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى سَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا» سَمِعْتُهُ

مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - (١).

(١) ذكره الهيثمي في «المجمع» (١٨٧/٩)، ونسبه إلى أبي يعلى وليس لأحمد، وقال: رجاله رجال الصحيح غير الربيع بن سعد وهو ثقة.

٢- وعن يعلى العامري قال: قال رسول الله - ﷺ -:

«حُسَيْنٌ سَبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ، مِنْ أَحْبَنِي فَلِيحِبَّ حُسَيْنًا».

وفى لفظ: «أَحَبَّ اللَّهُ مِنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا» (١).

٣- عن زرّ، عن عبد الله:

رأيتُ رسولَ الله - ﷺ - ممسكاً بيد الحسن والحُسَيْنِ، ويقول:

«هذان ابناي؛ فمن أحبَّهما فقد أحبَّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»

رواه البزار، وإسناده جيّد.

فصاحته وهو صبيّ!!:

تقدم معنا أن النبي - ﷺ - أخذ الحسن والحُسَيْنِ فأجلسهما بجواره على المنبر وهو يخطب.. ولمّا صعد «عمر بن الخطاب» المنبر تعجّب الحُسَيْنِ من صعوده.. فقد كان يظن وهو صغير أن المنبر لا يصعده إلا رسول الله - ﷺ -!!.

عن عبيد بن حُنين، عن الحسين، قال:

صعدتُ المنبر إلى «عمر»، فقلت:

انزلُ عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك!!، فقال:

«إن أبي لم يكن له منبر!».

فأقعدي معه، فلمّا نزل، قال:

«أى بُنى! مَنْ علّمك هذا؟»

قلتُ: ما علّمنيه أحد.

قال: أى بنى! وهل أنبت على رؤوسنا الشّعْر إلا الله ثم أنتم! ووضع

يده على رأسه، وقال:

(١) حسن: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/١٧٢). والحاكم (٣/١٧٧) وصححه ووافقه الذهبي.

«أى بنى! لو جعلت تأتينا وتغشانا»^(١).

شجاعته:

عن سعيد بن عمرو؛ أن الحسن قال للحسين:
وددت أن لى بعض شدة قلبك، فيقول الحسين: وأنا وددت أن لى
بعض ما بسط من لسانك».

مكانته عند الصحابة:

● عن الزهرى:

أن عمر كسا أبناء الصحابة؛ ولم يكن فى ذلك ما يصلح للحسن
والحسين؛ فبعث إلى اليمن، فأتى بكسوة، فقال: «الآن طابت نفسى».

● وعن أبى المهزّم، قال:

«كنا فى جنازة، فأقبل أبو هريرة ينفّض بثوبه التراب عن قدم
الحسين!!».

إخبار جبريل - ﷺ - بقتله!!:

وردت أحاديث صحيحة أخبر النبى - ﷺ - فيها أن جبريل أخبره بمقتل
الحسين - ﷺ - وهذا يعدّ من معجزات النبوة. فمن ذلك:

١- عن أنس بن مالك - ﷺ -، قال:

استأذن ملك القطر على النبى - ﷺ -، فقال النبى - ﷺ -:

«يا أم سلمة! احفظى علينا الباب».

فجاء الحسين، فاقتحم، وجعل يتوثب على النبى - ﷺ -، ورسول الله
يقبله... فقال الملك؟

(١) إسناده صحيح: أخرجه الخطيب فى «تاريخه» (١/١٤١) وصححه الحافظ فى «الإصابة»

(١/٣٣٣)، والذهبي فى «السير» (٣/٢٨٥).

«أُتِحَ؟» .

قال: «نعم» .

قال: إن أمتك ستقتله، إن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه .

قال: «نعم» .

فجاءه بسهولة أو تراب أحمر (١) .

قال ثابت: كنا نقول: إنها كربلاء .

٢- وعن عائشة أو أم سلمة: أن النبي - ﷺ - قال لإحدهما:

«لقد دخل على البيت ملكٌ لم يدخل على قبلها قال: إن ابنك هذا حسينٌ مقتول، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها» قال:
فأخرج تربة حمراء (٢) .

ما هي قصته - رضى الله تعالى عنه؟:

المقصود: أن الحسين - ﷺ - عاصر رسول الله - ﷺ - وصحبه إلى أن توفى وهو عنه راضٍ، ولكنه كان صغيراً .

ثم كان الصديق يكرمه ويعظمه، وكذلك عمر وعثمان، وصحب أباه وروى عنه، وكان معه في مغازيه كلها، في «الجمل» و«صفين»، وكان معظماً موقراً، ولم يزل في طاعة أبيه حتى قُتل، فلما آلت الخلافة إلى أخيه وأراد أن يصلح شق ذلك عليه ولم يسدد رأى أخيه في ذلك . .

فلما استقرت الخلافة لمعاوية - ﷺ - كان الحسين يتردد إليه مع أخيه الحسن فيكرمهما معاوية إكراماً زائداً .

ولمّا توفى الحسن كان الحسين يفد إلى معاوية في كل عام فيعطيه

(١) أورده الهيثمي في «المجمع» برقم (١٥١٢١) بنحوه وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن .
(٢) إسناده صحيح: أورده الهيثمي في «المجمع» برقم (١٥١١٣) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

ويكرمه، وقد كان في الجيش الذين غزوا «القسطنطينية» مع ابن معاوية «يزيد» في سنة (٥١هـ).

ولمّا أخذت البيعة ليزيد في حياة «معاوية» - رضي الله عنه - كان الحسين ممن امتنع من مبايعته هو وابن الزبير وغيرهما.

ثم خرج الحسين - رضي الله عنه - من المدينة إلى مكة فأقام بها. فعكف الناس على الحسين يفتنون إليه ويقدمون عليه ويجلسون حواليه، ويستمعون كلامه، حين سمعوا بموت «معاوية» وخلافة «يزيد».

وكثر ورود الكتب عليه من بلاد العراق يدعونه إليهم - وذلك حين بلغهم موت «معاوية» وولاية «يزيد» ومسير الحسين إلى مكة فراراً من بيعة يزيد - ثم بعثوا «هانئ بن هانئ السيعي» و«سعيد بن عبد الله الحنفي» ومعهما كتاب في الاستعجال في السير إليهم، ليباعوه عوضاً عن «يزيد بن معاوية»!

فعند ذلك بعث ابن عمّه «مسلم بن عقيل بن أبي طالب» إلى العراق، ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق... فلما سار «مسلم» من مكة اجتاز بالمدينة... فلما دخل الكوفة... فتسامع أهل الكوفة بقدومه فجاؤوا إليه فباعوه على إمرة الحسين، فاجتمع على بيعته من أهلها «اثنا عشر ألفاً» ثم تكاثروا حتى بلغوا «ثمانية عشر ألفاً!!».

فكتب «مسلم» إلى «الحسين» ليقدم عليها فقد تمهدت له البيعة والأمور. وانتشر خبرهم حتى بلغ أمير الكوفة «النعمان بن بشير» - رضي الله عنه - خبره رجلٌ بذلك، فجعل يضرب عن ذلك صفحاً ولا يعبأ به... فكتب ذلك الرجل إلى «يزيد بن معاوية» يُعلمه بذلك، فبعث «يزيد» فعزل «النعمان» عن الكوفة وضمّها إلى «عبيد الله بن زياد» مع البصرة.

ثم كتب «يزيد» إلى «ابن زياد».

«إذا قدمت الكوفة فاطلب «مسلم بن عقيل» فإن قدرت عليه فاقتله أو

فسار ابن زياد من البصرة إلى الكوفة، فلما دخلها دخلها مثلثاً بعمامة سوداء، فجعل لا يمرّ بملأ من الناس إلا قال: سلام عليكم. فيقولون: وعليكم السلام مرحباً بابن رسول الله - يظنون أنه الحسين وقد كانوا ينتظرون قدومه - وتكاثر الناس عليه . . . فلما علموا أنه «عبيد الله بن زياد» علتهم كآبة وحزن شديد . . . ونزل «عبيد الله» قصر الإمارة من الكوفة . . . ووصلت إليه أنباء تفيد بمكان «مسلم بن عقيل» فأرسل بمن يأتي به . . . فلما دخل عليه . . . دار بينهما حوار انتهى بقتل ابن زياد لمسلم!!

صفة مخرج الحسين إلى العراق:

كان خروج الحسين - رضي الله عنه - من مكة قاصداً العراق لثمان مضين من ذي الحجة يوم الثلاثاء يوم «التروية»، ولما استشعر الناس خروجه أشفقوا عليه من ذلك، وحذروه منه، وأشار عليه ذوو الرأي منهم والمحبة له بعدم الخروج إلى العراق، وأمروه بالمقام بمكة، وذكروه ما جرى لأبيه وأخيه معهم.

جاءه أبو سعيد الخدرى، فقال:

يا أبا عبد الله، إني لك ناصحٌ ومُشفقٌ، وقد بلغني أنه كاتبك قومٌ من شيعتك، فلا تخرج إليهم، فإني سمعتُ أباك يقول بالكوفة:

«والله لقد ملئتُهم وملئوني، وأبغضتُهم وأبغضوني، وما بلوتُ منهم وفاءً، ولا لهم ثباتٌ ولا عزمٌ ولا صبرٌ على السيف».

وقال له ابن عباس:

أين تريد يا بن فاطمة؟

قال: العراق وشيعتي.

قال: إني كارهٌ لوجهك هذا، تخرجُ إلى قومٍ قتلوا أباك!!

وقال ابن عمر للحسين: لا تخرج، فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خير بين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة، وإنك بضعةٌ منه ولا تنالها، ثم اعتنقه، وبكى، وودَّعه فكان ابن عمر يقول:

غلبنا بخروجه، ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبْرَةً، ورأى من الفتنة وخذلان الناس لهم ما كان ينبغي له أن لا يتحرك وكتب إليه عبدُ الله بن جعفر يُحذِّره ويُناشده الله. فكتب إليه:

إني رأيتُ رؤيا، رأيتُ فيها رسولَ الله - ﷺ -، وأمرني بأمرٍ أنا ماضٍ له. وأبى الحسينُ على كل من أشار عليه إلاَّ المسيرَ إلى العراق.

وخرج -رضى الله تعالى عنه- ومعه تسعة عشر رجلاً ونساءً وصبياناً من إخوته وبناته ونسائه متجهاً إلى العراق.

قال أهل السير:

إن الفرزدق لقي الحسينَ في الطريق فسلمَ عليه. فسأله الحسينُ عن أمر الناس وما وراءه فقال له:

قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بنى أمية!! والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء.

فقال له:

«صدقت، لله الأمر من قبل ومن بعد، يفعل ما يشاء، وكل يوم ربنا في شأن، إن نزل القضاء بما نحب فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء فلم يتعدَّ من كان الحق نيته، والتقوى سريرته، ثم حركَ الحسينَ راحلته وقال:

«السلام عليكم» ثم افترقا.

علم الحسين - ﷺ - . . أن القوم نكثوا بعهدهم . . ونقضوا بيعتهم . . ثم وصله خبر مقتل «مسلم بن عقيل» فسلمَ الأمر لله.

قال علماء السير:

«لما علم الحسين، بما جرى لمسلم بن عقيل همَّ أن يرجع، فقال أخو مسلم: والله لا ترجع حتى تصيب بئارنا.

فقال الحسين: لا خير في الحياة بعدكم.

فسار فلقيته أوائل خيل «عبيد الله» فنزل كربلاء، فضرب أبنيته، وكان أصحابه خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل.

قلت: منهم من خرج معه من مكة، ومنهم من انضم إليه وهو في الطريق. . ومنهم من انتظم في صفه من أهل العراق.

وصول الحسين إلى «كربلاء»:

وصل الحسين -رضي الله عنه- إلى «كربلاء» فسأل عن اسم المكان ف قيل: «كربلاء» فقال: صدق رسول الله، أرض كرب وبلاء.

وفي الصباح وصلت خيل ابن زياد إلى الحسين -رضي الله عنه-.

عن أبي خالد الكاهلي قال:

لما صبّحت الخيلُ «الحسين بن علي» رفع يديه فقال:

«اللهم أنت ثقتي في كلِّ كرب، ورجائي في كلِّ شدة، وأنت لى من كل أمر نزل ثقة وعدة، فكم من هم يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، فأنزله بك وشكوته إليك؛ رغبة فيه إليك عمّن سواك، وفرجته وكشفته وكفيتنيه، فأنت لى ولى كلِّ نعمة، وصاحب كلِّ حسنة، ومنتهى كل غاية».

وبعث عبيد الله بن زياد «عمر بن سعد» لقتالهم، فقال له الحسين: يا عمر اختر لى إحدى ثلاث خصال.

إمّا أن تتركنى أرجع كما جئتُ، فإن أبيت هذه فسيرنى إلى «يزيد» فأضع يدى فى يده فيحكّم فىّ ما رأى، فإن أبيت هذه فسيرنى إلى «الترك» فأقاتلهم حتى أموت.

فأرسل إلى «ابن زياد» بذلك، فهمّ أن يسيره إلى يزيد، فقال «شمر بن ذى الجوشن»^(١): لا! إلا أن ينزل على حكمك، فأرسل إلى الحسين بذلك.

فقال الحسين: والله لا أفعل.

(١) اسم ذى الجوشن: شرحبيل بن الأعور بن عمرو بن معاوية من بنى «الضباب بن كلاب».

وأبطأ عمر بن سعد عن قتاله . فأرسل ابن زياد «شمر بن ذى الجوشن» وقال له : إن تقدم عمر فقاتل وإلا فاقته وكن مكانه، فقد وليتكم الإمرة وأرسل معه كتاباً لعمر بن سعد .

وكان مع عمر بن سعد قريب من ثلاثين رجلاً من أعيان أهل الكوفة، فقالوا له : يعرض عليكم ابن بنت رسول الله - ﷺ - ثلاث خصال فلا تقبلوا منها شيئاً؟ فتحولوا مع الحسين يقاتلون معه .

فلما جاء «شمر» بالكتاب إلى «عمر بن سعد» قرأه عليه فإذا فيه :

«أما بعد :

فإني لم أبعثك إلى «حسين» لتكف عنه ولا لتطاوله ولا لتمنيه السلامة، فانظر فإن نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم إلى سلماً، فإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم، فإن قُتل حسين فأوطئ الخيل صدره وظهره!! فإنه عاق قاطع، فإن مضيت لأمرنا جزيناك خيراً، وإن أبيت فاعتزل عملنا وخبرنا، وخل بين شمر بن ذى الجوشن وبين العسكر، فإننا قد أمرناه والسلام» .

فلما قرأ «عمر بن سعد» الكتاب قال «لشمر» :

ويلك، لا قرب الله دارك، قبّح الله ما قدمت به على، والله إنى لأظنك أنت ثنيته أن يقبل ما كتبتُ به إليه، وأفسدت علينا أمراً قد كنا رجونا أن يصلح .

فقال شمر : أخبرني ما أنت صانع لأمر أميرك؟ أتقاتل عدوه، وإلا فخلّ بيني وبين الجند والعسكر .

فقال : لا، ولا كرامة، ولكن أنا أتولّى ذلك!! .

قال : فدونك .

فنهض إليه عشية الخميس لتسع مضين من المحرم، وجاء شمر حتى وقف على أصحاب الحسين فقال :

أين بنو أختنا؟

فخرج إليه العباس وعبد الله وجعفر بنو عليّ - رضي الله عنهم - (١) فقالوا: ما لك وما تريد؟

قال: أنتم يا بني أختي آمنون.

قالوا: لعنك الله، ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا أمان له؟! .

فنادى «عمر بن سعد»: يا خيل اركبي وأبشري!! .

فركب في الناس، ثم زحف نحوهم بعد صلاة العصر، والحسين - رضي الله عنه - جالس أمام بنيه مجتثياً بسيفه إذ خفق برأسه على ركبتيه، فسمعت أخته الضجة، فقالت:

يا أخي، أما تسمع الأصوات قد اقتربت؟

فرفع رأسه فقال:

إني رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المنام فقال لي:

«إنك تروح إلينا».

وقال له العباس: يا أخي، أتاك القوم.

فنهض وقال: يا عباس، اركب بنفسك أنت يا أخي حتى تلقاهم فتقول لهم ما لكم وما بدا لكم.

فأتاهم العباس في نحو من عشرين فارساً، فقال:

ما تريدون؟

فقالوا: جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حُكمه أو

نناجزكم.

(١) أولاد علي بن أبي طالب من زوجة أخرى غير فاطمة - رضي الله عنها - كان بينها وبين «شمّر» صلة قرابة.

قال: فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله -أى الحسين- فأعرض عليه ما ذكرتم.

فوقفوا، فرجع إلى الحسين فأخبره الخبر، ثم رجع إليهم فقال:

يا هؤلاء، إن أبا عبد الله يسألكم أن تنصرفوا هذه العشية حتى ننظر فى هذا الأمر فإذا أصبحنا التيقنا إن شاء الله، وإنما أراد أن يوصى أهله.

فقال عمر بن سعد للناس: ما ترون؟

فقال له عمرو بن الحجاج: سبحان الله، والله لو كان من الديلم، ثم سألك هذا لكان ينبغي أن تحييه!

فجمع الحسين أصحابه وقال:

إنى أذنتُ لكم فانطلقوا فى هذه الليلة، فاتخذوه جَمَلاً، وتفرّقوا فى سوادكم ومدائنكم، فإن القوم إنما يطلسونى، ولو قد أصابونى لهُوا عن طلب غيرى.

فقبال أخوه العباس: لم نفعل ذلك لنبقى بعدك، ولا أرانا الله ذلك أبداً.

ثم تكلم إخوته وأولاده وبنو أخيه وبنو عبد الله بن جعفر بنحو ذلك. فقال الحسين: يا بنى عقيل^(١)، حسبكم من الفتك بمسلم، اذهبوا فقد أذنتُ لكم.

فقالوا: لا والله، بل نفديك بأنفسنا وأهلينا، فقبّح الله العيش بعدك. وقال مسلم بن عوسجة: والله لو لم يكن معى سلاح أقاتلهم به لرميتهم بالحجارة.

وقال سعيد بن عبد الله الحنفى: والله لا نخليك حتى يعلم الله أننا قد حفظنا غيبة رسول الله فىك، والله لو علمتُ أنى أُقتل، ثم أحيأ، ثم أُحرق حياً، ثم أُذرى تسعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامى دونك.

(١) هو: عقيل بن أبى طالب.

وتكلم جماعة من أصحابه بنحو هذا.

فلما أمسى الحسين جعل يصلح سيفه.. فرقت زينب^(١) لفراقه فقالت:
واثكلاه.. فقام إليها الحسين وقال لها:

«يا أُخِيَّة اتق الله واصبري وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجهه الذي خلق الخلق بقدرته، ويميتهم بقهره وعزته، ويعيدهم فيعبدونه وحده، وهو فرد وحده، واعلمي أن أبي خير مني، وأمّي خير مني^(٢)، وأخى خير مني، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة، ثم قال لها:

وإني أقسم عليك يا أُخِيَّة لا تشقّي عليّ جيّاً ولا تخمشي وجهاً».

وقام الحسين -رضي الله عنه- وأصحابه يصلون الليل كلّه، ويدعون، فلما صلّى «عمر بن سعد» الصبح بأصحابه -وذلك يوم عاشوراء- انتصب للقتال وخرج فيمن معه من الناس!!.

وصلّى الحسين أيضاً بأصحابه وهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون راجلاً، ثم انصرف فصفّهم فجعل على ميمنته «زهير بن القين» وعلى اليسرة «حبيب بن مظاهر»، وأعطى رايته «العباس بن عليّ» أخاه، وجعلوا البيوت بما فيها من الحرم وراء ظهورهم، وقد أمر الحسين من الليل فحفروا وراء بيوتهم خندقاً وقذفوا فيه خطباً وخشباً وقصباً، ثم أضرمت فيه النار لئلا يخلص أحد إلى بيوتهم من ورائها.

وجعل «عمر بن سعد» على ميمنته «عمرو بن الحجاج الزبيدي» وعلى اليسرة «شمر بن ذى الجوشن» وعلى الخيل «عزرة بن قيس الأحمس» وعلى الرجال «شبيث بن ربعي» وأعطى الراية «لوردان» مولاه ثم ركب الحسين على فرسه وأخذ مصحفاً فوضعه بين يديه، ثم استقبل القوم رافعاً يديه يدعو بما تقدم ذكره:

(١) زينب: هي زينب بنت عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه-.

(٢) توفيت السيدة فاطمة -رضي الله عنها- بعد رسول الله -صلّى الله عليه وآله- بستة أشهر.

«اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة.. إلى آخره»
وركب ابنه «علي بن الحسين»^(١) - وكان ضعيفاً مريضاً - فرساً.

ونادى الحسين:

«أيها الناس: اسمعوا مني نصيحة أقولها لكم، فأنصت الناس كلهم،
فقال بعد حمد الله والثناء عليه:

أيها الناس: إن قبلتم مني وأنصتتموني كنتم بذلك أسعد، ولم يكن
لكم علي سبيل، وإن لم تقبلوا مني ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ
أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون﴾^(٢). ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ
وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾^(٣).

فلما سمع ذلك أخواته وبناته ارتفعت أصواتهن بالبكاء فقال عند ذلك:

«لا يبعد الله ابن عباس»^(٤). ثم بعث أخاه العباس فسكتهن، ثم شرع
يذكر للناس فضله وعظمة نسبه وعلو قدره وشرفه، ويقول:

«راجعوا أنفسكم وحاسبوها، هل يصلح لكم قتال مثلي، وأنا ابن بنت
نبيكم، وليس علي وجه الأرض ابن بنت نبي غيري؟ وعلي أبي، وجعفر ذو
الجناحين عمي، وحمزة سيد الشهداء عم أبي؟ وقال لي رسول الله - ﷺ -
ولأخي:

«هذان سيّدَا شباب أهل الجنة»^(٥)، فإن صدقتموني بما أقول فهو الحق،
فوالله ما تعمّدتُ كذبةً منذ علمتُ أن الله يَمَقُّتُ علي الكذب، وإلا فاسألوا
أصحاب رسول الله - ﷺ - عن ذلك، جابر بن عبد الله، وأبا سعيد، وسهل
ابن سعد، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك يخبرونكم بذلك، ويحكم! أما
تتقون الله؟ أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!».

(١) هو: زين العابدين «علي بن الحسين» ستأتي ترجمته - إن شاء الله تعالى - في كتابنا:
«صور ومواقف من حياة التابعين».

(٢) سورة يونس: ٧١.

(٣) سورة الأعراف: ١٩٦.

(٤) يعني: حين أشار عليه أن لا يخرج بالنساء معه ويدعهن بمكة إلى أن يتنظم الأمر.

(٥) صحيح: أخرجه الترمذی وقد تقدم.

فقال عند ذلك «شمر بن ذى الجوشن»: هو يعبد الله على حرف^(١):
إن كنت أدرى ما يقول؟.

فقال له حبيب بن مظاهر: والله يا شمر إنك لتعبد الله على سبعين
حرفاً، وأما نحن فوالله إنا لندرى ما يقول، وإنه قد طُبع على قلبك.
ثم قال الحسين:

«أيها الناس ذروني أرجع إلى مأمنى من الأرض».

فقالوا: وما يمنعك أن تنزل على حكم بنى عمك؟

فقال: معاذ الله أن أعطيهم بيدي إعطاء الذليل أو أفرّ فرار العبيد، عباد
الله ﴿إِنِّي عُدْتُ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾^(٢). ثم أناخ
راحلته وأمر عقبه بن سمعان فعقلها ثم قال:

«أخبروني أتطلبون بقتيل لكم قتلته؟ أو مال لكم أكلته؟ أو بقصاصه من
جراحة؟».

فأخذوا لا يكلمونه. فنأدى:

«يا شبيث بن ربعي، يا حجار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث، يا زيد
ابن الحارث، ألم تكتبوا إليّ أنه قد أينعت الثمار واخضر الجناب، فأقدم علينا
فإنك إنما تقدم على جند مجندة؟»^(٣).

فقالوا له: لم نفعل.

فقال: «سبحان الله! والله لقد فعلتم». ثم قال:

«يا أيها الناس! إذ قد كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم».

فقال له قيس بن الأشعث: ألا تنزل على حكم بنى عمك فإنهم لن
يؤذوك، ولا ترى منهم إلا ما تحب؟

(١) يقصد: الخيث نفسه.

(٢) سورة غافر: ٢٧.

(٣) المنتظم (٥/٣٣٩).

فقال الحسين: «لا والله، لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل».

بدء القتال:

أقبل جيش ابن زياد يزحف نحو «الحُسَيْن» - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، وقد تحيَّز إلى جيش الحسين من أولئك طائفة قريب من ثلاثين فارساً فيما قيل، منهم «الحر ابن يزيد» أمير مقدمة جيش ابن زياد، فاعتذر إلى الحسين ممّا كان منهم... فقبل منه الحسين.

وكان «الحرّ» من أشجع أهل الكوفة، فلامه بعض أصحابه على ذهابه إلى الحسين، فقال له:

والله إنى أخير نفسى بين الجنة والنار، ووالله لا أختار على الجنة غيرها ولو قطعت وحرقت.

وتقدم «عمر بن سعد» قائد جيش ابن زياد فشمّر عن ساعده ورمى بسهم فى جيش الحسين وقال: اشهدوا أنى أول من رمى القوم!!.

وخرج من جيش ابن زياد رجلان فقالا: من يبارز؟

فبرز لهما «عبيد الله بن عمر الكلبي» - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - فقتلتهما!!.

وخرج رجل من جيش ابن زياد حتى وقف بين يدي الحسين فقال له: يا حُسَيْنَ أبشر بالنار!! فقال له الحسين:

«كلا ويحك إنى أقدم على رب رحيم وشفيع مطاع» وسأله عن اسمه فقال: «أنا ابن حوزة» فرفع الحسين يده وقال: «اللهم حزه إلى النار» فغضب ابن حوزة وأراد أن يقحم عليه الفرس وبينه وبينه النهر، فحالت به الفرس فانقطعت قدمه وساقه وفخذه وبقي جانبه الآخر متعلقاً بالركاب، وشد عليه «مسلم بن عوسجة» - رحمه الله - فضربه فأطار رجله اليمنى، وغارت به فرسه فلم يبق حجراً يرمّ به إلا ضربه فى رأسه حتى مات.

وكثر المبارزة يومئذ بين الفريقين والنصر فى ذلك لأصحاب الحسين لقوة بأسهم وأنهم مستميتون لا عاصم لهم إلا سيوفهم.

فأشار بعض الأمراء على «عمر بن سعد» بعدم المبارزة، وحمل عمرو ابن الحجاج أمير ميمنة جيش ابن زياد، وجعل يقول: قاتلوا من مرق من الدين وفارق الجماعة!! .

فقال له الحسين: ويحك يا حجاج أعلیَّ تحرض الناس؟ أنحن مرقنا من الدين وأنت تقيم عليه؟ ستعلمون إذا فارقت أرواحنا أجسادنا من أولى بصلی النار.

وقد قُتل في هذه الحملة «مسلم بن عوسجة» وكان أول من قُتل من أصحاب الحسين فمشى إليه الحسين فترحم عليه، وهو على آخر رمق، وقال له حبيب بن مظاهر: أبشر بالجنة، فقال له بصوت ضعيف: بشرك الله بالخير، فقال له «مسلم بن عوسجة»: أوصيك بهذا -وأشار إلى الحسين- إلى أن تموت دونه.

ثم حمل «شمر بن ذى الجوشن» بالميسرة وقصد نحو الحسين فدافعت عنه الفرسان من أصحابه دفاعاً عظيماً.

فأرسلوا يطلبون من «عمر بن سعد» طائفة من الرماة الرجالة، فبعث إليهم نحواً من خمسمائة، فجعلوا يرمون خيول أصحاب الحسين فعقروها كلها حتى بقى جميعهم رجالة.

وشدّ «زهير بن القين» -رحمه الله تعالى- في رجال من أصحاب الحسين على «شمر بن ذى الجوشن» فأزالوه عن موقفه، وقتلوا «أبا عزة الضبابي» وكان من أصحاب شمر.

وقاتل «حبيب بن مظاهر» -رحمه الله- قتالاً شديداً حتى قُتل . فلما قُتل حبيب هدّ ذلك الحسين -رضي الله عنه- وقال عند ذلك: «أحتسب نفسي» .

وأخذ «الحُر بن يزيد» -رحمه الله- يرتجز ويقول للحسين:

ولنْ أَصَابَ اليَوْمَ إِلَّا مُقْبِلًا
لَا نَاكِلًا عَنْهُمْ وَلَا مُهْمِلًا

أَلَيْتُ لَا تُقَاتِلُ حَتَّى أَقْتَلَا
أَضْرِبُهُمْ بِالسِّيفِ ضَرْبًا مُفْضِلًا

ثم قاتل هو وزهير بن القين قتالاً شديداً، فكان إذا شدَّ أحدهما حتى استلحم شدَّ الآخر حتى يخلَّصه، فعلا ذلك ساعة، ثم إن رجالاً شدُّوا على «الحرَّ بن يزيد» فقتلوه.

ثم صلَّى الحسين بأصحابه الظهر صلاة الخَوْف، ثم اقتتلوا بعدها قتالاً شديداً ودافع عن الحسين صناديد أصحابه، وقاتل زهير بن القين بين يدي الحسين قتالاً شديداً حتى قُتل -رحمه الله-.

وكان من أصحاب الحسين «نافع بن هلال الجملي» فقتل اثني عشر من أصحاب «عمر بن سعد» سوى من جرح، ثم ضرب حتى كُسرت عضداه، ثم أسروه فأتوا به عمر بن سعد فقال له:

ويحك يا نافع، ما حملك على ما صنعتَ بنفسك؟

فقال: إن ربي يعلم ما أردتُ، والدماء تسيل عليه وعلى لحيته، ثم قال: والله لقد قتلت من جندكم اثني عشر سوى من جرحتُ، وما ألوم نفسي على الجهد، ولو بقيت لى عضد وساعد ما أسرتوني!
فقال شمر لعمر: اقتله.

قال: أنتَ جئتَ به، فإن شئتَ اقتله.

فقام شمر فانتضى^(١) سيفه!! فقال له نافع:

أما والله يا شمر لو كنتَ من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا، فالحمد لله الذي جعل مناينا على يدي شرار خلقه. ثم قُتل -رحمه الله-.

ثم أقبل شمر فحمل على أصحاب الحسين وتكاثر معه الناس حتى كادوا أن يصلوا إلى الحسين، فلماً رأى أصحاب الحسين أنهم قد كثروا عليهم، وأنهم لا يقدرّون على أن يمنعوا الحسين ولا أنفسهم، تنافسوا أن يقتلوا بين يديه.

(١) انتضى السيف: أسلّه وجردّه.

فجاء عبد الرحمن وعبد الله ابنا عزة الغفارى، فقالا:

أبا عبد الله عليك السلام، حازنا العدو إليك فأحبينا أن نُقتل بين يديك
وندفع عنك.

فقال: مرحباً بكما، ادنوا منى، فدنوا منه فجعلنا يقاتلان قريباً منه.

ثم أتاه أصحابه مثني وفرادى يقاتلون بين يديه وهو يدعو لهم ويقول:
«جزاكم الله أحسن جزاء المتقين» فجعلوا يسلمون على الحسين وقاتلون
حتى يقتلوا.

ثم جاء «عابس بن أبى شبيب» -رحمه الله- فقال: يا أبا عبد الله! أما
والله ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعزّ علىّ منك، ولو قدرتُ
أن أدفع عنك الضيم أو القتل بشيء أعزّ علىّ من نفسى لفعلته، السلام عليك
يا أبا عبد الله، اشهد لى أنّى على هديك. ثم مشى صلّياً وبه ضربة على
جبينه - وكان أشجع الناس - فنادى: ألا رجل لرجل؟ ألا ابرزوا إلىّ. فعرفوه
فنكلوا عنه.

ثم قال عمر بن سعد: ارضخوه بالحجارة، فرمى بالحجارة من كل
جانب، فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره، ثم شدّ على الناس. . يقول
شاهد عيان:

«والله لقد رأيتُه يكرد^(١) أكثر من مائتين من الناس بين يديه، ثم إنهم
عطفوا عليه من كل جانب فقتل - رحمه الله - .» .

ثم قاتل أصحاب الحسين بين يديه حتى تفانوا جميعاً ولم يبق أحد إلا
«سويد بن عمرو بن أبى مطاع الخثعمى» وكان أول قتيل قُتل من أهل الحسين
من بنى أبى طالب «علىّ الأكبر بن الحسين بن علىّ» طعنه مرةً بن منقذ بن
النعمان فقتله.

فقال الحسين: قتل الله قومًا قتلوك يا بنى ما أجرأهم على الله وعلى
انتهاك محارمه؟! فعلى الدنيا بعدك العفاء.

(١) يكرد: يسوق ويطرده.

ثم قُتِلَ «عبد الله بن مسلم بن عقيل». ثم قُتِلَ «عون» و«محمد» ابنا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ثم قُتِلَ «عبد الرحمن» و«جعفر» ابنا عقيل ابن أبي طالب، ثم قُتِلَ القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب.
يقول حميد بن مسلم (١):

«خرج إلينا غلام كأن وجهه فلقة قمر في يده السيف وعليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شسع (٢) أحدهما، ما أنسى أنها اليسرى، فقال لنا عمر بن سعد: والله لأشدنّ عليه.

فقلتُ له: سبحان الله!! وما تريد إلى ذلك؟ وكيفك قتل هؤلاء، الذين تراهم قد اعتزلوهم.

فقال: والله لأشدنّ عليه، فشدّ عليه عمر بن سعد أمير الجيش، فضربه وصاح الغلام: يا عمّاه.

قال: فشدّ الحسين على عمر بن سعد شدةً ليث أَعْضِبَ، فضرب عمر بالسيف فاتقاه بالساعد فأطنّها (٣) من لدن المرفق (٤) فصاح ثم تنحّى عنه، وحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوا عمر من الحسين، فاستقبلت عمر بصدورها وحركت حوافرها، وجالت بفرسانها عليه، ثم انجلت الغبرة فإذا بالحُسين قائم على رأس الغلام، والغلام يفحص برجله والحسين يقول: بُعداً لقوم قتلوك، ثم قال:

«عزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك ثم لا ينفعك، صوت والله كثر عدوّه وقلّ ناصره».

ثم احتمله فكأنى أنظر إلى رجلى الغلام يخطان فى الأرض، وقد وضع الحسين صدره على صدره، ثم جاء به حتى ألقاه مع ابنه «على الأكبر» ومع

(١) البداية (٦٩٤/٥)، وحميد هذا، أحد أصحاب «شمر بن ذى الجوشن».

(٢) شسع النعل: قباله.

(٣) أطنّها: قطعها.

(٤) من لدن المرفق: من عند المرفق.

من قُتل من أهل بيته، فسألتُ عن الغلام فقيل لى: هو «القاسم بن الحسن بن على بن أبى طالب».

ثم إن الحسين أعيأ فقعده على باب فسطاطه وأتى بصبى صغير من أولاده اسمه «عبد الله» فأجلسه فى حجره، ثم جعل يقبّله ويشمه ويودّعه ويوصى أهله، فرماه رجل من بنى أسد يقال له: «ابن موقد النار!!» بسهم فذبح ذلك الغلام، فتلقى الحسين دمه فى يده وألقاه نحو السماء وقال:

«رب إن تك قد حبست عنا النصر من السماء فاجعله لما هو خير، وانتقم لنا من الظالمين»^(١).

ورمى «عبد الله بن عقبة الغنوى» أباً بكر بن الحسين بسهم فقتله أيضاً، ثم قُتل عبد الله والعباس وعثمان وجعفر ومحمد بنو على بن أبى طالب، إخوة الحسين من أبيه.

وقد اشتد عطش الحسين فحاول أن يصل إلى أن يشرب من ماء الفرات فما قدر، بل مانعوه عنه، فخلص إلى شربه منه، فرماه رجل يقال له «حصين بن تميم» بسهم فى حنكه فأثبته!! فانتزعه الحسين من حنكه ففار الدم فتلقاه بيده ثم رفعهما إلى السماء وهما مملوءتان دمًا، ثم رمى به إلى السماء وقال:

«اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً، ولا تذر على الأرض منهم أحداً» ودعا عليهم دعاءً بليغاً.

يقول الراوى:

«فوالله إن مكث الرجل الرامى له إلا يسيراً حتى صبّ الله عليه الظماً، فجعل لا يروى ويسقى الماء مبرداً، وتارة يبرّد له اللبن والماء جميعاً، ويسقى فلا يروى، بل يقول: ويلكم اسقونى قتلنى الظماً، قال: فوالله ما لبث إلا يسيراً حتى انفد بطنه انفداد بطن البعير!!»^(٢).

(١) تتبع المؤرخون سير الظالمين الذى اشتركوا فى دم الحسين فقالوا: لم يمّت واحد منهم موتة حميدة: ﴿وقد خاب من حمل ظلماً﴾.

(٢) عن الكلبيّ قال: رمى رجل الحسين وهو يشرب، فشلّ شذقيه فقال: لا أرواك الله، فشرّب حتى تفتّر قال الهيثمى: رواه الطبرانى ورجاله إلى قائله ثقات. المجمع برقم (١٥١٣٦).

استشهاد الإمام:

ثم جاء «شمر» ومعه جماعة من الشجعان حتى أحاطوا بالحُسَيْن وهو عند فسطاطه ولم يبق معه أحد يحول بينهم وبينه فحملوا على الحسين من كل جانب وهو يجول فيهم بالسيف يميناً وشمالاً، فيتنافرون عنه كتنافر المعزى عن السبع!! حتى نادى «شمر بن ذى الجوشن»:

ويحكم ماذا تنتظرون بالرجل؟ فاقتلوه ثكلتكم أمهاتكم!!!

فحملت الرجال من كل جانب على الحسين وضربه «زرعة بن شريك التميمي» على كتفه الأيسر، وضربه آخر على عاتقه، ثم انصرفوا عنه وهو ينوء ويكبو، ثم جاء إليه الطاغية «سنان بن أبي عمرو بن أنس النخعي» فطعنه بالرمح فوق، ثم نزل فذبحه وحز رأسه!!! ثم دفع رأسه إلى «خولى بن يزيد». وقيل: إن الذى قتله «شمر بن ذى الجوشن» والأول أشهر^(١).

عن جعفر بن محمد، قال:

«وجدنا بالحُسَيْن حين قُتل ثلاثاً وثلاثين طعنة، وأربعاً وثلاثين ضربة»^(٢) وكان مقتله -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- يوم الجمعة يوم عاشوراء من المحرم سنة (٦١هـ) وهم شمر بن ذى الجوشن بقتل «على بن الحسين الأصغر» -زين العابدين- وهو صغير مريض حتى صرفه عن ذلك «حميد بن مسلم» أحد أصحابه.. وجاء «عمر بن سعد» فقال:

ألا لا يدخلن على هذه النسوة أحد، ولا يقتل هذا الغلام أحد، ومن أخذ من متاعهم شيئاً فليرده عليهم.

وأمر «عمر بن سعد» برأس الحسين أن يُحمل من يومه إلى ابن زياد مع «خولى بن يزيد الأصبحي»، فلما انتهى به إلى القصر وجده مغلقاً فرجع به إلى منزله فوضعه تحت إجازة.. تقول امرأة «خولى»:

(١) رَجَّحَ ذلك الإمام ابن كثير «البداية» (٦٩٦/٥).

(٢) وقتل من أصحاب «عمر بن سعد» «ثمانية وثمانون» رجلاً سوى الجرحى.

«والله ما زلت أرى النور ساطعاً من تلك الأجانة إلى السماء وطيوراً بيضاء ترفرف حولها!!» .

فلماً أصبح غداً به إلى ابن زياد فأحضره بين يديه، ويقال: إنه كان معه رعوس بقية أصحابه، وهو المشهور ومجموعها اثنان وسبعون رأساً! .

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال:

«لما أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكت بالقضيب ثناياه يقول:

لقد كان - أحسبه قال - جميلاً!!، فقلت:

والله لأسوءنك، إنى رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يلثم (١) حيث يقع قضيبك قال: فانقبض» (٢) .

قلت: لقد بلغ التبجح بابن زياد مداه، أين فعله هذا من قول التابعي الجليل: إبراهيم النخعي - رحمه الله -:

«لو كنتُ فيمن قتل الحسين ثم غفر لي ثم أدخلتُ الجنة استحييتُ أن أمرَّ على النبي - صلى الله عليه وسلم - فينظر في وجهي» (٣) .

ثم بعث ابن زياد برأس الحسين إلى «يزيد بن معاوية» إلى الشام فدمعت عينا «يزيد بن معاوية» وقال:

«قد كنتُ أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، لعن الله ابن سمية، أما والله لو أتى صاحبه لعفوتُ عنه، ورحم الله الحسين ولم يصل الذي جاء برأسه بشيء. ولماً وضع رأس الحسين بين يدي يزيد قال:

«أما والله لو أتى صاحبك ما قتلتك» (٤) .

وأماً بقية أهله ونسائه فإن «عمر بن سعد» وكلَّ بهم من يحرسهم

(١) يلثم: يُقبّل .

(٢) رواه البزار والطبراني بأسانيد ورجاله ثقات . المجمع برقم (١٥١٥٠) .

(٣) رجاله ثقات: رواه الطبراني: المجمع برقم (١٥١٤٧) .

(٤) البداية (٧٠١/٥) .

ويكلؤهم، ثم أركبوهم على الرواحل فى الهودج . . وساروا بهم إلى «يزيد» بالشام.

عن الليث بن سعد، قال:

«أبى الحسين بن على - رضي الله عنهما - أن يستأسر، فقاتلوه فقتلوه، وقتلوا بنيه وأصحابه الذين قاتلوا معه، بمكان يقال له: «الطف»^(١) وانطلق بعلى بن الحسين. وفاطمة بنت حسين، وسكينة بنت حسين إلى عبيد الله بن زياد، وعلى يومئذ غلام قد بلغ، فبعث بهم إلى يزيد بن معاوية، فأمر بسكينة فجعلها خلف سريره لئلا ترى رأس أبيها، وذوى قرابتها، وعلى بن حسين فى غلّ، فوضع رأسه فضرب على ثنيتى الحسين. فقال:

نُفِّلَقْ هَامًا مِنْ رَجَالًا أَحَبَّةَ
إِلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمًا

فقال على بن حسين: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٢).

فثقل ذلك على يزيد أن يتمثل بيت شعر، وتلا على بن الحسين آية من كتاب الله فقال يزيد:

«بل بما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير».

فقال على: أما والله، لو رأنا رسول الله - صلى الله عليه وآله - مغلولين لأحب أن يخلينا من الغلّ.

فقال: صدقت، فخلوهم من الغلّ.

فقال: ولو وقفنا بين يدى رسول الله - صلى الله عليه وآله - على بعد لأحب أن يقربنا.

قال: صدقت، فقربوهم.

فجعل فاطمة وسكينة يتطاولان لتريا رأس أبيهما، وجعل يزيد يتناول

(١) الطف: -مكان بكرلاء.

(٢) سورة الحديد: ٢٢.

فى مجلسه، لىستر رأس الحُسين، ثم أمر بهم فجهزوا، وأصلح إىهم، وأخرجوا إلى المدينة^(١).

أىن قبر الحسين؟:

قال ابن كثر:

«وأما قبر الحُسين -رضى الله عنه-: فقد اشتهر عند كثر من المتأخرىن أنه فى مشهد على. بمكان «الطف» عند نهر كربلاء، فىقال إن ذلك المشهد مبنى على قبره فالله أعلم. وقد ذكر ابن جرير وغيره أن موضع قتله عُفى أثره حتى لم يطلع أحدٌ لتعيينه على خبر. وقد كان أبو نعىم، الفضل بن دكىن، ينكر على من يزعم أنه يعرف قبر الحسين».

أما رأس الحسين -رضى الله عنه-:

فىقول ابن كثر^(٢):

«فالمشهور عند أهل التاريخ وأهل السىر أنه بعث به ابن زىاد إلى زىد ابن معاوية، ومن الناس من أنكر ذلك، وعندى أن الأول أشهر فالله أعلم. ثم اختلفوا بعد ذلك فى المكان الذى دفن فىه الرأس، فروى محمد بن سعد: أن زىد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعىد نائب المدينة فدفنه عند أمه بالبقيع^(٣). . . . وادعت الطائفة المسمون بالفاطمىين الذىن ملكوا الديار المصرىة قبل سنة أربعمائة إلى ما بعد سنة ستىن وستمائة، أن رأس الحسين وصل إلى الديار المصرىة ودفنوه بها وبنوا علىه المشهد المشهور به بمصر، الذى فىقال له: «تاج الحسين» بعد سنة خمسماية. وقد نصّ غير واحد من أئمة أهل العلم على أنه لا أصل لذلك، وإنما أرادوا أن يروّجوا بذلك بطلان ما ادّعوه من النسب الشرىف، وهم فى ذلك كذبة خونة، وقد نصّ على ذلك القاضى الباقلانى وغير واحد من أئمة العلماء.

(١) رجاله ثقات: رواه الطبرىنى. المجمع برقم (١٥١٤٨).

(٢) البداة (٧١٢/٥).

(٣) وهناك روايات أخرى ضعفها ابن كثر.

قلت-أى ابن كثير-: والناس أكثرهم يروج عليهم مثل هذا، فإنهم جاءوا برأس فوضعه في مكان هذا المسجد المذكور، وقالوا: هذا رأس الحسين، فراج ذلك عليهم واعتقدوا ذلك والله أعلم»^(١).

عدالة الله:

لما استشهد الحسين -رضي الله عنه- لم يترك الله تعالى المجرمين دون عقاب في الدنيا -أولاً-:

يقول ابن كثير: «فإنه قلَّ من نجا من أولئك الذين قتلوه من آفة وعاهة في الدنيا، فلم يخرج منها حتى أُصيب بمرض، وأكثرهم أصابهم الجنون!!». وعن الشعبي قال:

رأيت في النوم كأن رجلاً من السماء نزلوا معهم حراب يتبعون قتلة الحسين، فما لبثت أن نزل المختار فقتلهم» رواه الطبراني وإسناده حسن. قلت: والمختار هو المختار بن أبي عبيد -الذي ادَّعى النبوة- وهكذا يسلط الله الظالمين على الظالمين.

وعن عبد الملك بن عمير قال:

دخلتُ على عبيد الله بن زياد وإذا رأس الحسين قُدَّامه على ترس، فوالله ما لبثتُ إلا قليلاً حتى دخلتُ على المختار فإذا رأس عبيد الله بن زياد بين يدي المختار على ترس...»^(٢).

فمن قرير العين يا حسين.. والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين.

(١) انظر: البداية (٧١٣/٥).

(٢) رجاله ثقات: رواه الطبراني. المجمع برقم (١٥١٥٣).

«وفى الختام»

أتوجه إلى الله العليّ الكبير . . أن يتقبل مني هذا الجهد . . وأن يُثقل به ميزاني يوم العرض عليه . . وأن يضع لهذا الكتاب القبول في الأرض وأن ينفع به المسلمين . . ويعلم الله وحده مدى الجهد الذي بذلناه في جمع مادته . . ومدى الجهد الذي بذلناه في تحقيق مروياته . . حتى يصل بين يدي القارئ الكريم مُصَفَّى من الآراء الشاذة، والمرويات المدسوسة . . وَمُنَقَّى من الأهواء المُردية، فهناك أهواء طفت على سطح التاريخ الإسلامي قصدت تهميش عمل الصحابة الكرام . . وإسدال الستار على حياتهم وأعمالهم وقدراتهم على قيادة الدنيا بالدين!! وهذا أسلوب مآكر . . استخدمه الأعداء لطمس معالم الحقيقة . . ممّا أدى إلى ظهور جيل هزيل قدم كرامته لأعداء الله على طبق من ذهب!! يقول الشيخ الغزالي -رحمه الله تعالى-: «والذين نهكوا قوى الإيمان، ونكسوا في بلادهم راية الدين بدءوا يتجرعون الآثار المرة لذلك الانحلال، لأنهم خلقوا مجتمعات منحلّة كسولاً، وأنشأوا أجيالاً ظالمة مظلمة لا تحسن صنعاً ولا تبلغ هدفاً . .

والشكوى الآن عالية من ضعف الإنتاج وسوء الإدارة، وهما مرضان يورثان التخلف السياسي والفشل الاقتصادي، بل هما من وراء التخلف الإنساني الذي يُوصم به العالم الثالث، ويحرمه كلّ تقدير!

وما ضعف الإنتاج وسوء الإدارة إلا نتاج ضعف اليقين، وغياب العزم، وسيادة الهوى، وإظلام العقل .

كان العامل -أيام الرجعية كما يقولون- يُحسن ما بين يديه، ويخرجه متقناً أو أقرب إلى الإتقان، ويحمد الله على التوفيق، ويتناول أجره فينفقه في مواضعه المشروعة، ويلحقه من بركات الله ما يمنحه الرضا . .

ثم تغيّرت الأحوال، وامتدت العين إلى مزيد من المتاع وجمحت

الشهوات، فمع الطعام غناءً ومع الغناء نساءً، ومع النساء خمر، ومع الخمر مخدرات، وأمسى الأمرُ فُرطاً، ووقفَ العاملُ أمام آتته أو في إدارته، يطلب حقوقاً ولا يؤدي واجبات، ويكثر اللغو ولا يحسن العمل..

وتعلّم من حداة الركب ألا يسمع حديثاً عن الله، وألا يتعوّد التردد على المسجد، وألا يتعلق بالدار الآخرة! اهـ.

هذا ما وصل إليه حالنا!.

ويبقى بعد ذلك أن نعتبر.. وأن نتفتح منا الأعين على حقيقة ما يراد بنا.. ولتكن عودتنا للإسلام بداية هجوم مضاد يستهدف حماية الأمة من مؤامرات أعدائها.. وردّ كيدها إلى نحورها.. ولنا في رسول الله - ﷺ - وفي أصحابه أسوة حسنة: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (١).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

سعد يوسف محمود أبو عزيز

المحرم ١٤٢١هـ

فبراير ٢٠٠٠م

«أهم المراجع»

- ١ - تفسير الطبرى .
- ٢ - الجامع لأحكام القرآن
- ٣ - مفاتيح الغيب
- ٤ - تفسير القرآن العظيم
- ٥ - فتح البارى
- ٦ - صحيح مسلم بشرح النووى .
- ٧ - مجمع الزوائد
- ٨ - الترغيب والترهيب
- ٩ - صحيح سنن الترمذى .
- ١٠ - ضعيف سنن الترمذى .
- ١١ - صحيح سنن ابن ماجه .
- ١٢ - ضعيف سنن ابن ماجه .
- ١٣ - صحيح سنن أبى داود .
- ١٤ - ضعيف سنن أبى داود .
- ١٥ - السلسلة الصحيحة
- ١٦ - مسند الإمام أحمد
- ١٧ - الأدب المفرد
- ١٨ - دلائل النبوة
- للإمام القرطبى .
- للإمام الفخر الرازى .
- للإمام ابن كثير .
- للإمام ابن حجر العسقلانى .
- للإمام الهيثمى .
- للإمام المنذرى .
- للشيخ الألبانى .
- بتحقيق الشيخ / أحمد شاکر .
- للإمام البخارى .
- للإمام البيهقى .

- ١٩- الموطأ للإمام مالك .
- ٢٠- سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي .
- ٢١- المنتظم فى تاريخ الأمم والملوك للإمام ابن الجوزى .
- ٢٢- الاستيعاب لابن عبد البر
- ٢٣- الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى .
- ٢٤- السيرة النبوية لابن هشام .
- ٢٥- البداية والنهاية للإمام ابن كثير
- ٢٦- زاد المعاد للإمام ابن القيم
- ٢٧- فقه السيرة للشيخ محمد الغزالى
- ٢٨- تاريخ الطبرى .
- ٢٩- حياة الصحابة للإمام الكاندهلوى .
- ٣٠- حياة الصالحين للأستاذ/ عبد المنعم قنديل .
- ٣١- رجال ونساء حول الرسول للمؤلف .
- ٣٢- فضائل الصحابة للشيخ مصطفى العدوى .
- ٣٣- تأملات فى السيرة النبوية د . محمود عمارة
- ٣٤- شبابنا بين العلم الجامد والعلم الناقص د . محمود عمارة
- ٣٥- الصارم المسلول للإمام ابن تيمية .
- ٣٦- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان للإمام ابن تيمية
- ٣٧- تحريم آلات الطرب للشيخ الألبانى .
- ٣٨- صفة الصفوة للإمام ابن الجوزى .
- ٣٩- حلية الأولياء للحافظ أبى نعيم .

- ٤٠- نساء من عصر النبوة الأستاذ/ أحمد خليل جمعة .
- ٤١- الفقه الواضح د. محمد بكر إسماعيل .
- ٤٢- معركة المصحف في العالم الإسلامى الشيخ محمد الغزالي .
- ٤٣- خلق المسلم الشيخ محمد الغزالي .
- ٤٤- معاوية بن حديج للأستاذ محمد على قطب .
- ٤٥- مدارج السالكين للإمام ابن القيم .
- ٤٦- أسباب النزول للنيسابورى

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	- مقدمة
٧	١ - عروة بن مسعود الثقفي
١٠	٢ - عمرو بن ثابت «الأصيرم»
١٢	٣ - المنذر بن عائد
١٧	٤ - عاصم بن ثابت
٢٣	٥ - عبد الله بن الزبير
٣٧	٦ - أبو هريرة
٤٩	٧ - عبد الله بن أنيس
٥٥	٨ - مصعب بن عمير
٦٤	٩ - سعد بن الربيع
٦٩	١٠ - أبي بن كعب
٧٥	١١ - سعد بن خيثمة
٧٧	١٢ - عبد الله بن حنظلة
٨٥	١٣ - حرام بن ملحان
٩٠	١٤ - عتبة بن غزوان
٩٣	١٥ - عبد الله بن سعد

- ١٠١- سعد بن معاذ
- ١١١- حنظلة بن أبي عامر
- ١١٦- أبو بصير
- ١٢٠- عبد الله بن أم مكتوم
- ١٢٥- معاذ بن عمرو بن الجموح
- ١٢٨- ثابت بن قيس
- ١٣١- حذيفة بن اليمان
- ١٣٨- صهيب بن سنان
- ١٤٢- أسامة بن زيد
- ١٤٨- البراء بن مالك
- ١٥٣- عكرمة بن أبي جهل
- ١٥٩- أبو أسامة الباهلي
- ١٦٦- زيد بن خارجة
- ١٧١- خالد بن الوليد
- ١٨٢- أبو عقيل
- ١٨٧- المقداد بن الأسود
- ١٩٣- وهب بن قابوس المزني
- ١٩٦- أسعد بن زرارة

- ٣٤- عبيدة بن الحارث ١٩٩.
- ٣٥- أُسيد بن الحضير ٢٠٢.
- ٣٦- عبد الله بن سهيل بن عمرو ٢٠٦.
- ٣٧- جُلييب ٢٠٨.
- ٣٨- معاوية بن حديج السكوني ٢١٣.
- ٣٩- سلمة بن الأكوع ٢١٧.
- ٤٠- تميم الداري ٢٢٤.
- ٤١- هشام بن العاص ٢٢٨.
- ٤٢- عمير بن أبي وقاص ٢٣١.
- ٤٣- شماس بن عثمان ٢٣٤.
- ٤٤- عمير بن الحمام ٢٣٧.
- ٤٥- أبو طلحة الأنصاري ٢٤٠.
- ٤٦- عوف بن الحارث ٢٤٧.
- ٤٧- عبد الله بن مسعود ٢٤٩.
- ٤٨- أنس بن مالك ٢٦٤.
- ٤٩- عبد الله بن عباس ٢٧٣.
- ٥٠- أبو العاص بن الربيع ٢٨٣.
- ٥١- ثابت بن الدحداح ٢٩٠.

- ٥٢- سعد بن عبادة ٢٩٦
- ٥٣- عبَّاد بن بشر ٣٠
- ٥٤- سعيد بن عامر ٣٠٣
- ٥٥- سُهَيْل بن عمرو ٣٠٩
- ٥٦- عُمَيْر بن وهب الجُمحى ٣١٥
- ٥٧- أسلم الحبشى ٣٢٠
- ٥٨- عدى بن حاتم الطائى ٣٢٦
- ٥٩- ضمام بن ثعلبة ٣٣٢
- ٦٠- الحسن بن على بن أبى طالب ٣٣٥
- ٦١- سعد بن عبِيد ٣٤٨
- ٦٢- أنس بن النضر ٣٥٣
- ٦٣- كعب بن مالك ٣٥٥
- ٦٤- جابر بن عبد الله ٣٦٤
- ٦٥- طلحة بن البراء ٣٧٠
- ٦٦- عامر بن فهيرة ٣٧٣
- ٦٧- عبد الله بن جحش ٣٧٧
- ٦٨- عبد الله بن عتيك ٣٨٢
- ٦٩- زيد بن حارثة ٣٨٧

- ٣٩٣..... ٧٠- زيد بن الخطاب
- ٣٩٦..... ٧١- علبة بن زيد
- ٤٠٠..... ٧٢- ربيعة بن مالك الأسلمي
- ٤٠٧..... ٧٣- عبد الله بن عبد الله بن أبي
- ٤١٤..... ٧٤- شداد بن أوس
- ٤١٩..... ٧٥- الحسين بن علي بن أبي طالب
- ٤٤٥..... - خاتمة
- ٤٤٧..... - أهم المراجع
- ٤٥١..... - الفهرس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين

ت: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com